قهر الخناس

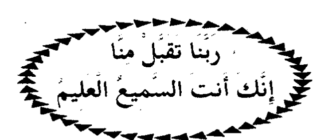
في ترك إثارة الشر على الناس

محمد محمد زين العابدين
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين



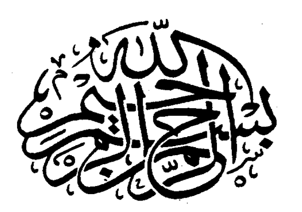


بسم الله الرحمن الرحيم





دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

فهذا بحث جيد، ونافع بحمد الله، يتعلق «**بمنع إثارة الشرور على المسلمين**».

قام بإعداده أخي في الله/ **محمد زين العابدين** ـ حفظه الله وبارك فيه ـ هذا، وقد راجعت معه هذا البحث فألفيته نافعاً جداً في بابه.

وإذا به قد استقصى إلى حد كبير جداً ـ ولله الحمد ـ ثم إنه قد أهتم بالناحية الحديثية فخرَّج الأحاديث تخريجاً مؤدياً للغرض، وحكم عليها بما تستحقه صحةً أو ضعفاً، واعتمد أقوال بعض الفضلاء في ذلك.

فالله أسأل أن يبارك في أخي محمد، وفي بحثه، وأن يوفقه لمواصلة طلب العلم الشرعي، وأن ينفع بهذا البحث الإسلام والمسلمين، وأن يقينا والمسلمين كل الشرور، وأن يصرف عنا وعنهم كل مكروه وسوء.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو عبد الله مصطفى العدوي

مقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وأله وصحبه أجمعين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

أما بعد:

فإن نعم الله عز وجل علينا لا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ (النحل: ١٨)، ومن أبلغ نِعمهُ وأعظمها - وكل نعم ربنا بالغة عظيمة؛ - نعمة الأمن التي امتن بها عباده ودعاهم بحقها إلى التوحيد، ولأجلها اقتتل الناس، ونشبت الحروب، وما فتئ كل إنسان؛ مسلم أو كافر يطلبها، ويبحث عن الطرق المؤدية إليها.

وقد حرصت الشريعة الإسلامية الغراء على بث الاطمئنان في الناس، وحثت المسلمين على حفظ الأمن لبعضهم ولغيرهم، واجتناب إثارة الرعب في نفوسهم، ومنع إثارة الفتن والشرور بينهم، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ (المائدة: ٢).

لذلك فإن المتأمل في حياة النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، يجد حرصاً عجيباً على ترك إثارة الفتن والشرور على الناس، وليس هذا فقط، بل إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسألون عن الشر، وأسبابه، وكيف يدفع، وما حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في الصحيحين عنا ببعيد؛ قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يدركني، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ

هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ، قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ، قَالَ: «**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ، قَالَ: «**نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**»، قُلْتُ: فَمَا تأمرني إِنْ أدركني ذَلِكَ، قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ، قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[١].

فسؤال أهل العلم عن الشر، وأبوابه وأسبابه ـ مع عدم التفصيل في ذلك، مهم في بعض الأحيان، لتجنبه ومعرفة كيف يدفع، **قال العلامة ابن القيم «رحمه الله»**: «الجهل بالطريق، وآفاتها، والمقصود، يوجب التعب الكثير مع الفائدة القليلة»[٢]، وهكذا دائماً؛ إذا جهل المرء أركان الشيء لا يستطيع أن يفرق بينه وبين نقيضه.

عرفت الشر لا للشر ... لكن لتوقيه
ومن لم يعرف الخير من ... الشر يقع فيه

لذا فهذا بحثٌ في سبل ترك إثارة الشر على الناس، لما دعت إليه الحاجة في بيان هذا الأدب، وهذه السنة التي هجرها أكثر المسلمون في زماننا؛ سنة ترك إثارة الشر على الناس، والتي بوب لها الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه في كتاب الأدب باباً عظيماً سماه: «**ترك إثارة الشر على مسلم أو كافر**»، وذكر عدة أحاديث فيه سنذكرها فيما بعد ونزيد عليها ما يَمُنُّ الله به علينا، لما لهذه السنة من أثر فعال في عصمة دماء المسلمين وأموالهم، فضلا عن هذا فإن معرفة

(١) صحيح: (٣٦٠٦/ المناقب/ البخاري) (١٨٤٧/ الإمارة/ مسلم) كلاهما من حديث حذيفة رضي الله عنه.
(٢) (٢١٥/ الفوائد).

شَرَكْ الشيطان في إيقاع بني آدم في الشرور والفتن، لا شك أنه يحول دون وقوعهم في هذه الفخاخ؛ وبالله نستعين.

ومنهجي في كتابة هذا الموضوع؛ أني اعتمدت في وضع الأبواب، على ما ورد فيه نصٌّ من الكتاب، أو من سنة نبينا محمد ـ ﷺ ـ وقد أثبت الصحيح منها، وأشرت إلى الضعيف في الباب في الحاشية، فإن كان ثمة أثار عن الصحابة رضي الله عنهم، سجلتها، ثم أوردت أقوال المفسرين وأهل العلم.

وقد قسمت البحث إلى سبعة فصول:

(١) فصلٌ في: نعمة الأمن.

(٢) فصلٌ في: ترك إثارة الشر سنة مهجورة.

(٣) فصلٌ في: صور إثارة الشر.

(٤) فصلٌ في: سبل ترك إثارة الشر على الناس، وبيان كيف يزال الشر.

(٥) فصلٌ في: شبهة قد ترد، وبيان دفعها.

(٦) فصلٌ في: ترك إثارة الشر لا يأتي إلا بخير.

(٧) فصلٌ في: كيد أعداء الإسلام بالمسلمين، وإثارتهم الشرور عليهم.

تتمةٌ في: صور من حياة الصحابة والسلف في ترك إثارة الشر.

وأخيراً، فإني تمثلت قول النبي ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً**»[1]، فما كان

---

(١) صحيح: (٢٦٧٤/ العلم/ مسلم) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتمامه: «**وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً**».

من توفيق، فمن الله عز وجل، وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان، وكلٌّ بقدر الله تعالى.

أسيرُ خلف ركاب النجب[1] ذا عرج ... مؤملاً كشف ما لقيت من عوجِ
فإن لحقتُ بهم من بعد ما سبقوا ... فكم لرب الورى[2] في ذاك من فرجِ
وإن بقيت بظهر الأرض منقطعاً ... فما على عرج في ذاك من حرجِ

(١) النَّجيبُ: الفاضلُ، والنَّجيبُ من الرجال: الكريمُ الحَسيبُ (١/ ٧٤٨ لسان العرب).
(٢) الورَى: الخَلْق (١٥/ ٣٨٦ لسان العرب) (٧٤٠/ مختار الصحاح).

فصل في:
نعمة الأمن

الأمنُ: عدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصله طمأنينة النفس، وزوال الخوف[1].

وهو من أبلغ نِعم الله وأعظمها، وهي النعمة التي امتن بها على قريش، ودعاهم بحقها إلى التوحيد فقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝﴾ (قريش: ١ ـ ٤) إذ الخائف مضطرب القلب لا يستطيع سفراً ولا غدواً ولا رواحا، فلا يهنأ بعيش ولا ينعم بلذة.

وامتن الله ـ عز وجل ـ بها أيضاً على عباده المؤمنين في غزوة بدر، فقال تعالى: ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾ (الأنفال: ١١)، إذ الخوف يحول بين الإنسان والنوم، وكذا بينه وبين العبادة والاستمتاع بها، والأمن يبعث عليهما، ومنه قول ابن المبارك رحمه الله:

أطار الخوف نومهم فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوع

وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝﴾ (التكاثر: ٨)؛ قال فريق من المفسرين: «الأمن والصحة»[2].

---

(١) (٩٤/ التعريف).

(٢) قال ابن مسعود رضي الله عنه: (الأمن والصحة) (٢/ ٣٦٤ هناد في الزهد) (١٢/ ٦٨٠ جامع البيان)، ويذكر أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال؛ (هو الأمن والصحة والعافية)، وقال ابن عيينة ـ رحمه الله ـ: (من تمام النعمة؛ طول الحياة في الصحة والأمن والسرور) (٢/ ٧٣ المستطرف)، وقال الثوري، والشعبي، ومجاهد رحمهم الله؛ (الأمن والصحة) (١٢/ ٦٨٠ جامع البيان)، وهو مروي عن قتادة رحمه الله (٤/ ١٤٩ شعب الإيمان).

والأمن للفرد وللمجتمع وللدولة ؛ من أهم ما تقوم عليه الحياة ، إذ به يطمئن الناس على دينهم ، وأنفسهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، ويتجه تفكيرهم إلى ما يرفع شأن مجتمعهم ، وينهض بأمتهم[١].

لذا كان عمرو بن ميمون ـ رحمه الله ـ يدعو الله عز وجل فيقول : «اللهم إني أسألك السلام والإسلام ، والأمن والإيمان ، والهدى واليقين ، والأجر في الآخرة»[٢].

من هذا المنطلق كان كل إنسان مسلم أو كافر يطلب الأمن ، ويبحث عن الطرق المؤدية إليه ، وقد كفلت الشريعة الإسلامية الغراء كل الطرق المؤدية إليه ، وحثت المسلمين على إتيان ما يوفره ، واجتناب ما يضاده ويطرده ، ومن ذلك الفتن والشرور وإثارتها ، قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ (المائدة : ٢) ،

وفي الصحيحين عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**»[٣].

وقال عز وجل في شأن توفير الأمان للكفار : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التوبة : ٦).

ولأجل الأمن ؛ فُرضت الإمامة ، ووضع القضاء ، وأُقيمت الحدود.

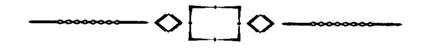
---

(١) (٦/ ٢٧١ الموسوعة الفقهية).

(٢) (٤/ ١٥٠ حلية الأولياء).

(٣) **صحيح**:(٢٥/ الإيمان/ البخاري) (٢٢/ الإيمان/ مسلم) كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وفي الباب : عن أبي هريرة ، وجابر رضي الله عنهما ، (٢١/ الإيمان/ مسلم).

وقد ذهب الفقهاء إلى أن أمن الإنسان على نفسه وماله وعرضه شرط في التكليف بالعبادات، وتحقيق ذلك؛ أن صلاة الجمعة فرض؛ إلا أنها لا تجب على خائف على نفسه وماله، وكذا صلاة الجماعة؛ تسقط لخوف على نفس أو مال أو عرض، ويشترط لوجوب الحج؛ أمن الطريق في النفس والمال والعرض، ويجوز تناول المحرمات؛ إذا لم يجد الإنسان غيرها، وخاف على نفسه الهلكة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ (البقرة: ١٧٣)، ويجوز التلفظ بكلمة الكفر؛ عند الإكراه الملجئ إلى ذلك، قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ (النمل: ١٠٦)، ويجوز إلقاء المتاع من السفينة المشرفة على الغرق[١].



(١) (٦/ ٢٧١ : ٢٧٤ الموسوعة الفقهية) بتصرف.

فصل في:
ترك إثارة الشر سنة مهجورة

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**»[١]، أي لقبيح قوله وفعله، ومنه قول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «**لَمْ يَكُنِ النبي ﷺ فَاحِشاً وَلاَ مُتَفَحِّشاً**»[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: أي بذيئاً؛ وهو الذي يتكلم يقبح، ويطلق على الباطل أيضاً، والمتفحش؛ الذي يكثر من ذلك، ويتكلفه، وقيل الفحش؛ عدوان الجواب، والفاحشة؛ كل ما نهى الله عنه، وقيل؛ كل ما يشتد قبحه من المنهيات، كالزنا[٣]، وقال الإمام النووي رحمه الله؛ وأما الفحش؛ فهو القبيح من القول والفعل، وقيل؛ مجاوزة الحد، وفى هذا الحديث؛ استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين، إذا لم تترتب عليه مفسدة[٤].

---

(١) **صحيح**: (٦١٣١/ الأدب/ البخاري) (٢٥٩١/ البر والصلة والأدب/ مسلم) كلاهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وعند أبي داود (٤٧٩٣/ الأدب)، وأحمد في المسند (٦/ ١١١) والطبراني في الأوسط (٤/ ٢٢٠) وأبي يعلى (٨/ ٨٥)؛ بلفظ: «إن من شرار الناس الذين يكرمون اتقاء ألسنتهم»، جميعهم من حديث أم المؤمنين رضي الله عنها، من طريق مجاهد ـ رحمه الله ـ عنها، وحديثه عنها مرسل، قال أبو حاتم وابن معين (لم يسمع منها)، وقال ابن المديني (سمع من عائشة)، وقال الحافظ (وقع التصريح بسماعه منها عند أبي عبد الله البخاري في صحيحه) (٥/ ٣٧٤ التهذيب)، ولم أقف على هذا التصريح بالسماع، وهو من طريق شريك بن عبد الله النخعي؛ صدوق يخطئ كثيرا (٢٦٦/ التقريب).

(٢) **صحيح**: (٣٥٥٩/ المناقب/ البخاري) (٢٣٢١/ المناقب/ مسلم) كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وتمام الحديث؛ وَكَانَ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقاً**».

(٣) (١/ ١٦٥: ١٦٦ فتح الباري).

(٤) (١٤/ ١٤٧ شرح صحيح مسلم) بتصرف.

وعلى العكس من ذلك؛ قيل له ﷺ؛ أي النَّاسِ أَفْضَلُ فَقَالَ: «**مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ» قَالُوا ثُمَّ مَنْ، قَالَ: «مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**»[١].

وقَالَ ﷺ: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» فَقَالُوا: يَا نبي اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ»، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ**»[٢].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بن العاص رضي الله عنهما، عَنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»[٣].

وعن أبو الأشعث الصنعاني قال: بعثنا يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير، فلما قدمت المدينة، دخلت على فلان فقال: إن الناس قد صنعوا ما صنعوا فما ترى؟ فقال: أوصاني خليلي أبو القاسم ﷺ: «**إن أدركت شيئا من هذه الفتن، فاعمد إلى أحد فاكسر به حد سيفك، ثم اقعد في بيتك، فإن دخل عليك أحد إلى البيت، فقم إلى المخدع، فإن دخل عليك المخدع، فاجث على ركبتيك، وقل بؤ بإثمي وإثمك، فتكون من أصحاب النار، وذلك جزاء الظالمين، فقد كسرت حد سيفي وقعدت في بيتي**»[٤].

---

(١) صحيح: (٢٧٨٦/ الجهاد/ البخاري) (١٨٨٨/ الإمارة/ مسلم) كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) صحيح: (١٤٤٥/ الزكاة/ البخاري) (١٠٠٨/ الزكاة/ مسلم) كلاهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٣) صحيح: (١٠/ الإيمان/ البخاري) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، (٤١/ الإيمان/ مسلم) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، (١١/ الإيمان/ البخاري) (٤٢/ الإيمان/ مسلم) كلاهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٤) حسن: (٤/ ٢٢٦ أحمد في المسند).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلة، تبقى حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم، وأماناتهم، واختلفوا فكانوا هكذا - وشبك بين أصابعه**» فقالوا: كيف بنا يا رسول الله ؟ قال: «**تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم، وتذرون أمر عامتكم**»[1].

وعن عديسة بنت أهبان بن صيفي رضي الله عنه، قالت: لما جاء علي بن أبي طالب ها هنا البصرة دخل على أبي، فقال: يا أبا مسلم ألا تعينني على هؤلاء القوم؟ قال: بلى، قال: فدعا جارية له، فقال: يا جارية أخرجي سيفي، فأخرجته، فسل منه قدر شبر فإذا هو خشب، فقال: إن خليلي وابن عمك ﷺ عهد إلي «**إذا كانت الفتنة بين المسلمين، فاتخذ سيفاً من خشب**»، فإن شئت خرجت معك، قال: لا حاجة لي فيك ولا في سيفك»[2].

ولله در حسان بن ثابت رضي الله عنه، حين قال:

فإن امرؤ يُمسي ويُصبح سالماً ... من الناس، إلا ما جنى، لسعيد[3]

وفي حديث إسلام أبي ذر رضي الله عنه، لما جاءه البشير الذي بعثه ليأته بخبر النبي ﷺ، قال له أبا ذر رضي الله عنه: «مَا عِنْدَكَ»، فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ، وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ»[4].

---

(١) **صحيح**: (٤٣٤٢، ٤٣٤٣/ أبي داود) (٣٩٥٧/ ابن ماجة) (٢/ ١٦٢، ٢١٢، ٢٢٠ أحمد في المسند) (٢/ ١٧١ المستدرك) (٦/ ٥٩ النسائي في الكبرى) (٢/ ٣١٦ الطبراني في الأوسط) (٧/ ٤٤٧ ابن أبي شيبة) (٦/ ٤٤٦ البزار) جميعهم بطرق مختلفة من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه (٦٧٣٠/ ابن حبان) بإسنادٍ صحيح على شرط الإمام مسلم رحمه الله.

(٢) **حسن بشواهده**: (٣٩٦٠/ ابن ماجة) (٥/ ٦٩ أحمد في المسند) (١/ ٢٩٤ الطبراني في الكبير) (٢/ ٢٧٢ الآحاد والمثاني) جميعهم من حديث أهبان بن صيفي رضي الله عنه، وكان له صحبة (١/ ١٤٢ الإصابة)، وفي بعض طرق الحديث: «**فاكسر سيفك**».

(٣) (٦٦/ ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه).

(٤) **صحيح**: (٣٥٢٢/ المناقب/ البخاري) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فترك إثارة الشر من أنفع الأعمال الصالحات التي غفل عنها كثيرون، وهو جهاد مع النفس عظيم، كان من هدي النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم وكذا سلفنا الصالح رحمهم الله.

وترك إثارة الشر يعني: اجتناب الأمور والأفعال التي من شأنها إثارة الفتن أو إثارة النفوس على أمر معين أو إيقاع المسلمين في الأذى، وهو مأثور عن النبي ﷺ؛ فإنه لما سحر وعلم من سحره لم ينتقم لنفسه خشية أن يثور علي الناس من ذلك شر وقال: «**أما والله فقد شفاني، وأكره أن أثير علي أحد من الناس شرا**»[١]، وكذلك لما بلغه قول عبد الله بن أُبي بن سلول رأس النفاق؛ آما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وأراد عمر رضي الله عنه ضرب عنقه قال ﷺ: «**دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**»[٢]، كذا قال لما أراد عمر ضرب عنق الرجل الذي قال يوم حنين: يا محمد أعدل[٣].

بل إن المأثور عن النبي ﷺ، وأصحابه رضوان الله عليهم؛ حرصهم على تهدئة النفوس، وليس إثارتها.

حرص النبي ﷺ على تهدئةِ النفوسِ:

ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه، قال: قَالَ نَاسٌ مِنَ الأَنْصَارِ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَا أَفَاءَ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ، فَطَفِقَ النبي ﷺ يُعْطِي رِجَالاً الْمِائَةَ مِنَ الإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَحُدِّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَقَالَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ

---

(١) **صحيح**: (٥٧٦٥/ الطب/ البخاري) (٢١٨٩/ السلام/ مسلم) كلاهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) **صحيح**: (٤٩٠٥/ التفسير المنافقون/ البخاري) (٢٥٨٤/ البر والصلة والأدب/ مسلم) كلاهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) **صحيح**: (١٠٦٣/ الزكاة/ مسلم) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

إِلَى الأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا، قَامَ النبي ﷺ فَقَالَ: «**مَا حَدِيثٌ بلغني عَنْكُمْ**»، فَقَالَ فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ: أَمَّا رُؤَسَاؤُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئاً، وَأَمَّا نَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ النبي ﷺ: «**فإني أُعْطِي رِجَالاً حديثي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، أَتَأَلَّفُهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ وَتَذْهَبُونَ بالنبي ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ، فَوَ اللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا[1].

حرص السلف الكرام على تهدئةِ النفوسِ:

وما فعلته أم سلمة رضي الله عنها يوم الحديبية شاهد على ذلك، إذ قَالَ النبي ﷺ لأَصْحَابِهِ: «**قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا**» فمَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: «يَا نبي اللَّهِ؛ أَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَداً مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ» فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَداً مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ؛ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ، قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضاً[2]، ومع أن ما فعله الصحابة ـ رضوان الله ـ عليهم ليس بالأمر اليسير، فهم لم يمتثلوا أمر النبي ﷺ، لكن أنظر إلى قول المرأة المؤمنة أم سلمة رضي الله عنها؛ كيف هدأت نفس زوجها ﷺ وكيف أشارت عليه.

وعن عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلاَلٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا، قَالَ: فَقَالَ أَبُو

---

(١) صحيح: (٤٣٣١/ المغازي/ البخاري) (١٠٥٩/ الزكاة/ مسلم مختصرا وبلفظ مختلف) كلاهما من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) صحيح: (٢٧٣٢/ الشروط/ البخاري) من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه.

بَكْرٍ: أَتَقُولُون هَذَا لِشَيْخ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ فَأَتَى النبي ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**»، فَأَتَاهُمْ أَبو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ: أَغْضَبْتُكُمْ، قَالُوا: لاَ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ[1].

قال بعض السلف: «إن من الناس ناساً ينقصونك إذا زدتهم، وتهون عندهم إذا خاصصتهم، ليس لرضاهم موضع تعرفه، ولا لسخطهم موضع تحذره، فإذا عرفت أولئك بأعيانهم فابذل لهم موضع المودة، واحرمهم موضع الخاصة، يكن ما بذلت لهم من المودة حائلاً دون شرهم، وما حرمتهم من الخاصة قاطعاً لحرمتهم»[2]، وقال الأعمش «رحمه الله»: «جواب الأحمق؛ السكوت عنه»، وقال أيضاً: «السكوت جواب، والتغافل يطفئ شراً كثيراً، ورضا المتجني غاية لا تدرك، واستعطاف المحب عون للظفر، ومن غضب على من لا يقدر عليه طال حزنه»[3]، وكان يقال عن خالد بن صفوان رحمه الله: ليس له صديق في السر، ولا عدو في العلانية[4]، وقال الحكماء: «إذا أردت أن تقتل حرا فجد عليه وتفضل، فإنه لك أسير».

ويجدر بنا أن ننبه على أن النبي ﷺ كان لا ينتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها[5]، وهذا هو المقصود، وليس المقصود السكوت عن المنكر وتثبيط الناس عن إزالته، وسيأتي إيضاح هذا فيما بعد.

---

(١) **صحيح**: (٢٥٠٤/ فضائل الصحابة/ مسلم) من حديث عائذ بن عمرو رضي الله عنه.
(٢) (٢/ ١٦٨ العقد الفريد).
(٣) (٢/ ٧٥ الآداب الشرعية).
(٤) (٢/ ١٦٧ العقد الفريد).
(٥) **صحيح**: (٦١٢٦/ الأدب/ البخاري) (٢٣٢٧/ الفضائل/ مسلم) كلاهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

فصلٌ في:
صور إثارة الشر

لإثارة الشر صور عديدة منها ؛ إثارة الشر على عوام المسلمين، وعلى علماء المسلمين، وعلى الملوك والأمراء وذوي السلطان، وعلى النفس، وعلى عصاة المسلمين، وعلى أهل الكتاب والكفار، وعلى الجن والدواب، وإثارة أحد الزوجين على الأخر، والغلام على أبويه، والخادم على أهله.

أولاً: إثارة الشر على عوامِ المسلمين:

ومن صور إثارة الشر على عوام المسلمين:

أولاً: تحديثهم بما لا يفهمونه، أو لا تحتمله عقولهم، أو بما رسخ في نفوسهم ضده:

وقد بوب الإمام النووي رحمه الله في كتابه «الأذكار» باباً سماه «نهي العالم وغيره أن يحدث الناس بما لا يفهمونه، أو يخاف عليهم من تحريف معناه، وحمله على خلاف المراد منه»[1].

ومثال ذلك:

الخروج علي قوم ليس لهم كبير علم بالصوفية وضلالهم أو الشيعة وانحرافهم وطرح عقيدة هؤلاء أو هؤلاء لتقويضها ودفعها، أو التعرض لأقطابهم والنيل منهم، وهم ممن رسخ حبهم في قلوب القوم عن جهل بما يدعون إليه، وسيأتي بيان متى وكيف تقوَّض بدع وضلالات مثل هؤلاء الأقوام، ومنهج السلف في دفعها.

---

(١) (٤٤٢/ الأذكار).

كذلك محادثتهم في صفات الله تعالى وفي كلامه وحروف القرآن أهي قديمة أم حديثة.

فكل ذلك كما قال الغزالي «رحمه الله»: «كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك»(١)، فمحادثة العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهي من المثيرات للفتن، والمقصود هو مخاطبة الناس علي قدر عقولهم وإعطاء الدواء بقدر الداء، والتلطف والاحتيال في مخاطبتهم، وإشغالهم بالعبادات، والعمل بما في القرآن وما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، قال علي بن أبي طالب ﷺ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»(٢)، وقال عبد الله بْن مَسْعُودٍ ﷺ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْماً حَدِيثاً لاَ تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إلاَّ كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»(٣).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ مُعلقاً: «فيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب»(٤).

---

(١) (٣/ ٢٣٥ الإحياء)

(٢) حسن: (١٢٧/ العلم/ البخاري)، في سنده معروف بن خربوذ، ضعفه ابن معين، وقال أبو حاتم؛ يكتب حديثه، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الساجي؛ صدوق (١٠/ ٢٠٧ التهذيب)، وقال الحافظ؛ صدوق ربما وهم (٥٤٠/ التقريب)، وقال الإمام أحمد؛ ما أدري كيف حديثه (٢/ ٥٣٢ العلل ومعرفة الرجال) وأخرج له البخاري هذا الأثر، ومسلم حديثاً في الحج (١٢٧٥).

(٣) **ضعيف (منقطع)**: (٥/ المقدمة/ مسلم) من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود ﷺ، وقد أرسل عنه (٧/ ٢٢ التهذيب)، وأحاديث المقدمة ليست على شرط الإمام مسلم «رحمه الله» في وضع الصحيح.

(٤) (١/ ٢٢٥ فتح الباري)

ونحو ذلك قول النبي ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «**يَا عَائِشَةُ؛ لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ، لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ، فَأَلْزَقْتُهَا بِالأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ بَاباً شَرْقِيًّا وَبَاباً غَرْبِيًّا، وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ، فَإِنَّ قُرَيْشاً اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ**»[١].

وكان الحسن البصري ـ رحمه الله ـ يخص بعض طلبته بالحديث في بعض المعاني في الزهد والنسك، التي قد تلتبس على غيرهم ولا تدركها فهومهم[٢].

ثانياً: إثقالهم بالعبادات، بحيث لا يطيقون:

وفي هذا قول النبي ﷺ «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ**»[٣]، وكان ﷺ يقُوم في الصَّلاَةِ يُرِيدُ أَنْ يُطَوِّلَ فِيهَا، فَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصبي، فَيَتَجَوَّزُ فيها كرَاهِيَةَ أَنْ يشُقَّ عَلَى أُمِّهِ[٤]، وكذا كان ﷺ يتخول صحابته بالموعظة في الأيام كراهة السآمة عليهم[٥]، وكان يقول: «**خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ**»[٦]، لذا فإنه ﷺ لما بلغه أن عَبْدَ اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، يصُوم النَّهَار ويَقُوم اللَّيْل، قال له: «**لاَ تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا،**

---

(١) **صحيح**: (١٣٣٣/ الحج/ مسلم) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) (٤/ ٥٧٩ سير الأعلام) بتصرف.

(٣) **صحيح**: (٦١١٠/ الأدب/ البخاري) (٤٦٦/ الصلاة/ مسلم) كلاهما من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٤) **صحيح**: (٧٠٧/ الأذان/ البخاري، واللفظ له) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه، (٤٧٠/ الصلاة/ مسلم) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) **صحيح**: (٢٨٢١/ صفة القيامة والجنة والنار/ مسلم، واللفظ له) (٦٤١١/ الدعوات/ البخاري) كلاهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) **صحيح**: (١٩٧٠/ الصوم/ البخاري) (٧٨٢/ الصيام/ مسلم) كلاهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ»، قال عبد الله رضي الله عنه: فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إني أَجِدُ قُوَّةً، قَالَ: «**فَصُمْ صِيَامَ نبي اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ**»، قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامُ نبي اللَّهِ دَاوُدَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ، قَالَ: «**نِصْفَ الدَّهْرِ**»، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ رضي الله عنه يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: يَا ليتني قَبِلْتُ رُخْصَةَ النبي ﷺ [(١)].

وكان هديه ﷺ اختيار أيسر الأمور، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «ما خُيِّر رسول الله ﷺ في أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً كان أبعد الناس منه»[(٢)]، وقال ﷺ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وابشروا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وشيء مِنَ الدُّلْجَةِ**»[(٣)]، وأوصى ﷺ أبا موسى ومعاذ رضي الله عنهما لما بعث بهما إلى اليمن فقال: «**يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا**»[(٤)]، ولما أمّ معاذ رضي الله عنه الناس يوماً، فقرأ سورة البقرة، فتنحى رجل من خلفه فصلى وحده ثم بَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذاً

---

(١) **صحيح**: (١٩٧٥/ الصوم/ البخاري، واللفظ له) (١١٩٥/ الصيام/ مسلم) كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح**: (٦١٢٦/ الأدب/ البخاري) (٢٣٢٧/ الفضائل/ مسلم) كلاهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٣) **صحيح**: (٣٩/ الإيمان/ البخاري) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وفي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَداً عَمَلُهُ**» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يتغمدني اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ، وَإِنْ قَلَّ**»، صحيح: (٢٨١٨/ صفة القيامة والجنة والنار/ مسلم، واللفظ له) (٦٤٦٧/ الرقاق/ البخاري) كلاهما من حديث أم المؤمنين رضي الله عنها.

(٤) **صحيح**: (٣٠٣٨/ الجهاد/ البخاري) (١٧٣٣/ الأشربة/ مسلم) كلاهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

نَالَ مِنْهُ، فَأَتَى النبي ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ، قَالَ ﷺ: «**يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ؛ فَلَوْلا صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الْحَاجَةِ**»[1].

وعن أبي وائل ـ رحمه الله ـ قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لَقَدْ أتاني الْيَوْمَ رَجُلٌ، فسألني عَنْ أَمْرٍ مَا دَرَيْتُ مَا أَرُدُّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلاً مُؤْدِياً نَشِيطاً، يَخْرُجُ مَعَ أُمَرَائِنَا فِي الْمَغَازِي، فَيَعْزِمُ عَلَيْنَا فِي أَشْيَاءَ لاَ نُحْصِيهَا، فَقُلْتُ لَهُ؛ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ إِلاَّ أَنَّا كُنَّا مَعَ النبي ﷺ فَعَسَى أَنْ لاَ يَعْزِمَ عَلَيْنَا فِي أَمْرٍ إِلاَّ مَرَّةً حَتَّى نَفْعَلَهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَنْ يَزَالَ بِخَيْرٍ مَا اتَّقَى اللَّهَ، وَإِذَا شَكَّ فِي نَفْسِهِ شيء سَأَلَ رَجُلاً فَشَفَاهُ مِنْهُ، وَأَوْشَكَ أَنْ لاَ تَجِدُوهُ، والذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ مَا أَذْكُرُ مَا غَبَرَ[2] مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ كَالثَّغْبِ[3] شُرِبَ صَفْوُهُ وَبَقِيَ كَدَرُهُ[4].

وعن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه كان يقول على المنبر: «أيها الناس لا تبغّضوا الله إلى عباده، فقيل كيف ذاك «أصلحك الله؟» قال: يجلس أحدكم قاصا فيطول على الناس حتى يبغّض إليهم ما هم فيه، ويقوم أحدكم إماما فيطول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه»، وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لعبيد بن عمير «رحمه الله»: «إياك وإملال الناس وتقنيطهم»، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة»، وقال ابن مسعود رضي الله عنه:

---

(١) صحيح: (٧٠٥/ الأذان/ البخاري) (٤٦٥/ الصلاة/ مسلم) كلاهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) أي مضى.

(٣) قال القزاز: وهو الغدير يكون في ظل فيبرد ماؤه ويروق، وقيل هو ماء يحتفره السيل في الأرض المنخفضة فيصير مثل الأخدود، فيبقى الماء فيه فتصفقه الريح فيصير صافيا باردا.

وقيل: هو نقرة في صخرة يبقى فيها الماء كذلك، فشبه ما مضى من الدنيا بما شرب من صفوه، وما بقي منها بما تأخر من كدره (١٠٥: ١٠٦/ أحاديث الفتن والملاحم).

(٤) صحيح: (٢٩٦٤/ الجهاد/ البخاري) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

«أريحوا القلوب فإن القلب إذا كره عمي»، وقال أيضاً: «إن للقلوب شهوة وإقبالا وفترة وإدبارا، فخذوها عند شهوتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها»[1].

والنهي يتأكد إذا اجتمعت الصورتين؛ تحديث الناس بما لا يفهمونه وبما لا تحتمله عقولهم، وإثقالهم بالعبادات بحيث لا يطيقون، واجتماعها؛ إلزامهم بما ألزم به السلف أنفسهم، وقد يؤول بهم ذلك إلى الإحباط واليأس.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «لابد من مخاطبة أهل الزمان باصطلاحهم، إذ لا قوة لهم للتشمير إلى تلقي السلوك عن السلف الأول وكلماتهم وهديهم، ولو برز لهم هديهم وحالهم لأنكروه، ولعدوه سلوكاً عامياً، وللخاصة سلوك آخر، فكل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعن عمق علومهم، وقلة تكلفهم، وكمال بصائرهم، وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف، والاشتغال بالأطراف التي كانت همة القوم مراعاة أصولها، وضبط قواعدها، وشد معاقدها، وهممهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء، فالمتأخرون في شأن والقوم في شأن، وقد جعل الله لكل شيء قدر»[2].

ونحن لا نقول بالمنع مطلقاً من تحديثهم بحال السلف الكرام، فلا ريب في أن معرفة طريقتهم من أهم وسائل الثبات والمثابرة، والارتفاع بالهمة، ولكن نقول بوجوب مراعاة حال المخاطب، ومناسبة الخطاب.

ثانياً: إثارة الشر على العلماء، وطلبة العلم:

ولإثارة الشر على العلماء، وطلبة العلم، والأفاضل صور شتى، أهمها:

(١) تلقي الكلام الذي ينسب إليهم وعليهم، بالقبول وبسعة صدر، في أي وقت، ومن أي أحد، دون تثبت أو تيقن، ثم تناقله ونشره في الآفاق،

---

(١) (٢/ ٧٤ الآداب الشرعية).

(٢) (١/ ١٣٩ مدارج السالكين).

وقد يؤدي إلى فتن عظيمة، يكون ضحيتها علماء كرام، وقد يسقط في براثن هذه الفتن علماء آخرون، وطلبة علم أفاضل.

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝ ﴾ (الحجرات: ٦).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق، ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله فيكون كاذبا أو مخطئا، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين»[١].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: «في هذه الآية دليل على قبول خبر الواحد إذا كان عدلاً، لأنه إنما أمر فيها بالتثبت عند نقل خبر الفاسق، ومن ثبت فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعاً، لأن الخبر أمانة، والفسق قرينة يبطلها، وقد استثنى الإجماع من جملة ذلك ما يتعلق بالدعوى والجحود وإثبات حق مقصود على الغير»[٢].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: «والمراد من التبين؛ التعرف والتفحص، ومن التثبت؛ الأناة وعدم العجلة والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد، حتى يتضح ويظهر»[٣].

ولقد كان الوضاعون قديماً، يضعون الأحاديث والأخبار، ثم يركبون لها أسانيد، حلقاتها؛ مالك، وشعبة، والثوري، وأحمد، وأمثالهم رحمهم الله، كي يحملون الناس على تصديقها، وحملها، أو العمل بها، والأئمة منها براء، لذا رد المحدثون روايات الكذابين والمتروكين والضعفاء، بل وسيئي الحفظ،

---

(١) (٤/ ٢٦٦ تفسير ابن كثير).

(٢) (١٦/ ٢٦٤ الجامع لأحكام القرآن).

(٣) (٥/ ٨٦ فتح القدير).

والمختلطين بعد اختلاطهم، وبعضهم رد رواية مجهولي الحال لاحتمال فسقهم أو سوء حفظهم، ووضعوا من ثم شروط صارمة للتوثيق، وقبول الرواية.

(٢) التعامل معهم على أنهم معصومين: ومن ثم فالخطأ من أحدهم، كارتكاب آحاد الناس الكبائر، بل بعضهم يتعامل مع خطئه، على أنه أعظم من ذلك.

فيا الله.. يا مسلمون؛ علماؤنا ومشايخنا بشر، بل هم أرقى البشر..

يصيبون ويخطئون، يحلمون ويغضبون، يعملون الطاعات، لكنهم أيضاً يأثمون.

قال شيخ الإسلام «رحمه الله»: «يجب على المسلمين ـ بعد موالاة الله تعالى ورسوله ﷺ ـ موالاة المؤمنين وعلمائهم كما نطق به القرآن، خصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يُهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، إذ كل أمة قبل مبعث نبينا محمد ﷺ علماؤها شرارها، إلا المسلمين، فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول ﷺ في أمته، والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا، وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة ـ المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً ـ يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته، دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ»[1].

ويذكر أن الشيخ طاهر الجزائري «رحمه الله»، أوصى وهو على فرش الموت، فقال: «عدوا رجالكم، واغفروا لهم زلاتهم، وعضوا عليهم بالنواجذ، لتستفيد الأمة منهم، ولا تنفروهم لئلا يزهدوا في خدمتكم».

---

(١) (٦: ٧/ رفع الملام): وهو كتاب عظيم برأ فيه شيخ الإسلام رحمه الله ساحة العلماء من الزيغ في الحق، وأنصفهم، وأكد على أنه ليس منهم من يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ، وحصر فيه أسباب اختلافهم، والأعذار التي تلتمس لهم عند الاختلاف، وينبغي على كل طالب علم قراءة هذا الكتاب.

فإن قيل:

فقواعد الشرع تقتضي أن يسامح الجاهل، بما لا يسامح به العالم، وأنه يغفر له ما لا يغفر للعالم؟

كما قيل **للعلامة ابن القيم «رحمه الله»**: فإن حجة الله عليه أقوم منها على الجاهل، وعلمه بقبح المعصية وبغض الله لها وعقوبته عليها أعظم من علم الجاهل، ونعمة الله عليه بما أودعه من العلم أعظم من نعمته على الجاهل، وقد دلت الشريعة وحكم الله على أن من حُبي بالإنعام وخُص بالفضل والإكرام، ثم أسام نفسه مع ميل الشهوات فارتعها في مراتع الهلكات، وتجرأ على انتهاك الحرمات، واستخف بالتبعات والسيئات، أنه يقابل من الانتقام والعتب بما لا يقابل به من ليس في مرتبته، وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ (الأحزاب: ٣٠)، ولهذا كان حد الحر ضعف حد العبد في الزنا والقذف وشرب الخمر لكمال النعمة على الحر، ومما يدل على هذا الحديث المشهور الذي أثبته أبو نعيم وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**أشد الناس عذابا يوم القيامة؛ عالم لم ينفعه الله بعلمه**»[1]، قال بعض السلف: يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب، وقال بعضهم أيضا إن الله يعافي الجهال ما لا يعافي للعلماء !!

فالإجابة ـ كما قال العلامة «رحمه الله»: «إن هذا الذي ذكرتموه حق لا ريب فيه ولكن من قواعد الشرع والحكمة أيضاً أن من كثُرت حسناته وعظُمت، وكان له

(١) منكر: (١/ ٣٠٥ الطبراني في الصغير) (٢/ ٢٨٤ شعب الإيمان) (٢/ ١٧١ الشهاب) جميعهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي سنده؛ عثمان بن مقسم البري؛ متفق على ضعفه، واتهمه الأكثرون بالكذب (٤/ ١٥٥ : ١٥٦ اللسان).

في الإسلام تأثير ظاهر فإنه يحتمل له مالا يحتمل لغيره ويعفي عنه مالا يعفي عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث، ومن هذا قول النبي ﷺ لعمر - رضي الله عنه - : «**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[1]، وهذا هو المانع له ﷺ من قتل من جس عليه وعلى المسلمين، وارتكب مثل ذلك الذنب العظيم، فأخبر ﷺ أنه شهد بدراً، فدل على أن مقتضى عقوبته قائم، لكن منع من ترتب أثره عليه ما له من المشهد العظيم، فوقعت تلك السقطة العظيمة مغتفرة في جنب ما له من الحسنات، ولما حض النبي ﷺ على الصدقة، فأخرج عثمان رضي الله عنه تلك الصدقة العظيمة، قال: «**ما ضر عثمان ما عمل بعدها**»، وقال: لطلحة رضي الله عنه، لما طأطأ للنبي ﷺ حتى صعد على ظهره إلى الصخرة: «**أوجب طلحة**»، وهذا موسى عليه السلام كليم الرحمن عز وجل؛ ألقى الألواح التي فيها كلام الله الذي كتبه له، ألقاها على الأرض حتى تكسرت، ولطم عين ملك الموت ففقأها، وعاتب ربه ليلة الإسراء في النبي ﷺ، وقال: «**شاب بعث بعدي يدخل الجنة من أمته**

---

(١) صحيح: (٣٠٠٧/ الجهاد/ البخاري) (٢٤٩٤/ فضائل الصحابة/ مسلم) كلاهما من حديث على رضي الله عنه، قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ قَالَ: «**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً وَمَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا**»، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ فَقُلْنَا: أخرجي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا معي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ، إني كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقاً في قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ، يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَداً يَحْمُونَ بِهَا قرابتي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْراً وَلاَ ارْتِدَاداً وَلاَ رِضاً بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَقَدْ صَدَقَكُمْ**»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**».

أكثر مما يدخلها من أمتي»، وأخذ بلحية هارون عليه السلام وجره إليه وهو نبي الله، وكل هذا لم ينقص من قدرة شيئاً عند ربه، وربه تعالى يكرمه ويحبه، فإن الأمر الذي قام به موسى والعدو الذي برز له، والصبر الذي صبره، والأذى الذي أوذيه في الله، أمر لا تؤثر فيه أمثال هذه الأمور، ولا تغير في وجهه ولا تخفض منزلته، وهذا أمر معلوم عند الناس مستقر في فطرهم؛ أن من له ألوف من الحسنات فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين ونحوها، حتى أنه ليختلج داعي عقوبته على إساءته، وداعي شكره على إحسانه فيغلب داعي الشكر لداعي العقوبة، كما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع

وقال آخر:

فإن يكن الفعل الذي ساء واحدا ... فأفعاله اللاتي سررن كثير

والله سبحانه يوازن يوم القيامة بين حسنات العبد وسيئاته، فأيهما غلب كان التأثير له، فيفعل بأهل الحسنات الكثيرة، والذين آثروا محابه ومراضيه وغلبتهم دواعي طبعهم أحياناً من العفو والمسامحة ما لا يفعله مع غيرهم، وأيضاً فإن العالم إذا زل؛ فإنه يحسن إسراع الفيئة وتدارك الفارط ومداواة الجرح، فهو كالطبيب الحاذق البصير بالمرض وأسبابه وعلاجه، فإن زواله على يده أسرع من زواله على يد الجاهل، وأيضاً؛ فإن معه من معرفته بأمر الله وتصديقه بوعده ووعيده وخشيته منه إزرائه على نفسه بارتكابه، وإيمانه بأن الله حرمه، وأن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، إلى غير ذلك من الأمور المحبوبة للرب، ما يغمر الذنب ويضعف اقتضائه ويزيل أثره، بخلاف الجاهل بذلك أو أكثره، فإنه ليس معه إلا ظلمة الخطيئة وقبحها وأثارها المردية، فلا يستوي هذا وهذا، وهذا دليل ظاهر على شرف العلم وفضله، وبالله التوفيق»[١]. انتهى.

---

(١) (١/ ١٧٦ : ١٧٧ مفتاح دار السعادة).

(٣) الغلو في الأفاضلِ وتبجيل العلماء وتوقيرهم على نحو لا يرضونه، بالتعصبِ لهم ولأقوالهم:

ولقد أصبح هذا اليوم واقعاً مريراً، خاصة عند طلبة العلم، وأنصاف المتعلمين، الذين انقسموا أحزاباً وفرق، كل رأي يخالف أقوال علمائهم ومشايخهم ليس له من الحق عندهم نصيب، والويل ثم الويل لمن صدع به، ثم من اتبعه.

نقول لهؤلاء، هلا وقرتم كلام السلف الكرام، كتوقيركم كلام علمائكم ومشايخكم، فهم أولى بالاتباع جملة، فقرب المجتهد إلى الصواب بحسب قربه من عصر الرسول ﷺ في الجملة !!

ونحن لا ندعو للتعصب للمذاهب وأقوال العلماء السلف فضلاً عن الخلف، وإنما.. التعصب للحق أينما وجد..

التعصب للدليل من مصادره الشرعية..

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ··· ولا تك بدعيا، لعلك تفلح
ولذ بكتاب الله والسنة التي ··· اتت على رسول الله تنجو وتربح
ودع عنك آراء الرجال وقولهم ··· فقول رسول الله أزكى وأشرح
إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ··· فأنت على خير، تبيت وتصبح [١]

يقول الإمام الشافعي «رحمه الله»: «إذا صح الحديث عن رسول الله ﷺ، فخذوا به، ودعوا قولي»، وفي لفظٍ له: «فأنا أذهب إليه»، وفي لفظ: «فاضربوا بقولي عرض الحائط»[٢].

فيا طلاب العلم.. كل يُأخذ من قوله، ويُرد عليه كما قال الأئمة الأربعة وغيرهم، رحمهم الله..

---

(١) أبو المظفر السمعاني رحمه الله.
(٢) (٢٧٦/ الطرق الحكمية).

يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني «رحمه الله»:
«ومن أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل، ومن أمضى أسلحته أن يرمي الغالي كل من يحاول رده إلى الحق ببغض أولئك الأفاضل ومعاداتهم، يرى بعض أهل العلم أن النصارى أول ما غلوا في عيسى عليه السلام كان الغلاة يرمون كل من أنكر عليهم بأنه يبغض عيسى ويحقره ونحو ذلك، فكان هذا من أعظم ما ساعد على انتشار الغلو لأن بقايا أهل الحق كانوا يرون أنهم إذا أنكروا على الغلاة نسبوا إلى ما هم أشد الناس كراهية له؛ من بغض عيسى وتحقيره، ومقتهم الجمهور وأوذوا، فثبطهم هذا الإنكار، وخلا الجو للشيطان، وقريب من هذا حال الروافض وحال القبوريين، وحال غلاة المقلدين، وحاصل الأمر أن أكثر الناس مغرون بتقليد من يعظم في نفوسهم والغلو في ذلك، حتى إذا قيل لهم؛ إنه غير معصوم عن الخطأ، والدليل قائم على خلاف قوله في «كذا»، فدل ذلك على أنه أخطأ، ولا يحل لكم أن تتبعوه على ما أخطأ فيه، قالوا: هو أعلم منكم بالدليل، وأنتم أولى بالخطأ منه، فالظاهر أنه قد عرف ما يدفع دليلكم هذا، فلهذا كان من أهل العلم والفضل من إذا رأى جماعة اتبعوا بعض الأفاضل في أمر يرى أنه ليس لهم اتباعه فيه ـ إما لأن حالهم غير حاله، وإما لأنه يراه أخطأ ـ أطلق كلمات يظهر منها الغض من ذلك الفاضل، لكي يكف الناس عن الغلو فيه «الحامل لهم» على اتباعه فيما ليس لهم أن يتبعوه فيه، والأئمة غير معصومين من الخطأ والغلط، وهم إن شاء الله تعالى معذورون مأجورون فيما أخطأوا فيه، كما هو الشأن فيمن أخطأ بعد بذل الوسع في تحري الحق، لكن لا سبيل إلى القطع بأنه لم يقع منهم في بعض الفروع تقصير يؤاخذون عليه، أو تقصير في زجر أتباعهم عن الغلو في تقليدهم»[1]

---

(١) (١/ ٦ التنكيل) بتصرف.

ثالثاً: إثارة الشر على الأمراء والحكام:

وفي سنة النبي ﷺ ما يشهد بلزوم ترك إثارة الشر على الأمراء والحكام، من ذلك قول أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: قَالَ لي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«**كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا**» قُلْتُ فَمَا تأمرني قَالَ: «**صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ**»[1].

وقال ﷺ:

«**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْراً مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[2].

فمن كمال هذا الدين أنه ضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم لأن من شأن ضبط هذه العلاقة انضباط أمور الأمة وسيرها في حياتها على السواء، هذا الضبط جاء بأسلوب شرعي بديع هو توجيه كل من الطرفين؛ الحاكم والمحكوم؛ إلى القيام بالمهام المنوطة به والواجبات الموكلة إليه، فإذا نظرت إلى النصوص الواردة في شأن الحاكم وحقوق الرعية عليه والواجبات المنوطة به ظننت أن الشرع مائل إلى جانب الرعية، وإذا نظرت إلى النصوص الواردة في شأن الرعية وحقوق ولي الأمر عليهم من الطاعة والنصرة ونحوها ظننت أن الشرع مائل إلى جانب الحاكم، والموقف إنما يتشكل من مجمل النظر إلى النصوص الواردة[3].

وضابط هذه العلاقة قول النبي ﷺ: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ**

---

(١) صحيح: (٦٤٨/ المساجد/ مسلم) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) صحيح: (٧٠٥٣/ الفتن/ البخاري) (١٨٤٩/ الإمارة/ مسلم) كلاهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) (٢/ ٤٧٧ مشكلة الغلو في الدين).

تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ ؛ قَالُوا قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ: «**لاَ مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ إِلاَّ مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يأتي شَيْئاً مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيَكْرَهْ مَا يأتي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلاَ يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»[1].

قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ تعليقاً على هذا الحديث: «لا يجوز منابذة الأئمة بالسيف مهما كانوا مقيمين الصلاة»[2].

وسبب اختلال العلاقة بين الحاكم والمحكوم؛ هو انحراف الولاة في خصوص هذه العلاقة مما أدى إلى انحراف أعظم منه من قبل الرعية.

قال شيخ الإسلام بن تيمية في خروج الرعية على ولاة الأمور ومناهضة حكمهم: «بعض الولاة يظلم باستئثار، فلا تصبر النفوس على ظلمه ولا يمكنها دفع ظلمه إلا بما هو أعظم فسادا منه»[3].

- وكلا الانحرافين إثارة للشر:

(١) فانحراف الولاة:

أولاً: حكمهم بغير ما أنزل الله تعالى:

قال ﷻ:

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ (المائدة: ٤٩)، وقال أيضاً: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ (النساء: ١٠٥)، وقال رسول الله ﷺ:

---

(١) صحيح: (١٨٥٥/ الإمارة/ مسلم) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٢) (٧/ ١٩٧ نيل الأوطار).

(٣) (٤/ ٥٣٨ منهاج السنة).

«لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضا الحكم، وآخرهن الصلاة»[(١)].

ثانياً: جرح مشاعر المتدينين واستثارة غضبهم بإحداث سياسات جائرة، **قال شيخ الإسلام** ـ رحمه الله ـ في حكام زمانه: «وعامة الأمراء إنما أحدثوا أنواعاً من السياسات الجائرة من أخذ أموال لا يجوز أخذها وعقوبات على الجرائم لا تجوز، لأنهم فرطوا في المشروع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[(٢)].

---

(١) **صحيح بشواهده**: (٥/ ٢٥١ مسند أحمد) (٨/ ٩٨ الطبراني في الكبير) (٦٧١٥/ ابن حبان) (٤/ ١٠٤ المستدرك) جميعهم من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، من طريق الوليد بن مسلم؛ وهو ثقة كثير التدليس والتسوية (٥٨٤/ التقريب)، وقد وقعت العنعنة في السند بين سليمان بن حبيب وأبي أمامة رضي الله عنه، والحديث مروي عند الإمام أحمد والطبراني وابن حبان من طريق عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، ورواه الحاكم من طريق عبد العزيز «وقال هو: ابن عبيد الله بن حمزة بن صهيب»، عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وهو تصحيف وما ذكره الجماعة أصح؛ إذ عبد العزيز هو ابن إسماعيل بن عبيد الله؛ وثقه ابن حبان وقال أبو حاتم «ليس به بأس» وقد روى عن سليمان بن حرب وعنه الوليد بن مسلم (١/ ٢٦١ تعجيل المنفعة)، وأما عبد العزيز بن عبيد الله؛ فهو ضعيف ولم يرو عنه إلا إسماعيل بن عياش (٦/ ٣١١ التهذيب).

وللعبارة الأولى من الحديث شاهد من أثر حذيفة رضي الله عنه موقوفا عليه من طريقين:

«**الأول**»: عند الحاكم (٤/ ٥١٦ المستدرك) وقال (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي، ومصنف عبد الرزاق (٧/ ١٤٠)؛ من طريق عكرمة بن عمار عن حميد بن عبد الله اليمامي، والأول صدوق يغلط (٣٩٦/ التقريب) والثاني لين (١٨١/ التقريب).

«**الثاني**»: عند الحاكم أيضاً (٤/ ٥٧٤ المستدرك) وقال (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ورده الذهبي وقال: (بل منكر) من طريق محمد بن سنان القزاز عن عمرو بن يونس اليمامي عن جهضم بن عبد الله القيسي عن عبد الأعلى بن عامر، والأول ضعيف (٤٨٢/ التقريب) والثالث صدوق يكثر عن المجاهيل (١٤٣/ التقريب) والرابع صدوق يهم (٣٣١/ التقريب).

وشاهد أخر: من حديث فيروز الديلمي رضي الله عنه: «صحابي، قتل الأسود الذي أدعى النبوة زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ومات زمن عثمان، وقيل معاوية رضي الله عنهما» (٤٤٨/ التقريب)، وقد روي الحديث مرة موصولا عن النبي صلى الله عليه وسلم في مسند أحمد (٤/ ٢٣٢)؛ من طريق ضمرة بن ربيعة؛ صدوق يهم قليلا (٢٨٠/ التقريب)، وروي مرة مرسلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسقاط الصحابي في سنن الدارمي (١/ ٥٨).

(٢) (٢/ ٥٩٨ اقتضاء الصراط المستقيم)

(٢) أما انحراف الرعية في خصوص العلاقة بين الحاكم والمحكوم وإثارتهم الشر على الحكام:

أولاً: إثارة الناس عليهم، وسبهم في المجالسِ، والقدح فيهم، وقد أحسن **ابن أبي عاصم** - رحمه الله - حين بوب في كتاب «**السنة**» باباً سماه: «ما ذُكر عن النبي ﷺ، من أمره بإكرام السلطان، وزجره عن إهانته»[١]، قال ابن عبد البر رحمه الله: إن لم يكن يتمكن نصح السلطان، فالصبر والدعاء فإنهم كانوا ينهون عن سب الأمراء، عن أنس بن مالك - رحمه الله قال: كان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ينهوننا عن سب الأمراء، وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه: إن أول نفاق المرء طعنه على إمامه، وعن أبي إسحاق قال ما سب قوم أميرهم، إلا حرموا خيره[٢].

ثانياً: تحريم العمل في وظائفهم، وتقاضي الأجور على الأعمال منهم.

ثالثاً: الخروج عليهم وتكفيرهم - دون إقامة الحجة عليهم وإفهامها لهم، كتب أحدهم: «حكام هذا العصر في ردة عن الإسلام، فهم لا يحملون من الإسلام إلا الأسماء وإن صلى وصام وادعى أنه مسلم»، ثم يبني على ذلك وجوب جهادهم وقتالهم، ونقل أقوالاً لأهل العلم في قتال الممتنع عن شرائع الإسلام، وقال أخر: «أختلف مع الحاكم لأنه أصبح نداً لله عز وجل، وأخضع الناس لعبوديته من دون الله»، وهذا لغط وقع فيه البعض ممن لبَّسَ عليهم الشيطان أمر دينهم، بل إن الشيطان اتخذه مدخلاً لفحش أعظم كقول أحد أنصار جماعة التكفير والهجرة: «المجتمع المسلم كافر ما دام راضياً بحكم الدولة الكافرة»، وقول آخر: «النضال ضد الدولة الكافرة التي تحكم بغير ما أنزل الله عز وجل وضد المجتمع الجاهلي واجب ديني».

---

(١) (٢/ ٥٩٨ اقتضاء الصراط المستقيم).

(٢) (٢١/ ٢٨٧ التمهيد) بتصرف.

لقد أصبح عدم الحكم بالشريعة باباً للافتئات على الحاكم ومناهضة حكمه من قبل بعض الناس [١]، وقد قال النبي ﷺ : «**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**» [٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية «رحمه الله»: «ليس لأحد أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه، مثل أن يقوم واحد من الناس يريد أن يقطع يد السارق ويجلد الشارب ويقيم الحدود، لأنه لو فعل ذلك لأدى إلى الهرج والفساد، لأن كل واحد يضرب غيره ويدعى أنه استحق ذلك، فهذا ينبغي أن يقتصر فيه على ولي الأمر» [٣].

وقال في موضع أخر: «ولهذا لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه، ولهذا حرم الخروج على ولاة الأمر بالسيف لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن ما يحصل بذلك من فعل المحرمات وترك واجب أعظم مما يحصل بفعلهم المنكر والذنوب، وإذا كان قوم على بدعة أو فجور ولو نهوا عن ذلك وقع بسبب ذلك شر أعظم مما هم عليه من ذلك، ولم يمكن منعهم منه ولم يحصل بالنهي مصلحة راجحة لم ينهوا عنه» [٤].

وقال تلميذه العلامة ابن القيم «رحمه الله»: «ونهى النبي ﷺ - عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة، وإن ظلموا وجاروا ما أقاموا الصلاة سداً لذريعة الفساد العظيم، والشر الكبير بقتالهم كما هو الواقع، فإنه حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم من الشرور أضعاف أضعاف ما هم عليه، والأمة في بقايا تلك الشرور إلى الآن» [٥].

---

(١) (٢/ ٤٨٩ السنة).
(٢) صحيح: (٦١٠٤/ الأدب/ البخاري) (٦٠/ الإيمان/ مسلم) كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٣) (٥٧٩/ مختصر الفتاوى).
(٤) (١٤/ ٤٧٢ مجموع الفتاوى).
(٥) (٣٤٢/ إغاثة اللهفان)

ولست بقاتل رجلا يصلي ... على سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعلي إثمي ... معاذ الله من جهل وطيش
أقاتل مسلما في غير شيء ... فليس بنافعي ما عشت عيشي [١]

رابعاً: التخبيب

التخبيب: إثارة المرأة على زوجها، أو الخادم على أهله، والغلام على أبويه أو أحدهما.

قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده**» [٢]، **قال العلامة الخطابي** «رحمه الله»: خبب: أفسد وخدع، وأصله من الخب وهو الخداع، ورجل خب إذا كان فاسداً مُفسداً.

وتخبيب المرأة: تحديثها بما يفسدها على زوجها، ونحو ذلك تخبيب الخادم على أهله والزوج على زوجته والغلام على أبويه، إلا أن يكون أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر لقول الله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ (المائدة: ٢).

---

(١) أيمن بن خريم الأسدي رحمه الله.

(٢) **صحيح: رجاله رجال الصحيح:** (٢١٧٥، ٥١٧٠/ أبي داود) (٢/ ٢١٥ المستدرك)؛ كلاهما بلفظ (خبب)، (٢/ ٣٩٧ أحمد في المسند) (٥/ ٣٨٦ النسائي في الكبرى) (٥٦٨/ ابن حبان) (٨/ ١٣ البيهقي في الكبرى) (١/ ١٨٦ ابن راهوية) جميعهم بلفظ (أفسد)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي مسند أحمد (٥/ ٣٥٢) وصحيح ابن حبان (٤٣٦٣) والمستدرك (٤/ ٣٣١) وسنن البيهقي الكبرى (١٠/ ٣٠) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه، بسندٍ صحيح.
وفي المعجم الأوسط للطبراني (٨/ ٧٩)، وحلية الأولياء (٣/ ١١٤) كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بزيادات، بسندٍ فيه؛ أبو طيبة عبد الله بن مسلم؛ صدوق يهم (٣٢٣/ التقريب).
وفي مسند أبي يعلى (٤/ ٣٠٤) بلفظ (أفسد) وبزيادات، والمعجم الأوسط للطبراني (٢/ ٢٢٣)؛ بلفظ (خبب)؛ كلاهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، فأما سند الطبراني ففيه؛ علي بن أبي هاشم عبيد الله بن طبراخ عن عثمان بن مطر الشيباني؛ والأول صدوق تكلم فيه (٤٠٦/ التقريب) والثاني ضعيف (٣٨٦/ التقريب).

والمأثور عن النبي ﷺ عكس ذلك، فقد رخص ﷺ في الكذب للإصلاح بين الناس، فقال: «**لَيْسَ الْكَذَّابُ الذي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْراً وَيَنْمِي خَيْراً**»[١]، وأولى منه الإصلاح بين الزوجين وبين ذوي القربى.

ويرتبط بهذهِ الصورة من صور إثارة الشر:

أن يلتمس الرجل الريبة في أهله:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلاً يَتَخَوَّنُهُمْ أَوْ يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ»[٢] وكان رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لاَ يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلاً وَكَانَ يَأْتِيهِمْ غُدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً»[٣]، وقَالَ ﷺ: «**إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمُ الْغَيْبَةَ فَلاَ يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلاً**»[٤].

خامساً: إثارة الشر على العصاةِ:

كذلك من صور إثارة الشر؛ إثارة الشر على العصاة والمذنبين بتحقيرهم وازدرائهم والتشنيع عليهم، قال الله عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩). وقد ضُرب شارب خمر بين يدي رسول الله ﷺ وهو يعود فَلَمَّا انْصَرَفَ قَال أحد الصحابة: «مَالَهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ»، فَقَالَ النبي ﷺ: «**لاَ تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ**»[٥]، ولما أراد عمر رضي الله عنه

---

(١) صحيح: (٢٦٠٥/ البر والصلة والآداب/ مسلم) (٢٦٩٢/ الصلح/ البخاري) كلاهما من حديث أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها.

(٢) صحيح: (٧١٥/ الإمارة/ مسلم) (١٨٠١/ العمرة/ البخاري) كلاهما من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) صحيح: (١٩٢٨/ الإمارة/ مسلم) (١٨٠٠/ العمرة/ البخاري) كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) صحيح: (٥٢٤٤/ النكاح/ البخاري) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٥) صحيح: (٦٧٨١/ الحدود/ البخاري) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أن يضرب عنق حاطب بن أبي بلتعه رضي الله عنه لما بعث إلى مشركي مكه يخبرهم أمراً من أمر رسول الله ﷺ قال له النبي ﷺ : «**وما يدريك لعل الله عز وجل قد أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[١]، وبال أعرابي في المسجد بحضرة النبي ﷺ ، فهم به الصحابة فقال لهم ﷺ : «**لا تزرموه**»[٢]، ثم قال له : «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء**»[٣].

ومن صور إثارة الشر على العصاة:

ترك السلام عليهم وهجرانهم ، وهي مسألة لها فقه ، فليس كل مذنب يهجر وليست كل معصية يترك من أجلها السلام على مرتكبها ، فالهجران مقيد بشروط ، وإلا فإن الأصل فيه المنع لحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ**»[٤]، وحديث أبي

---

(١) **صحيح**: (٣٠٠٧/ الجهاد/ البخاري) (٢٤٩٤/ فضائل الصحابة/ مسلم) كلاهما من حديث علي رضي الله عنه ، قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ قَالَ: «**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً وَمَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا**» ، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ فَقُلْنَا: أخرجي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا معي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا**» ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقاً فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ، يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَداً يَحْمُونَ بِهَا قرابتي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْراً وَلاَ ارْتِدَاداً وَلاَ رِضاً بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لَقَدْ صَدَقَكُمْ**» ، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**».

(٢) أي لا تقطعوا عليه بولته.

(٣) **صحيح**: (٦٠٢٥/ الأدب/ البخاري) (٢٨٥/ الطهارة/ مسلم، واللفظ له) ؛ كلاهما من حديث أنس رضي الله عنه .

(٤) **صحيح**: (٦٠٧٦/ الأدب/ البخاري) (٢٥٥٩/ البر والصلة والآدب/ مسلم) ؛ كلاهما من حديث أنس رضي الله عنه .

أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ**»[١].

قال ابن حبان «رحمه الله»: «لا يجب للمرء أن يدخل في جملة العوام والهمج، بإحداث الود لإخوانه، وتكديره لهم بالخروج بالسبب الذي يؤدي الى الهجران الذي نهى المصطفى ﷺ عنه بينهم، بل يقصد قصده الإغضاء عن ورود الزلات، ويتحرى ترك المناقشة على الهفوات، ولا سيما إذا قيل في أحدهم الشيء الذي يحتمل أن يكون حقا وباطلا معاً، فإن الناس ليس يخلو وصلهم من رشق أسهم العذال فيه»، ثم أعقب قائلاً: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام، فمن فعل ذلك كان مرتكباً لنهى النبي ﷺ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام، والسابق بالسلام يكون السابق إلى الجنة، ومن هجر أخاه سنة كان كسفك دمه، ومن مات وهو مهاجر أخاه دخل النار، إن لم يتفضل الله عليه بعفو منه ورحمة، وغاية ما أبيح من الهجران بين المسلمين ثلاثة أيام»[٢].

فأول الشروط: أن ينصح صاحب المعصية ويرشد إلى الصواب.

فالأصل هو إزالة الداء بالحسنى واللين، فالطبيب الماهر قبل أن يلجأ إلى البتر يحاول تطبيب العضو الذي فسد بوسائل العلاج المختلفة، فإذا ما نفذت ولم تجد ثمة وسيلة في إصلاحه لم يكن بُد من بتر الجزء الذي فسد حتى لا ينتشر الخبث في باقي الجسد، ولله در القائل:

جـــد بالســـلام إن لم تـــزرنا ... إن بـذل السـلام نصـف الـزيارة
واكتـب الحـب بـالدموع لـيـ ... ـبقى للمحـبين شـامة وإشـارة

---

(١) **صحيح**: (٦٠٧٧/ الأدب/ البخاري) (٢٥٦٠/ البر والصلة والآدب/ مسلم)؛ كلاهما من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

(٢) (٢٠٥ : ٢٠٧/ روضة العقلاء) بتصرف.

وهذا الشرط لازم من كون المؤمن حسن النية، لا يهجر انتقاماً، أو لهوى نفسه، فهجرته للتشذيب لا التثريب، هذه هي الهجرة المشروعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية «رحمه الله»: «فالهجرة الشرعية: هي من الأعمال التى أمر الله بها ورسوله، فالطاعة لابد أن تكون خالصه لله، وأن تكون موافقة لأمره، فتكون خالصة لله صواباً، فمن هجر لهوى نفسه، أو هجر هجراً غير مأمور به، كان خارجاً عن هذا، وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله، والهجر لأجل حظ الانسان لا يجوز اكثر من ثلاث كما جاء في الصحيحين عن النبى ﷺ»، ثم قال عقب ذلك: «وهذا لأن الهجر من باب العقوبات الشرعية، فهو من جنس الجهاد في سبيل الله، وهذا يفعل لأن تكون كلمة الله هى العليا، ويكون الدين كله لله، والمؤمن عليه أن يعادى فى الله ويوالى فى الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه، وإن ظلمه فان الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية»[1].

الشرط الثاني: أن يغلب الظن على من هجر بأن هجر المذنب سبيل لإصلاحه وتركه المعصية.

والشرط الثالث: أن يغلب الظن على أن هجره لن يكون سبباً في مفسدةٍ أعظم.

كهروبِ صاحب المعصية من رقابة ولي أمره، وارتكابه فُحشاً أعظم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية «رحمه الله»:

«الهجر يختلف باختلاف الهاجرين فى قوتهم وضعفهم، وقلتهم وكثرتهم فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة فى ذلك راجحة، بحيث يفضى هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان

---

(١) (٢٨/ ٢٠٧ : ٢٠٨ مجموع الفتاوى).

مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته، لم يشرع الهجر بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبى ﷺ يتألف قوماً ويهجر آخرين، كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيرا من أكثر المؤلفة قلوبهم لما كان أولئك كانوا سادة مطاعون فى عشائرهم، فكانت المصلحة الدينية فى تأليف قلوبهم، وهؤلاء كانوا مؤمنين والمؤمنون سواهم كثير، فكان فى هجرهم عز الدين وتطهيرهم من ذنوبهم، وهذا كما أن المشروع فى العدو القتال تارة، والمهادنه تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك بحسب الاحوال والمصالح، وجواب الائمة كأحمد وغيره ـ رحمهم الله ـ فى هذا الباب؛ مبنى على هذا الأصل، ولهذا كان يفرق بين الأماكن التى كثرت فيها البدع، كما كثر القدر فى البصرة، والتنجيم بخراسان، والتشيع بالكوفة، وبين ما ليس كذلك، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك فى حصوله أوصل الطرق إليه»[1].

الشرط الرابع: ألا ينسد بالهجرانِ ثغر عن المسلمين.

فإن كانت الهجرة ستؤدي انسداد باب مصالح على المسلمين، كتعليم أو طب أو قضاء ونحوه، فهنا اختيار أقل المفسدتين ضرراً، يقتضي نبذ الهجران، في سبيل إقامة مصالح المسلمين، والضرورة تقدر بقدرها.

يقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ـ حفظه الله:

«فإذا كانت الغلبة والظهور لأهل السنة، كانت مشروعية هجر المبتدع قائمة على أصلها، وإن كانت القوة والكثرة للمبتدعة ـ فلا المبتدع ولا غيره يرتدع بالهجر ولا يحصل المقصود الشرعي؛ لم يشرع الهجر، وكان مسلك التأليف

---

(١) (٢٨/ ٢٠٦ : ٢٠٧ مجموع الفتاوى).

خشية زيادة الشر، ومن أهم المهمات هنا؛ إذا كانت الواجبات لدى أهل السنة مثل؛ التعليم والجهاد والطب والهندسة ونحوها، تتعذر إقامتها إلا بواسطتهم؛ فإنه يعمل على تحصيل مصلحة الجهاد ومصلحة التعليم، وهكذا مع الحذر من بدعته، واتقاء الفتنة به منها ما أمكن، وبقدر الضرورة، فإذا زالت، عاد أهل السنة إلا الأصل في الهجر، وأُبعد المبتدع»[١].

سادساً: إثارة الشر على الكفار، أو دفعهم نحو إثارته على المسلمين:

قال الله عز وجل: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ ﴾ (الممتحنة: ٨، ٩)، وفي الباب أن امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أتت النبي ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لأَقْتُلَكَ، قَالَ: «**مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ**»، قَالُوا أَلاَ نَقْتُلُهَا قَالَ: «**لاَ**»[٢]، ولما سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، وعلم به النبي ﷺ وأنه من يهود بني زريق لم ينتقم لنفسه خشية أن يثور علي الناس من ذلك شر وقال: «**آما والله فقد شفاني، وأكره أن أثير علي أحد من الناس شرا**»[٣].

وقد فهم سلفنا الصالح ـ رحمهم الله ـ، هذا الفقه؛ فقه ترك إثارة الشر على الكفار، ونبهوا عليه في كتبهم، لأنهم أدركوا أن ضبط هذا الباب يجلب الخير

(١) (٤٥ : ٤٦/ هجر المبتدع).

(٢) **صحيح**: (٢١٩٠/ السلام/ مسلم) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) سبق تخريجه.

الكثير على المسلمين، وعكسه يوقعهم في البليات، لذلك نرى الإمام البخاري رحمه الله يبوب في صحيحه في كتاب الأدب باباً عظيماً سماه: «ترك إثارة الشر على مسلم أو كافر»، أورد فيه حديث السحر المتقدم.

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ معلقاً على حديث السحر: «وإشاعة هذا ـ يقصد إخراج السحر وإحراقه كما سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ـ ضرراً وشراً على المسلمين من تذكر السحر أو تعلمه وشيوعه والحديث فيه، أو إيذاء فاعله فيحمله ذلك أو يحمل بعض أهله ومحبيه والمتعصبين له من المنافقين وغيرهم على سحر الناس وأذاهم، وانتصابهم لمناكدة المسلمين بذلك، هذا من باب ترك مصلحة لخوف مفسدة أعظم منها، وهو من أهم قواعد الإسلام»[1].

وترك إثارة الشر على الكافر لا يعني الانبساط إليه والاسترسال في الكلام معه؛ كما ينبسط الكافرين لبعضهم ويسترسلون في كلامهم، فهذا مكروه كراهة شديدة تكاد تصل إلى حد التحريم لقول الله عز وجل: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وقال أيضاً: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (المائدة: ٥١).

وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا

(١) (٧/ ٤٣٣ شرح صحيح مسلم)

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ (الممتحنة: ٤)، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ (الممتحنة: ١٣).

وإنما المقصود ـ إن لم يكن الكافر محارباً ؛ عدم إيذاءه وتحقيره والتشنيع عليه وإثارة العوام عليه، خاصة إذا كان المسلمون في حالة ضعف وتشتت وإلا فلما اتقى النبي ﷺ القتال يوم الحديبية مع أن في قتالهم مصلحة للمسلمين، ولما رد النبي ﷺ جندل بن سهيل يومئذ للمشركين مع أن في تسليمه لهم فتنة له في دينه، ولما قَالَ لعَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ رضي الله عنه لما جاءه في أول أمر الإسلام يريد اتباعه ﷺ : «**إِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا أَلاَ تَرَى حَالِى وَحَالَ النَّاسِ وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِى قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِى**»[(١)]، وقال لأبي ذر رضي الله عنه : «**يَا أَبَا ذَرٍّ اكْتُمْ هَذَا الأَمْرَ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ**»[(٢)].

وفي الباب أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كان يقول: «اجتنبوا أعداء الله في عيدهم»[(٣)] وقيل من الحكمة ؛ ألا يقال للحسود يا حاسد، وألا يقال للعدو أنت عدو.

هذا هو مسلك الوسطية الذي اختاره لنا ﷺ في معاملتهم لا إفراط ولا تفريط ؛ فقد نهانا عن أن نبدأهم السلام[(٤)]، لأن الابتداء به إعزاز لهم ولا يجوز إعزازهم، لكنه ﷺ أيضاً لم يأمرنا بضرب سلامهم عرض الحائط وإنما أوصانا

---

(١) **صحيح**: (١٩٦٧/ صلاة المسافرين/ البخاري) من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه .

(٢) **صحيح**: (٣٥٢٢/ المناقب/ البخاري) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) (٩/ ٢٣٤ البيهقي في الكبرى).

(٤) **صحيح**: (٢١٦٧/ السلام/ مسلم) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظه ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بِالسَّلاَمِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ**».

فقال: «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**»[١]، وقال: «**إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ**»[٢] وكان ﷺ إذا عطسوا عنده يقول: «**يهديكم الله ويصلح بالكم**»[٣].

فكما أن هذه الأمة وسط في أحكامها وعبادتها وآدابها فهي وسط في سلوكها في داخلها ومع غيرها، وهكذا شأنها في كل أمور الحياة قال الله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة: ١٤٣)، وقال النبي ﷺ: «**القصد القصد تبلغوا**»[٤] أي التوسط.

عليك بأوساط الأمور فإنها ... طريق إلى نهج الصراط قويم
ولا تك فيها مُفْرِطا أو مُفَرِّطا ... فإن كلا حال الأمور ذميم

سابعاً: إثارة الشر على غير الإنس:

(١) من ذلك إثارة الشر على الدواب:

ومن صور إثارة الشر على الدواب، تكليفها فوق ما تطيق، وتتبعها لقتلها بلا ضرورة، فمع أمر النبي ﷺ بقتل الحيات إذ قال: «**اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ، وَاقْتُلُوا ذَا الطُّفْيَتَيْنِ وَالأَبْتَرَ**[٥]**، فَإِنَّهُمَا يَطْمِسَانِ الْبَصَرَ، وَيَسْتَسْقِطَانِ**

---

(١) **صحيح**: (٦٢٥٦/ الاستئذان/ البخاري) (٢١٦٥/ السلام/ مسلم) كلاهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) **صحيح**: (٦٢٥٨/ الاستئذان/ البخاري) (٢١٦٣/ السلام/ مسلم) كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) **حسن**: (٢٧٣٩/ الأدب/ الترمذي) (٥٠٣٨/ الأدب/ أبي داود) (٤/ ٤١١ أحمد في المسند) (١/ ٣٢٣ الأدب المفرد) (٤/ ٢٩٨ المستدرك) (٦/ ٦٧ النسائي في الكبرى) جميعهم من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٤) **صحيح**: (٦٤٦٣/ الرقاق/ البخاري) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) يقال إن ذا الطفيتين؛ حنش يكون على ظهره خطان أبيضان، ويقال إن الأبتر؛ الأفعى، وقيل إنه؛ حنش أبتر كأنه مقطوع الذنب، وقال النضر بن شميل؛ الأبتر من الحيات صنف أزرق مقطوع الذنب لا تنظر إليه حامل إلا ألقت ما في بطنها، والله أعلم (١٦/ ٢١ التمهيد) (١٤/ ٢٢٩ شرح صحيح مسلم).

الْحَبَلَ»[1]، إلا أنه بينما هو جالس ﷺ مع أصحابه يوماً، إذْ خَرَجَتْ حَيَّةٌ مِنْ جُحْرِهَا فهموا بقتلها، فَدَخَلَتْ جُحْرَهَا، فَقَالَ ﷺ: «**وُقِيَتْ شَرَّكُمْ، كَمَا وُقِيتُمْ شَرَّهَا**»[2]، فلم يأمرهم النبي ﷺ بتتبعها وقتلها، لذا فإن ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما لما كان يَقْتُلُ كُلَّ حَيَّةٍ وَجَدَهَا لأمر النبي ﷺ، فَأَبْصَرَهُ أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ رضي الله عنه وَهُوَ يُطَارِدُ حَيَّةً فَقَالَ: إن النبي ﷺ قَدْ نَهَى عَنْ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ، فأمسك ابن عمر رضي الله عنهما عنها[3]، وكان ابن وهب ـ رحمه الله ـ يقول: سمعت مالكاً رحمه الله يقول في الحية توجد في المسجد: «إنها تقتل ولا يتقدم إليها»[4].

ومن قبيل إثارة الشر أيضاً على الدواب؛ سبها والدعاء عليها، فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وامْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ**»، قَالَ عِمْرَانُ رضي الله عنه، فكأني أَرَاهَا الآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ[5]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ، وَكَانَ النَّاضِحُ[6] يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ فَأَنَاخَهُ فَرَكِبَهُ ثُمَّ بَعَثَهُ، فَتَلَدَّنَ[7] عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ فَقَالَ لَهُ شَأْ لَعَنَكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ هَذَا اللاَّعِنُ بَعِيرَهُ**»، قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**انْزِلْ عَنْهُ فَلاَ تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى**

---

(١) **صحيح**: (٣٢٩٧/ بدء الوحي/ البخاري، واللفظ له) (٢٢٣٣/ السلام/ مسلم) كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح**: (٣٣١٧/ بدء الخلق/ البخاري) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: (٣٣١٢/ بدء الخلق/ البخاري) (٢٢٣٣/ السلام/ مسلم) كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) (٨/ ٥٢٥ الاستذكار).

(٥) **صحيح**: (٢٥٩٥/ البر والصلة والأدب/ مسلم) من حديث عمران رضي الله عنه.

(٦) بعير.

(٧) تلكأ وتوقف.

أَوْلاَدِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»[١].

بل إن المأثور عن النبي ﷺ مع الدواب عكس ذلك، وقد كان ﷺ يحسن الظن بدابته، ويرفق بها، وفي حديث الحديبية الطويل شاهد على ذلك؛ فقد بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ وهو على مشارف مكة، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ، فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا؛ خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، فذب النبي ﷺ عنها قائلاً: «**مَا خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ**»[٢].

(٢) ومنه إثارة الشر على الجن:

ومن صور ذلك:

الاستنجاء بالعظم والبعر الذي هو زادهم، وعلف دوابهم، فننجسه عليهم، قَالَ النبي ﷺ: «**أتاني داعي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ**»، قَالَ ابن مسعود ﵁: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ، وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ: «**لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْماً وَكُلُّ بَعَرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ**»، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**فَلاَ تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ**»[٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النبي ﷺ إِدَاوَةً لِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْبَعُهُ بِهَا فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا**»، فقال: أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ ﷺ: «**أبغنى أَحْجَاراً أَسْتَنْفِضْ بِهَا، وَلاَ تأتني بِعَظْمٍ وَلاَ بِرَوْثَةٍ**»، فَأَتَاه بِأَحْجَارٍ يَحْملها في طَرَفِ ثوبه حَتَّى وَضَعْهَا إِلَى جَنْبِهِ ثُمَّ انْصَرَفَ، حَتَّى إِذَا فَرَغ، قال: مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْثَةِ قَالَ ﷺ: «**هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجِنِّ، وَإِنَّهُ**

---

(١) **صحيح**: (٣٠١٤/ الزهد والرقائق/ مسلم) كلاهما من حديث جابر ﵁.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) **صحيح**: (٤٥٠/ الصلاة/ مسلم) من حديث ابن مسعود ﵁.

اتاني وَفْدُ جِنٍّ نَصِيبِينَ وَنِعْمَ الْجِنُّ، فسألوني الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لاَ يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلاَ بِرَوْثَةٍ إِلاَّ وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَاماً»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فوجه الدلالة أن النبي نهى أن يستنجى بالعظم والبعر الذي هو زاد إخواننا من الجن وعلف دوابهم، ومعلوم أنه إنما نهي عن ذلك لئلا ننجسه عليهم، ولهذا استنبط الفقهاء من هذا أنه لا يجوز الاستنجاء بزاد الإنس»[٢].

ثامناً: إثارة الشر على النفس:

وذلك بأن يجلب الإنسان بفعله شراً على نفسه، وقد تعمدت تذيل أبواب إثارة الشر، بهذا الباب، لأن كل الأبواب المتقدمة، تندرج تحته، فكل إثارة للشر على مسلم أو كافر أو جني قد تعود على الإنسان بالشرور العظيمة، ويكون قد جلبها على نفسه، ولا أجر له.

لكن في هذا الباب صور خاصة، قد لا تندرج تحت غيره.

أولاً: دعاء المرء في الغضب، على نفسه، أو ولده، أو امرأته، أو دابته.

فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ وامْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ**»، قَالَ عِمْرَانُ رضي الله عنه؛ فكأني أَرَاهَا الآنَ تَمْشِي في النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ[٣]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ، وَكَانَ النَّاضِحُ[٤] يَعْتَقِبَهُ مِنَّا

---

(١) صحيح: (٣٨٦٠/ مناقب الأنصار/ البخاري) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) (٢١/ ٥٧٧ مجموع الفتاوى).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) بعير.

الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ فَأَنَاخَهُ فَرَكِبَهُ ثُمَّ بَعَثَهُ، فَتَلَدَّنَ[١] عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ فَقَالَ لَهُ: شَأْ لَعَنَكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ هَذَا اللاَّعِنُ بَعِيرَهُ**»، قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**انْزِلْ عَنْهُ فَلاَ تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»[٢].

قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ مُعلقاً على الحديث المتقدم: «فهذا يدل على أن دعاء الغضبان قد يجاب إذا صادف ساعة إجابة، وأنه ينهى عن الدعاء على نفسه وأهله وماله في الغضب.

وأما ما روي عن مجاهد ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ (يونس: ١١) قال: «فهذا يدل على أنه؛ لا يستجاب ما يدعو به الغضبان على نفسه وأهله وماله»[٣]، فالحديث يدل على أنه قد يستجاب لمصادفته ساعة إجابة[٤].

---

(١) تلكأ وتوقف.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ليس بثابت عن مجاهد رحمه الله؛ (١١/ ١٠٩ جامع البيان)، فالأثر من طريقين:

«**الأول**»: رواية ابن أبي نجيح عنه، قال الحافظ (أكثر عن مجاهد وكان يدلس عنه، وصفه بذلك النسائي) (٣٩/ طبقات المدلسين)، وقال يحي بن سعيد (لم يسمع ابن أبي نجيح التفسير من مجاهد) وقال ابن حبان (ابن أبي نجيح نظير ابن جريج في كتاب القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في التفسير رويا عن مجاهد من غير سماع) (٣/ ٢٨٤ التهذيب)، وباستقراء روايات ابن أبي نجيح عن مجاهد يتبين أن ليس فيها تصريحا بالتحديث واحد - فيما علمت، والله أعلم.

«**الثاني**»: رواية ابن جريج عنه؛ وسبق بيان أنه لم يسمع التفسير من مجاهد، بل قال البرديجي وابن معين؛ (لم يسمع من مجاهد إلا حرفا) (٣/ ٥٠١، ٦/ ٧٤ التهذيب)، فضلا عن هذا فإن ابن جريج وهو ثقة فاضل كان يرسل ويدلس (١/ ٣٨٩ التقريب) ولم يصرح بالتحديث.

(٤) (٢١٥/ جامع العلوم والحكم) بتصرف.

ويشهد لصحة ما قرره **الحافظ** «رحمه الله»: «حضُ النبي ﷺ الغضبان على السكوت، وكظم الغيظ، واتخاذ الأفعال التي من شأنها إذهابه نحو الاستعاذة بالله عز وجل من الشيطان، وتغير الهيئة التي عليها الغضبان - وسيأتي بيانه في بابه إن شاء الله - كسبيل من سبل ترك إثارة الشر.

ثانياً: الخصومة:

ففي باب؛ حرمان النفس من الخير بالخصومة؛ ما رواه الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النبي ﷺ في شِرَاجِ الْحَرَّةِ التي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ فَقَالَ الأنصاري سَرِّحِ الْمَاءَ يَمُرُّ فَأَبَى عَلَيْهِ، فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النبي ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: «**اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ**»، فَغَضِبَ الأنصاري، فَقَالَ أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ**»، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ إني لأَحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ في ذَلِكَ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[1] (النساء: ٦٥).

عن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه قال: «**إن الخصومة لها قحم، وإن الشيطان يحضرها**»[2]، قيل القحم: المهالك[3].

وقال الأئمة: والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما، حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر، ويحزن لمسرته، ويطلق لسانه في عرضه فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات، وأقل ما فيها

---

(١) **صحيح**: (٢٣٥٩/ المساقاة/ البخاري) (٢٣٥٧/ الفضائل/ مسلم) كلاهما من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

(٢) (٣/ ٢٦٦ الأم).

(٣) (٢٢١/ الكبائر) (٨٦٤/ الأذكار).

اشتغال القلب حتى أنه يكون في صلاته وخاطره متعلق بالمحاجة والخصومة، فلا تبقى حاله على الاستقامة، والخصومة مبدأ الشر، وكذا الجدال والمراء، فينبغي للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لا بد منها»[١].

ثالثاً: أن يضع المرء نفسه موضع الريب والتهم والظنون:

قال أمير المؤمنين عليّ: «من وضع نفسه مواضع التهمة، فلا يلومن من أساء به الظن»[٢].

ومن مواضع الريب والتهم؛ مجالس أهل السوء، ففي الحديث: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ،لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً**»[٣].

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن مقتدي
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

ومن مواطن الشبهات والريب:

(١) أماكن الفساد. (٢) وأماكن تجمع النساء.

رابعاً: الوقوع في الأفعال التي في ظاهرها تستوجب التقريع على خلاف حقيقتها، وذلك دون بيان هذه الحقيقة وحجتها.

ففي الصحيحين أن النبي ﷺ اعتكف، فَأَتَته أم المؤمنين صفية رضي الله عنها لَيْلاً تَزُورُهُ، فَمَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ فَلَمَّا أبصراه أَسْرَعَا، قَالَ ﷺ لهما: «**عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**»، فَقَالاَ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**إِنَّ**

---

(١) الإمام الذهبي رحمه الله (٢٢١/ الكبائر)، الإمام النووي رحمه الله (٨٦٤/ الأذكار).

(٢) (٥٣٣/ نهج البلاغة).

(٣) **صحيح:** (٢١٠١/ البيوع/ البخاري) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وإني خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ في قُلُوبِكُمَا شَرّاً»[١]، وفي الباب أدلة أخرى، سيأتي بيانها، في باب؛ دفع التهمة عن النفس، وألا يضعها المرء مواضع التهم في الفصل التالي.

وخطر هذه الصورة من صور إثارة الشر على الناس وإيقاعهم في الفتن، يزداد ويتأكد في حق العالم والمُعلم والمؤدب والقاضي والمفتي وغيرهم ممن يقتدي بهم.

قال الإمام النووي «رحمه الله»: «يستحب للعالم والمعلم آداب، والقاضي والمفتى والشيخ المربى وغيرهم ممن يقتدى به ويؤخذ عنه، أن يجتنب الأفعال والأقوال والتصرفات التي ظاهرها خلاف الصواب وإن كان محقا فيها، لأنه إذا فعل ذلك ترتب عليه مفاسد من جملتها:

- توهم كثير ممن تعلم ذلك منه أن هذا جائز على ظاهره بكل حال، وأن يبقى ذلك شرعاً وأمراً معمولاً به أبداً.
- ومنها وقوع الناس فيه بالنقص، واعتقادهم نقصه وإطلاق ألسنتهم بذلك.
- ومنها أن الناس يسيئون الظن به، فينفرون عنه، ويُنفِرون غيرهم عن أخذ العلم عنه، وتسقط رواياته وشهادته، ويبطل العلم.

وهذه مفاسد ظاهرة فينبغي له اجتناب أفرادها، فكيف بمجموعها، فإن احتاج إلى شيء من ذلك وكان محقاً في نفس الأمر لم يظهره، فإن أظهره أو رأى مصلحة في إظهاره ليعلم جوازه وحكم الشرع فيه، فينبغي أن يقول: هذا الذي فعلته ليس بحرام، وإنما فعلته لتعلموا أنه ليس بحرام إذا كان على هذا الوجه الذي فعلته وهو كذا، ودليله كذا وكذا»[٢].

---

(١) صحيح: (٢١٧٥/ السلام/ مسلم) (٣٢٨١/ بدء الخلق/ البخاري) كلاهما من حديث أم المؤمنين صفية رضي الله عنها.

(٢) (٤٤٣/ الأذكار).



فصلٌ في:

سبل ترك إثارة الشر على الناس وبيان كيف يزال الشر

تمهيد:

ترك إثارة الشر فقه لا يناله إلا من اعتصم بالكتاب والسنة، وعرف منهج السلف والتزم به، وكذا علم بمقاصد الشريعة الغراء ومراتب الأحكام، وجمع أدلة الباب قبل أن يتكلم المرء فيه، وأمعن النظر فيها وفي مدى صحتها وسلامتها، والمراد بألفاظها، فإن لم يكن ثمة دليل تكلم بالآثار الواردة عن الصحابة والمتقدمين من السلف، وعلم أن الأخذ بها أولى من الأخذ بآراء المتأخرين والمعاصرين، فقرب المجتهد إلى الصواب بحسب قربه من عصر الرسول ﷺ.

أنشد أبو المظفر السمعاني، إلى أبي بكر بن أبي داود السجستاني «رحمهما الله»، يقول:

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ... ولا تك بدعيا، لعلك تفلح

ولذ بكتاب الله والسنة التي ... أتت على رسول الله تنجو وتربح

ودع عنك آراء الرجال وقولهم ... فقول رسول الله أزكى وأشرح

إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ... فأنت على خير، تبيت وتصبح

ومن أهم الأسباب المعينة علي ترك إثارة الشر علي الناس:

تمييز الوقائع، والإلمام بالقرائن المحتفة بها، كذا التوقف والتأني في إسقاط الأحكام على الناس حتى تقدر أحوالهم وتعلم أعذارهم، وتقام عليهم الحجة، وتفهم لهم.

فقد قال النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنه لما هموا بالأعرابي الذي بال في المسجد: «**لا تزرموه**» ثم قال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء**»[(١)].

كذا من الأسباب المعينة؛ ضبط العلاقة بين المسلم والكافر، وبين الحاكم والمحكوم، ومعرفة مراتب الناس وإنزالهم منازلهم، وإقالة ذوي الهيئات عثراتهم، وقد أقال النبي ﷺ حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، وأقال أبو بكر مسطح بن أثاثة رضي الله عنهما، قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «لا يعرف فضل أهل العلم، إلا أهل الفضل»، وقال الإمام الماوردي «رحمه الله»: «أعلم أن للمتعلم تملقا وتذللا فإن استعملهما غنم وإن تركهما حرم، لأن التملق للعالم يظهر مكنون علمه والتذلل له سبب لإدامة صبره»[(٢)].

إن المعـلم والطبيـب كـليهما ··· لا ينصـحان إذا همـا لم يكـرمـا
فاصبر لدائك إن أهنت طبيبه ··· واصبر لجهلك إن جفوت معلما

ومن الأسباب المعينة: معرفة فقه الكلام، وبيانه وإيضاحه للمخاطب، وقد كان كلام النبي ﷺ فصلا يفهمه كل من يسمعه، وكثيرا كان ما إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه وبحسب أهميتها، وإذا أتى على قوم، سلم عليهم ثلاثاً[(٣)]، قال سهل بن هارون «رحمه الله»: «سياسة البلاغة، أشدُ من البلاغة»[(٤)].

لئن عشقت أُذني كلاماً سمعْتُهُ ··· فقلبي إذاً لا شكّ باللحظِ أعشقُ
وكيف تناسى من كأنّ كلامه ··· بـأُذْني ولـو عّريـت قـرْط معلّـقُ

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) (٨٨/ أدب الدنيا والدين).
(٣) صحيح: (٩٥/ العلم/ البخاري) من حديث أنس رضي الله عنه عَنِ النبي ﷺ أَنَّهُ: «كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثاً حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثاً».
(٤) (٤/ ٢٧٢ العقد الفريد).

هذه كلها من أعظم الأسباب المعينة على ترك إثارة الشر على الناس ؛ وهو أدب وسنة هجرها أكثر المسلمون في زماننا ، وأصبحوا في حاجة ملحة إلى بيانها والدعوة إليها لما لها من أثر فعال في عصمة دمائهم وأموالهم.

فسالم الناس تسلم من غوائلهم[1] ... وكن حريصا على كسب التقيات
وخالق الناس واصبر ما بليت ... أصم أبكم أعمى ذا التقيات

وآثرت أن أفصل في بعض السبل المعينة على ترك إثارة الشر ، والتي وجدت نصوص القرآن الكريم والسنة المشرفة قد تناولتها وبينتها.

أولاً: احتراز المواجهة بالمكروهِ مع حصولِ المقصودِ دونه:

حسن اختيار اللفظ ، وعدم المواجهة بالإثم ، أهم سبل ترك إثارة الشر ، ودرء الفتن ، وقد كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل ما بال فلان يقول ، ولكن يقول : «**ما بال أقوام يقولون كذا وكذا**»[2] ، ومنه قوله ﷺ : «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطاً لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ**»[3] ، وقوله : «**مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ**»[4] ، وقوله : «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ**

---

(١) المضرة البالغة.

(٢) صحيح بشواهده: (٤٧٨٨/ الأدب/ أبي داود) (١/ ٢٣٧ دلائل النبوة) كلاهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وفي سنده عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني ؛ صدوق يخطئ (٣٣٤/ التقريب) ، وللحديث شواهد عدة صحيحة ، ذكرنا بعضها.
وفي الباب خبر ضعيف عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «وكان ﷺ قلما يواجه رجلا في وجهه بشيء يكرهه» (٤١٨٢/ الترجل/ أبي داود) (٣/ ١٥٤ أحمد في المسند) (٦/ ٦٨ النسائي في الكبرى) (٢٠٨/ الترمذي في الشمائل) (١/ ١٥٦ الأدب المفرد) (١٢٨/٢ شرح معاني الآثار) جميعهم من حديث أنس رضي الله عنه ؛ وفي سنده سلم بن قيس العلوي ؛ ضعيف (٢٤٦/ التقريب).

(٣) صحيح: (٤٥٦/ الصلاة/ البخاري) (١٥٠٤/ العتق/ مسلم) كلاهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه .

(٤) صحيح: (٣٥١٨/ المناقب/ البخاري) (٢٥٨٤/ البر والصلة والأدب/ مسلم) كلاهما من حديث جابر رضي الله عنه .

عَنِ الشيءِ أَصْنَعُهُ»[١]، وقوله: «**لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة**»[٢]، وقوله: «**مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبْعَثُهُ**»[٣].

وكان هذا دأب النبي ﷺ دائما حتى وفي أشد ما يكون من الغضب فقد جاءه رجل فقال له: يا رسول الله إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل فلان فيها فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً ثم قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ**»[٤]، فلم ينهره ﷺ وإنما أعلمه وأعلم القوم بغرضه دون أن يواجهه بما فعل.

ولقد كان هذا أيضاً من شيمة نبي الله يوسف عليه السلام، حتى وهو في أشد ما يلاقيه من المحنة، قال الله تعالى: حاكياً قوله بعد ما أوذي من امرأة العزيز التي جلبت عليه الشرور، وكانت سبباً في الزج به في غياهب السجون، قال لرسول الملك بعد ما أذن له في الخروج من السجن ـ طلباً لبراءة ساحته: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ (يوسف: ٥٠).

يقول الإمام القرطبي «رحمه الله»: «ذكر النساء جملة، ليدخل فيهن امرأة العزيز مدخل العموم بالتلويح، حتى لا يقع عليها تصريح، وذلك حسن عشرة وأدب وفي الكلام محذوف»[٥].

---

(١) **صحيح**: (٦١٠١/ الأدب/ البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها) (١٤٠١/ النكاح/ مسلم من حديث أنس رضي الله عنه)

(٢) **صحيح**: (٤٢٨/ الصلاة/ مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه) (٧٥٠/ الآذان/ البخاري من حديث أنس رضي الله عنه)

(٣) **صحيح**: (٧١٧٤/ الأحكام/ البخاري) (١٨٣٢/ الإمارة/ مسلم) كلاهما من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه

(٤) سبق تخريجه.

(٥) (٩/ ١٧٥ الجامع لأحكام القرآن)

وقال الإمام الشوكاني «رحمه الله»: «سكت عن امرأة العزيز رعاية لذمام الملك العزيز، أو خوفا منه من كيدها وعظيم شرها، وذكر السؤال عن تقطيع الأيدي، ولم يذكر مراودتهن له تنزها منه عن نسبة ذلك إليهن»[١].

وأما السلف الكرام ـ رحمهم الله ـ، فقد امتثلوا هذا الأدب والسلوك، وفي الباب ما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَخْطُبُ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَعَرَّضَ بِهِ عُمَرُ فَقَالَ: «مَا بَالُ رِجَالٍ يَتَأَخَّرُونَ بَعْدَ النِّدَاءِ، فَقَالَ عُثْمَانُ؛ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا زِدْتُ حِينَ سَمِعْتُ النِّدَاءَ أَنْ تَوَضَّأْتُ ثُمَّ أَقْبَلْتُ، فَقَالَ عُمَرُ: وَالْوُضُوءَ أَيْضاً، أَلَمْ تَسْمَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ**»[٢].

والإمام العَلَمُ يحي بن معين «رحمه الله»، وهو من هو في الذب عن حديث النبي ﷺ، حتى أن الإمام أحمد رحمه الله يقول: «كل حديث لا يعرفه ابن معين، فليس هو بحديث»، وأبو حاتم الحافظ «رحمه الله» يقول: «إذا رأيت الرجل يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيته يبغض بن معين فاعلم أنه كذاب»، وقال محمد بن هارون الفلاس «رحمه الله»: «إذا رأيت الرجل يقع في ابن معين فاعلم أنه كذاب، إنما يبغضه لما بين من أمر الكذابين»، ومع ذلك فإن جرأته في الحق، وصرامته في الدين لم تمنعه من التزام أدب الباب، يقول «رحمه الله»: «وما استقبلت رجلا في وجهه بما يكره، ولكن أبين له خطأه فإن قبل، وإلا تركته»[٣].

ولا يكون احتراز المواجهة بالمكروهِ بالتعريضِ بالكلامِ فقط، وإنما قد يكون بتصرف من المرء أو بتغير وجهه، على نحو غير معهود منه:

---

(١) (٣/ ٤٨ فتح القدير).

(٢) صحيح: (٨٤٥/ الجمعة/ مسلم).

(٣) (١١/ ٢٥٠ تهذيب التهذيب) بتصرف.

كما حدث مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ؛ اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **قَامَ عَلَى الْبَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْهُ**، فَعَرَفَتْ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، فَقَالتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ مَاذَا أَذْنَبْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**إِنَّ الْبَيْتَ الذي فِيهِ الصُّوَرُ لا تَدْخُلُهُ الْمَلائِكَةُ**»(١).

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ»(٢).

وفي البخاري من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال: كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذاً بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**»، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: إني كَانَ بيني وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شيء فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَالَ: «**يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**» ثَلاثاً، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ فَقَالُوا لاَ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النبي ﷺ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النبي ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ بعثني إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وواساني بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لي صاحبي**»(٣).

كذا يتصل بهذا السبيل من سبلِ ترك إثارة الشر التأدب بآداب النصح والإرشاد، ومنها:

---

(١) صحيح: (٢١٠٥/ البيوع/ البخاري) (٢١٠٧/ اللباس والزينة/ مسلم) كلاهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٢) صحيح: (٦١٠٢/ الأدب/ البخاري) (٢٣٢٠/ الفضائل/ مسلم) كلاهما من حديث أبي سعيد رضي الله عنه

(٣) صحيح: (٣٦٦١/ فضائل الصحابة/ البخاري) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

أولاً: إسرار النصيحة:

وذلك حتى لا يظن المؤدى إليه، بأن الناصح يتكبر أو يتعالى عليه، وحتى لا تأخذه العزة بالإثم، **قال شيخ الإسلام** «رحمه الله»: «ليكن أمرك بالمعروف معروفا، ونهيك عن المنكر بلا منكر»، فلا يستقيم نصح أي إنسان مع جرح مشاعره، وتقويمه مع فضح أمره، ورده إلى الحق مع إفشاء سره، وهدايته إلى الصواب مع إهانته واتهامه.

تعمّدني بنصحك في انفراد ... وجنّبني النصيحةَ في الجماعة
فإن النُّصح بين الناس نوعٌ ... من التوبيخِ لا أرضى استماعَه
فإن خالفتني وعصيتَ قولي ... لا تجزع إذا لم تُعطَ طاعة

قِيلَ لأُسَامَةَ بن زيد رضي الله عنهما ؛ أَلاَ تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ فَقَالَ: أَتُرَوْنَ أَنِّي لاَ أُكَلِّمُهُ إلاَّ أُسْمِعُكُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بيني وَبَيْنَهُ، مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْراً لاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ وَلاَ أَقُولُ لأَحَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيراً إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ، بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ**[1] **بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلاَنُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى: قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**»[2].

---

(١) أقتابه: أمعاؤه، والاندلاق: خروج الشئ من مكانه.

(٢) صحيح: (٢٩٨٩/ الزهد والرقائق/ مسلم) (٣٢٦٧/ بدء الخلق/ البخاري) كلاهما من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

قال الإمام النووي «رحمه الله»: وفيه الأدب مع الأمراء واللطف بهم ووعظهم سرا، وتبليغهم ما يقول الناس فيهم لينكفوا عنه، وهذا كله إذا أمكن ذلك، فإن لم يمكن الوعظ سرا والإنكار فليفعله علانية لئلا يضيع أصل الحق (٩/ ٣٤٥ شرح صحيح مسلم).

الشاهد: قوله: «أَتُرَوْنَ أَنِّي لاَ أُكَلِّمُهُ إِلاَّ أُسْمِعُكُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بيني وَبَيْنَهُ» قال الإمام الشافعي «رحمه الله»: «من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه»[1].

وعن عبد الرحمن بن مطرف «رحمه الله» قال: «كان الحسن بن حي إذا أراد أن ينصح أخا له، كتبه في ألواح و ناوله»[2]، والإمام ابن معين «رحمه الله» ـ وسبق أن ذكرنا صرامته في الحديث، وشدته في الحق ـ يقول: «أخطأ عفان في نيف وعشرين حديثا، ما أعلمت به أحداً وأعلمته فيما بيني وبينه، ولقد طلب إلى خلف بن سالم أن أذكرها فما قلت له، وما رأيت على رجل قط خطأ إلا سترته»[3].

ثانياً: تذكير المرء بآبائه وسلفه الصالحين:

دلنا الله عز وجل على هذا الأدب في كتابه، وتكرر الإرشاد إليه فيه، وفي سنة نبينا محمدا ﷺ، وخطاب الصحابة رضي الله عنهم، قال تعالى مذكرا بني إسرائيل بآبائهم: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝ ﴾ (الأسراء: ٢، ٣)، فالذين ركبوا مع نوح هم الصالحون، فلم يركب معه ولده الكافر، أو امرأته الكافرة، وقال بنو إسرائيل لمريم ـ عليها السلام ـ: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝ ﴾ (مريم: ٢٨)، وكَانَ ابن عمر رضي الله عنهما إِذَا سَلَّمَ عَلَى ابْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه قَالَ: «السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذي الْجَنَاحَيْنِ»[4].

---

(١) (٤٧٢/ منهاج الصالحين)

(٢) (٦/ ١١٢ شعب الإيمان).

(٣) (١١/ ٢٥٠ تهذيب التهذيب) بتصرف.

(٤) صحيح: (٣٧٠٩/ فضائل الصحابة/ البخاري).

وهذا الأدب له آثار حسنة، فهو إما أن يهيج المؤدى إليه النصيحة ويحفزه على فعل الخيرات، وإما أن يردعه عن ارتكاب المنكرات، أو يمنعه من أن يتعرض بالشر لمن علم سيرة آبائه وأجداده.

ثالثاً: بشاشة الوجه، ولطف العبارة:

في صحيح مسلم عَنْ أَبِى ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي النبي ﷺ: **«لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»**[١].

وجهٌ عليه من الحياء سكينةٌ ... ومحبةٌ تجري مع الأنفاس
وإذا أحب الله يوما عبدهَ ... ألقى عليه محبةً للناس

وقد وصف عبد الله بن المبارك حسن الخلق، فقال: «هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى»[٢].

وقال بعض السلف: «لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك طلقا، تكن أحب إلى الناس ممن يبذل لهم العطاء»[٣].

وأنشد سلام بن أبي مطيع ـ رحمه الله ـ قائلاً:

تراه إذا ما جئتَه متهللا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاء بها فليتق الله سائله
هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلُجّته المعروفُ والجودُ ساحله

---

(١) صحيح: (٢٦٢٦/ البر والصلة والأدب/ مسلم) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) (٢٠٠٥/ البر والصلة/ الترمذي). وفي الباب خبر ضعيف، أن النبي ﷺ قال: «**إنكم لا تسعون الناس بأموالكم وليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**» (١/ ٢١٢ المستدرك) (١١/ ٤٢٨ أبي يعلى) (٦/ ٢٥٣ شعب الإيمان) (٥٣٦/ ابن راهوية) جميعهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي سنده عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري؛ متروك (٣٠٦/ التقريب).

(٣) (٤٩، ٥٠/ حياة التابعين).

وفي باب: لطف العبارة: حديث الأعرابي الذي بال في المسجد بحضرة النبي ﷺ فهمَّ به الصحابة، فقال لهم ﷺ: «**لا تزرموه**»[١]، ثم قال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء**»[٢].

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ بَيْنَا أَنَا أُصَلِّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ»، فَرَمَانِى الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَىَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِى، لَكِنِّى سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبِأَبِى هُوَ وَأُمِّى مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِى[٣]، وَلاَ ضَرَبَنِى وَلاَ شَتَمَنِى قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَىْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**»[٤].

قال الإمام النووي «رحمه الله»: «فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته، وشفقته عليهم، وفيه؛ التخلق بخلقه في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه»[٥].

قال أبو عون الأنصاري «رحمه الله»: «ما تكلم الناس بكلمة صعبة، إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها»[٦].

وقال الشيخ العلامة بكر أبو زيد ـ حفظه الله: «فإن الخطاب اللين، يتألف القلوب الناشزة»[٧].

---

(١) أي لا تقطعوا عليه بولته.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أي ما انتهرني.
(٤) صحيح: (٥٣٧/ المساجد/ مسلم) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.
(٥) (٣/ ٢٧ شرح صحيح مسلم).
(٦) (٣/ ٢٧٠ الإحياء).
(٧) (٢٣/ حلية طالب العلم).

سـيدي علـل الفـؤاد العليلا ... وأحـيني قـبل أن تـراني قتـيلا
تكـن عازمـاً علـى قـتل روحـي ... فـترفّق بهـا قليلاً قليلا

ثانياً: اختيار أيسر الأمرين:

قال الله عز وجل في صفة نبيه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ١٠٧﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وقال: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ (التوبة: ٦١)، وقال أيضاً: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، فمع حرصه ﷺ أن يهديهم وأن يأخذ بأيديهم إلى الجنة، إلا أنه في ذلك رؤوف رحيم ليس بفظ ولا غليظ كان يقول: «**خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ**»[1]، وكان هديه ﷺ اختيار أيسر الأمور كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «ما خُيّر رسول الله ﷺ في أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً كان أبعد الناس منه»[2]، وقال ﷺ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وابشروا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وشيء مِنَ الدُّلْجَةِ**»[3]، وأوصى ﷺ أبا موسى ومعاذ رضي الله عنهما لما بعث بهما إلى اليمن فقال: «**يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا**»[4].

السـهـل أهـون مسـلكا ... فـدع الطـريق الأوعـر

وقد حذا أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ حذوه ﷺ وصدق فيهم قول الشاعر:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

وفي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَداً عَمَلُهُ**» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «**وَلاَ أَنَا، إِلاَّ أَنْ يتغمدني اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ، وَإِنْ قَلَّ**»، سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

هيـنـون ليـنـون أيسـار بـنـو يسـر ... صـيـد بهـا لـيـل حـافظـون لـلـجـار
مـن تلق منهم تقول لقيت سيدهم ... مـثـل النجوم التي يسري بها السار

وينبغي مراعاة قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «ما لم يكن إثما كان أبعد الناس منه»، وهذا هو المقصود وليس المقصود إتيان المنكر وتثبيط الناس عن إزالته.

ثالثاً: إذا تواردت المفاسد اختيار أقلها ضررا؛ ودرء المفاسد مقدم على جلبِ المصالحِ:

وهما أصلان هامان في الشريعة، الأدلة عليهما من القرآن والسنة كثيرة؛ ومنها قول الله ﷻ: ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ (الأنعام: ١١٩)؛ وقوله: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

قال العلامة ابن القيم «رحمه الله»: «فحرم الله تعالى سب آلهة المشركين ـ مع كون السب غيظا لهم وحمية لله وإهانة لآلهتهم ـ لكونه ذريعة إلى سبهم الله تعالى، وكانت مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من مصلحة سبنا لآلهتهم، وهذا كالتنبيه، بل كالتصريح على المنع من الجائز، لئلا يكون سببا في فعل ما لا يجوز»[1].

وكذا فعلُ الخضر عليه السلام لما ركب السفينة: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ (الكهف: ٧٩)، فكان خرق السفينة أولى من اغتصاب الملك الظالم لها، كذلك كان قتله الغلام أولى من إرهاق والديه طغيانا وكفرا: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ (الكهف: ٨٠).

---

(١) (٤٣١/ الأذكار).

ولما سحر لبيد بن الأعصم اليهودي، النبي ﷺ وعلم به، اختار أقل المفسدتين؛ فلم ينتقم لنفسه خشية أن يثور على الناس من ذلك شر وقال: «**آما والله فقد شفاني، وأكره أن أثير علي أحد من الناس شرا**»[1].

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ معلقاً على هذا: «وإشاعة هذا ـ يقصد إخراج السحر وإحراقه كما سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ـ ضرراً وشراً على المسلمين من تذكر السحر أو تعلمه وشيوعه والحديث فيه، أو إيذاء فاعله فيحمله ذلك أو يحمل بعض أهله ومحبيه والمتعصبين له من المنافقين وغيرهم على سحر الناس وأذاهم، وانتصابهم لمناكدة المسلمين بذلك، هذا من باب ترك مصلحة لخوف مفسدة أعظم منها، وهو من أهم قواعد الإسلام»[2].

قال الحافظ ابن حجر «رحمه الله»، مُعلقاً على حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**يَا عَائِشَةُ؛ لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ، لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ، فَأَلْزَقْتُهَا بِالأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ بَاباً شَرْقِيًّا وَبَاباً غَرْبِيًّا، وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ، فَإِنَّ قُرَيْشاً اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ**»[3]، قال الحافظ: «ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة، ومنه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه»[4].

ونقل **العلامة ابن القيم** عن **شيخه ابن تيمية** «رحمهما الله» قوله: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه وقلت: «إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله والصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال منهم»[5].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢ (٧/ ٤٣٣ شرح صحيح مسلم).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) (١/ ٢٢٥ فتح الباري).
(٥) (٤/ إعلام الموقعين)

ومر سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ مع أحد أصحابه يوما بشرطي نائم وقد حان وقت الصلاة فذهب صاحبه يحركه فصاح سفيان: «مه» فقال: يا أبا عبد الله يصلى، فقال: «دعه لا صلى الله عليه، فما استراح الناس حتى نام هذا»[١].

وهكذا.. فإذا تعارضت مفسدة ومصلحة، فدفع المفسدة مقدم في الغالب، إلا أن تكون المفسدة مغلوبة؛ وذلك لأن اعتناء الشرع بترك المنهيات أشد من اعتنائه بفعل المأمورات، لما يترتب على المناهي من الضرر المنافي لحكمة الشارع في النهي[٢].

رابعاً: عدم تنفير الناس من الدين، ولكن تأليف قلوبهم عليه:

وخير شاهد لهذا الوجه من وجوه ترك إثارة الشر على الناس حديث الأعرابي الذي بال في المسجد فهم به الصحابة رضي الله عنهم، فقال لهم النبي ﷺ: «**لا تزرموه**»، ثم قال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء**»[٣]، فالنفس البشرية جبلت على حب من يتودد ويحسن إليها كذا جبلت على طاعة من يسدي النصيحة إليها بأدب، فمن لانت كلمته وجبت محبته، قال الله عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وقد أوصى النبي ﷺ أبا موسى ومعاذ رضي الله عنهما لما بعث بهما إلى اليمن فقال: «**يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا**»[٤]، أي بشرا الناس بقبول الله الطاعات وقبوله التوبة وعفوه ومغفرته ولا تخوفوهم بالمبالغة في إنذارهم حتى

---

(١) (٧/ ٤١ حلية الأولياء).
(٢) (٢٦٥/ الوجيز في قواعد الفقه).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.

تُقنطوهم من رحمة الله، وليس المقصود تأليف قلوب الناس على الدين بالكلمة فحسب، وإنما بالسلوك أيضاً فقد أمّ معاذ رضي الله عنه الناس يوما فقرأ سورة البقرة فتنحى رجل من خلفه فصلى وحده ثم بَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذاً نَالَ مِنْهُ، فَأَتَى النبي ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: **«يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ؛ فَلَوْلاَ صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّى وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الْحَاجَةِ»**[١].

قال الإمام البغوي «رحمه الله»: قوله: «**أفتان أنت**»، أي تصرف الناس عن الدين وتحملهم على الضلال ومن قوله تعالى: ﴿ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴾ (الصافات: ١٦٢)؛ أي بمضلي[٢]، وقال الإمام النووي رحمه الله: أي منفر عن الدين وصاد عنه[٣].

وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يوما فقال له إني لأتـأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب ﷺ غضباً شديداً ثم قال: «**يا أيها الناس إن منكم منفرين فمن أم الناس فليتجوز، فإن خلفه الضعيف والكبير و ذا الحاجة**»[٤].

وفي الباب قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لأبي وائل «رحمه الله»: «لَقَدْ أَتاني الْيَوْمَ رَجُلٌ، فسألني عَنْ أَمْرٍ مَا دَرَيْتُ مَا أَرُدُّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلاً مُؤْدِياً نَشِيطاً، يَخْرُجُ مَعَ أُمَرَائِنَا فِي الْمَغَازِي، فَيَعْزِمُ عَلَيْنَا فِي أَشْيَاءَ لاَ نُحْصِيهَا، فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِى مَا أَقُولُ لَكَ إِلاَّ أَنَّا كُنَّا مَعَ النبي ﷺ فَعَسَى أَنْ لاَ يَعْزِمَ عَلَيْنَا فِي أَمْرٍ إِلاَّ مَرَّةً حَتَّى نَفْعَلَهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَنْ يَزَالَ بِخَيْرٍ مَا اتَّقَى اللَّهَ، وَإِذَا شَكَّ فِي

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) (٣/ ٧٣ شرح السنة).
(٣) (٤/ ١٨٢ شرح صحيح مسلم).
(٤) سبق تخريجه.

نَفْسِهِ شيء سَأَلَ رَجُلاً فَشَفَاهُ مِنْهُ، وَأَوْشَكَ أَنْ لاَ تَجِدُوهُ، والذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ مَا أَذْكُرُ مَا غَبَرَ [١] مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ كَالثَّغْبِ[٢] شُرِبَ صَفْوُهُ وَبَقِيَ كَدَرُهُ [٣].

ومن أهم سبل تأليف الناس على الدين:

أولاً: الرفق:

قال تعالى يخاطب نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾

(آل عمران: ١٥٩).

فالرفق أقصر الطرق للوصول إلى القلوب وأيسرها، والكلمة الطيبة والبسمة الحانية راحلة الرفيق في هذا الطريق، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ**»[٤].

وقال أيضاً: «**إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**»[٥].

وقال: «**إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»[٦] وقال: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ**»[٧].

---

(١) أي مضى.

(٢) قال القزاز: وهو الغدير يكون في ظل فيبرد ماؤه ويروق، وقيل هو ماء يحتفره السيل في الأرض المنخفضة فيصير مثل الأخدود، فيبقى الماء فيه فتصفقه الريح فيصير صافياً بارداً.
وقيل: هو نقرة في صخرة يبقى فيها الماء كذلك، فشبه ما مضى من الدنيا بما شرب من صفوه، وما بقي منها بما تأخر من كدره (١٠٥ : ١٠٦ / أحاديث الفتن والملاحم).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) **صحيح**: (٢٥٩٤/ البر والصلة والأدب/ مسلم) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٥) **صحيح**: (٦٩٢٧/ استتابة المرتدين/ البخاري) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٦) **صحيح**: (٢٥٩٣/ البر والصلة والأدب/ مسلم) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٧) **صحيح**: (٢٥٩٢/ البر والصلة والأدب/ مسلم) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

وفي باب الرفق بالناس في الصلاة:

حديث معاذ رضي الله عنه المتقدم، وفي الباب: حديث أبي قتادة رضي الله عنه عند البخاري؛ كان رسول الله ﷺ يقُوم في الصَّلاَةِ يُرِيدُ أَنْ يُطَوِّلَ فِيهَا، فَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصبي، فَيَتَجَوَّزُ فيها كراهِيَةَ أَنْ يشُقَّ عَلَى أُمِّه[١].

وفي باب الرفق في الموعظة:

حديث الأعرابي الذي بال في المسجد، ومنه قال أبـو عون الأنصاري «رحمه الله»: «ما تكلم الناس بكلمة صعبة، إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها»[٢].

قال الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد ـ حفظه الله ـ: «فإن الخطاب اللين يتألف القلوب الناشزة»[٣].

سيدي علل الفؤاد العليلا ... وأحيني قبل أن تراني قتيلا
إن تكن عازماً على قتل روحي ... فترفَّق بها قليلاً قليلا

وقد دخل واعظ على المأمون ـ الخليفة العباسي، فقال يا أمير المؤمنين: اسمع مني كلاما غليظا قال: لا والله لا أسمع، قال الواعظ: ولما، قال المأمون: يا هذا إن الله أرسل من هو خير منك إلى من هو شر مني فقال له: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ (طه: ٤٤).

لانت الأخلاق منهم فغدوا ... أنجما في الفضل والنبل القويم
وتغالت مهج في حبهم ... فهمُ من كل قلب في الصميم

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) (٣/ ٢٧٠ الإحياء).
(٣) (٢٣/ حلية طالب العلم).

ثانياً: الإحسان إليهم:

ومن هذا الباب: ضرب الله عز وجل للمؤلفة قلوبهم؛ وهم حديثي العهد بالإسلام، سهماً مفروضاً من الزكاة، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

(التوبة: ٦٠).

وكان النبي ﷺ، يعطيهم الأموال الجزيلة ويمنع غيرهم، وذلك حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم، ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه، قال: قَالَ نَاسٌ مِنَ الأَنْصَارِ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَا أَفَاءَ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ، فَطَفِقَ النبي ﷺ يُعْطِي رِجَالاً الْمِائَةَ مِنَ الإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَحُدِّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَقَالَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا، قَامَ النبي ﷺ فَقَالَ: «**مَا حَدِيثٌ بلغني عَنْكُمْ**».

فَقَالَ فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ: أَمَّا رُؤَسَاؤُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئاً، وَأَمَّا نَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ النبي ﷺ: «**فإني أُعْطِي رِجَالاً حديثي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، أَتَأَلَّفُهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ وَتَذْهَبُونَ بالنبي ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ، فَوَ اللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا[١].

قال الحكماء: «إذا أردت أن تقتل حرا فجد عليه وتفضل، فإنه لك أسير».

---

(١) سبق تخريجه.

ثالثاً: الاقتصاد في الموعظة:

قال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس إن منكم منفرين فمن أم الناس فليتجوز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة**»[(١)]، وليس هذا في الصلاة فحسب، وإنما في الموعظة والعلم أيضاً، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا»[(٢)].

وفي صحيح مسلم رحمه الله من حديث حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: لقيني أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ، قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيراً، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى النبي ﷺ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ ﷺ: «**وَمَا ذَاكَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيراً، فَقَالَ ﷺ: «**والذي نفسي بِيَدِهِ إنكم لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عندي، وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً**»[(٣)].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، تقول لعبيد بن عمير «رحمه الله»: «إياك وإملال الناس وتقنيطهم»، وكان علي رضي الله عنه يقول: «إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة»، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «أريحوا القلوب، فإن القلب إذا كره عمي»، وقال أيضاً: «إن للقلوب شهوة وإقبالاً وفترة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح: (٢٧٥٠/ التوبة/ مسلم) من حديث حنظلة الأسيدي رضي الله عنه.

وإدباراً، فخذوها عند شهوتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها»[١]، وقال الإمام الزهري «رحمة الله»: «إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب»[٢].

وكان ـ رحمه الله ـ إذا سُئل عن الحديث يقول: «اخلطوا الحديث بغيره حتى تنفتح النفس»، ويقول أيضاً: «نقل الصخر أيسر من تكرير الحديث»، وقال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «تحدثوا بكتاب الله وتجالسوا، وإذا مللتم فحديث من حديث الرجال حسن جميل»، وقال أيضاً لابنه عبد الملك «رحمه الله»: «يا بني؛ إن نفسي مطيتي، وإن حملت عليها فوق الجهد قطعتها»، وقال بعض الحكماء: «حادثوا هذه القلوب بالذكر فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد»[٣].

قال الإمام النووي «رحمه الله»: «أعلم انه يستحب لمن وعظ جماعة أو ألقى عليهم علماً أن يقتصد في ذلك ولا يطول تطويلاً عليهم، لئلا يضجروا وتذهب حلاوته وجلالته من قلوبهم، ولئلا يكرهوا العلم وسماع الخير فيقعوا في المحذور»[٤].

وكذا في هذا الباب: إطالة خطبة الجمعة؛ وهذا خلاف سنة النبي ﷺ؛ قَالَ أَبُو وَائِلٍ «رحمه الله»؛ خَطَبَنَا عَمَّارٌ فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا؛ يَا أَبَا الْيَقْظَانِ لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ، فَقَالَ: إني سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ فَأَطِيلُوا الصَّلاَةَ وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْراً**»[٥]، وقوله: «مَئِنَّةٌ»: أي

---

(١) (٢/ ٧٤ الآداب الشرعية).

(٢) (٤٣١/ الأذكار).

(٣) (٢/ ٧٤ الآداب الشرعية).

(٤) (٤٣١/ الأذكار).

(٥) صحيح: (٨٦٩/ الجمعة/ مسلم) من حديث عمار رضي الله عنه.

علامة على فقه، لذا فإن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كان يقول على المنبر: «أيها الناس لا تبغضوا الله إلى عباده»، فقيل: كيف ذاك ـ أصلحك الله ـ؟ قال: «يجلس أحدكم قاصا فيطول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه، ويقوم أحدكم إماما فيطول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه»[1].

رابعاً: حمل البشرى، والتهنئة:

التبشير غريزة حسنة، من لدن الله عز وجل ومن صفاته، فقد بشر تعالى نبيه زكريا؛ بالولد الصالح، قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ (آل عمران: ٣٩).

وبذات الأمر بشر الخليل إبراهيم، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠١).

وكذلك بشر زوجته ـ عليها السلام ـ، قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ (هود: ٧١).

وبشر مريم ـ عليها السلام ـ، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ (آل عمران: ٤٥).

وبشر عز وجل المؤمنين، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (الشورى: ٢٣)، والآيات في هذا الباب كثيرة جداً.

أما تبشير النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة رضي الله عنهم، فالأحاديث الواردة عنه كثيرة جداً، ومنها تبشيره صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ببيت في الجنة مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ

---

(١) (٢/ ٧٤ الآداب الشرعية).

فِيهِ وَلاَ نَصَبَ»[١]، ومنها تبشيره لكعب بن مالك رضي الله عنه بالتوبة، قال وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**»، واستن الصحابة رضي الله عنهم بهذه السنة الحسنة، فهاهم يبشرون كعب رضي الله عنه بالتوبة، وها هو طلحة بن عبيد الله يهرول إلى كعب ـ رضي الله عنهما ، ويصافحه ويهنئه بالتوبة[٢].

وعند موت أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يقولون: «أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ لَكَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدَمٍ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَةٌ»[٣].

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً في حياة الصحابة والتابعين وسلفنا الصالح ـ رحمهم الله ورضي عنهم ـ، والتبشير والتهنئة لهما أثر جميل في نفس المساق إليه البشرى، وانظر إلى قول كعب بن مالك رضي الله عنه عندما هرول إليه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يصافحه ويهنه «وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ»[٤].

قال السلف: «كل كريم طروب»[٥]، وهكذا البشرى دوماً.. تسقط على ثلوج العداوة فتذيبها، وتشرق على ليل بهيم فتنيره.

إنما للناس منا ... حسن خلق ومزاح
ولنا ما كان فينا ... من فساد وصلاح

---

(١) **صحيح:** (٣٨١٩/ مناقب الأنصار/ البخاري) (٢٤٣٣/ فضائل الصحابة/ مسلم) كلاهما من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما .

(٢) **صحيح:** (٤٤١٨/ المغازي/ البخاري) (٢٧٦٩/ التوبة/ مسلم) كلاهما من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه .

(٣) **صحيح:** (٣٧٠٠/ فضائل الصحابة/ البخاري).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) (٨/ ٩١ العقد الفريد).

خامساً: مقابلة الإساءة بالإحسان:

فها هو ابن سلول رأس النفاق يشغب على الرسول ﷺ فيقول له: «لا تؤذنا في مجالسنا»[١]، ويسبه ويقول: «لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ»[٢]، بل ويشنع عليه وينال من عرض زوجته في حديث الإفك[٣].

---

(١) صحيح: (٤٥٦٦/ تفسير آل عمران/ البخاري) (١٧٩٨/ الجهاد والسير/ مسلم) كلاهما من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما، ونص الحديث.

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَرَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنُ سَلُولَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فَإِذَا فِي الْمَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ أَيُّهَا الْمَرْءُ: إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا، فَلاَ تُؤْذِينَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النبي ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا، ثُمَّ رَكِبَ النبي ﷺ دَابَّتَهُ فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ النبي ﷺ: «يَا سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ - يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ - قَالَ كَذَا وَكَذَا)، قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ عَنْهُ، فَوَ الذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْحَقِّ الذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ، لَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُونَهُ بِالْعِصَابَةِ، فَلَمَّا أَبَى اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الذي أَعْطَاكَ اللَّهُ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ، فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ النبي ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً» الآيَةَ، وَقَالَ اللَّهُ: «وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» الآيَةِ، وَكَانَ النبي ﷺ يَتَأَوَّلُ الْعَفْوَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ فِيهِمْ، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَدْراً، فَقَتَلَ اللَّهُ بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ قَالَ ابْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَعَبَدَةِ الأَوْثَانِ هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ، فَبَايَعُوا الرَّسُولَ ﷺ عَلَى الإِسْلاَمِ فَأَسْلَمُوا.

(٢) صحيح: (٣٥١٨/ المناقب/ البخاري) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) صحيح: (٢٦٦١/ الشهادات/ البخاري) (٢٧٧٠/ التوبة/ مسلم) كلاهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وماذا كان رد محمد ﷺ :

حلمٌ وصفحٌ وإحسانٌ..

عفوٌ وتسامحٌ وغفرانٌ..

يقول لسعد بن عبادة رضي الله عنه : «**ألم تسمع ما قال أبو الحباب**»[١]، وإذا هم الصحابة بقتله، ينهاهم ﷺ ويقول: «**لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»[٢]، ثم بعد موته يصلي عليه، فيعترضه عمر رضي الله عنه فيقول: «**أَخِّرْ عَنِّى يَا عُمَرُ**»[٣].

بأبي أنت وأمي يا رسول الله

تكني من شغب عليك..

تسم من سبك صاحبك..

تصلي على من نال من عرض زوجتك..

هكذا رأس المنافقين استطال، وإمام النبيين أقال:

وأحسن منك لم ترقط عيني ... وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) **صحيح**: (٣٥١٨/ المناقب/ البخاري) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٣) **صحيح**: (١٣٦٦/ الجنائز/ البخاري) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنهم ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ ابْنُ سَلُولَ دعي لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّىَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَثَبْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَتُصَلِّى عَلَى ابْنِ أُبَىٍّ وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كذا وَكَذَا ـ أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ـ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «**أَخِّرْ عَنِّى يَا عُمَرُ**»، فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ: «**إِنِّى خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّى إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ فَغُفِرَ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا**»، قَالَ فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمْكُثْ إِلاَّ يَسِيراً حَتَّى نَزَلَتِ الآيَتَانِ مِنْ «بَرَاءَةٌ»؛ «وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً» إِلَى «وَهُمْ فَاسِقُونَ»، قَالَ فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جرأتي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

وفي مسلم، بلفظ مختلف (٢٤٠٠/ فضائل الصحابة) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

وأما اليهودية فتمتد يدها لتقتله، وتقر بفعلتها، فيكتفي وهو حاكم الدولة بأن يقول لها: «**مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ**»، قال الصحابة: «أَلاَ نَقْتُلُهَا»، قَالَ: «**لاَ**»[(١)].

وكان يدعو ﷺ ويقول: «**واهدني لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ**»[(٢)].

هكذا الكريم إذا أوثق أطلق، وإذا أسر أعتق..

الأصاغر يهفون، والأكابر يعفون..

وأما عن الفوائد المرجوة من هذا الخلق.

قال رسول الله ﷺ: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقا**»[(٣)]؛ وحسن الخلق هي عبارة جامعة لكل آداب المعاملة، قال يزيد بن صعصعة ـ رحمه الله ـ يوصي أحد تلاميذه؛ «خصلتان أوصيك بهما فاحفظهما؛ خالق المؤمن، وخالق الفاجر؛ فإن الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وإنه يحق عليك أن تخالق المؤمن»[(٤)].

ومن الفوائد المرجوة أيضاً:

ما ذكره معاوية رضي الله عنه داهية العرب وأمير المؤمنين: «إن كنت لألقى الرجل من الجاهلية يوسعني شتماً وأوسعه حلماً، فأرجع وهو لي صديق، أستنجده فينجدني وأثيره فيثور معي، وما دفع الحلم عن شريف شرفه، ولا زاده إلا كرما»[(٥)]، فالنفوس جُبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، وهذه الفئة؛ فئة المحسنين؛ ثلة تحبهم بقاع الأرض، وتميل إليهم الأفئدة، وتضطرب لرؤيتهم

---

(١) **صحيح**: (٢١٩٠/ السلام/ مسلم) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: (٧٧١/ صلاة المسافرين/ مسلم) من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: (٦٠٢٩/ الأدب/ البخاري) (٢٣٢١/ الفضائل/ مسلم) كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) (١٠٦/ الحلم).

(٥) (٣٣/ الحلم).

العيون، وتشرئب لقدومهم الأعناق، لذا صدق معاوية رضي الله عنه حين قال: «فأرجع وهو لي صديق، أستنجده فينجدني وأثيره فيثور معي»، وما كان الإحسان قط، سبيل ذلة وصغار، وما دفع عن شريف شرفه ولا زاده إلا كرما، وهو طوق في رقبة المُسيء، وطرفه في يد المُحسن، فالإنسان أسير الإحسان، والإنعام والبر واللطف والرفق معان تسترق مشاعره، وتستولي على مداركه، فتدفعه دفعاً إلى محبة من أسدى إليه النعمة، وأهدى إليه المعروف، وكما قال الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد ـ حفظه الله: «فإن الخطاب اللين يتألف القلوب الناشزة»[١].

ومن الفوائد: إطالة ود الإخوان:

قال ابن الأعرابي «رحمه الله»: «تناس مساوئ الإخوان، يدم لك ودهم»[٢].

سادساً: التماس أعذار الناس، والتغاضي والصفح عن زلاتهم:

بوب الإمام أبو داود ـ رحمه الله ـ في كتاب الأدب في سننه باباً سماه «التجاوز في الأمر»، وأورد فيه حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (الأعراف: ١٩٩) قال: «أُمر النبي الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس»[٣].

وأورد **الإمام أبو داود** أيضاً في بابه العظيم: «التجاوز في الأمر»؛ حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: «ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادماً قط، ولا امرأة قط»[٤].

---

(١) (٢٣/ حلية طالب العلم). (٢) (٤٦٣/ منهاج الصالحين).

(٣) صحيح: (٤٦٤٣/ تفسير الأعراف/ البخاري) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

(٤) صحيح: (٢٣٢٨/ الفضائل/ مسلم) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بزيادة ولفظه؛ «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِماً، إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شيء قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شيء مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وفي هذا الباب: حديث هلال بن يساف ـ رحمه الله ـ عند مسلم (١٦٥٨/ الأيمان) قالَ: عَجِلَ شَيْخٌ فَلَطَمَ خَادِماً لَهُ، فَقَالَ لَهُ سُوَيْدُ بْنُ مُقَرِّنٍ؛ عَجَزَ عَلَيْكَ إِلاَّ حُرُّ وَجْهِهَا، لَقَدْ رأيتني سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ بَنِى مُقَرِّنٍ مَا لَنَا خَادِمٌ إِلاَّ وَاحِدَةٌ لَطَمَهَا أَصْغَرُنَا فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ نُعْتِقَهَا.

وفي الصحيحين عن أَنَسٌ بن مالك رضي الله عنه ، قَالَ: «خَدَمْتُ النبي ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لي أُفٍّ، وَلاَ لِمَ صَنَعْتَ، وَلاَ أَلاَّ صَنَعْتَ»[١].

ويجد هذا الوجه من وجوه ترك إثارة الشر سنده في قول الله عز وجل: ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ (الحجر: ٨٥)، والنبي ﷺ من شيمته أنه لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا صخاباً في الأسواق، لا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح[٢].

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ... إن بر عندك فما قال أو فجرا

فقد أطاعك من أرضاك ظاهره ... وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقد بينا كيف صفح النبي ﷺ عن المنافق واليهودي، فكيف الحال بالإخوان؛ صفح النبي ﷺ عن حاطب بن أبي بلتعه لما بعث إلى مشركي مكه يخبرهم أمرا من أمر رسول الله ﷺ[٣]، وصفح عن الأنصار الذين قالوا يوم أعطى النبي ﷺ الغنائم يتألفهم وتركهم، قالوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ[٤].

وصفح عن الصحابة الذين خاضوا في حديث الإفك مع المنافقين، وصفح أبو بكر عن مسطح بن أثاثة رضي الله عنهما وأحسن إليه وأنفق عليه بعد أن خاض مع من خاضوا[٥]، وصفح أبو بكر عن عمر، وصفح عمر عن أبي بكر رضي الله عنهما ،

---

(١) صحيح: (٦٠٣٨/ الأدب/ البخاري) (٢٣٠٩/ الفضائل/ مسلم) كلاهما من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) صحيح: (٢٠١٦/ البر والصلة/ الترمذي) (٦/ ١٧٤، ٢٣٦ أحمد في المسند) (٦٤٤٣/ ابن حبان) (١/ ٢١٤ الطيالسي) (٢/ ٩٢١ ابن راهوية) جميعهم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .
ومعنى الحديث في الصحيحين: (٣٥٥٩/ المناقب/ البخاري) (٢٣٢١/ المناقب/ مسلم) كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، قال: لَمْ يَكُنِ النبي ﷺ فَاحِشاً وَلاَ مُتَفَحِّشاً وَكَانَ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقاً**».

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

ففي البخاري من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذاً بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**»، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: إني كَانَ بيني وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شيء فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَالَ: «**يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**» ثَلاَثاً، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ فَقَالُوا لاَ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النبي ﷺ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ بعثني إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وواساني بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لي صاحبي**»[1].

قال ابن أبي منصور «رحمه الله»:

هبني أسأت كما تقول ... فأين عاطفة الأخوة
وإن أسأت كما أسأت ... فأين فضلك والمروة

وقال ثعلب:

أغمض عيني عن صديقي متعمدا ... كأني بما يأتي من الأمر جاهل
وما بي غير أن خليقتي جهل ... تطيق احتمال الكره فيما يحاول

وقال الفضيل بن عياض «رحمه الله»: «الفتوة: العفو عن عثرات الإخوان»[2]

وقال أبي الحسن بن أبي العباس البيهقي «رحمه الله»:

قيل لي قد أساء إليك فلان ... ومقام الفتى على الذل عار
قلت قد جاءنا فأحدث عذرا ... دية الذنب الاعتذار

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) (٤٥٥/ مواقف إيمانية).

وفي باب التماس أعذار الناس في المعاملات المالية:

روى البخاري ـ رحمه الله ـ من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَاتَ رَجُلٌ، فَقِيلَ لَهُ قَالَ كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، فَأَتَجَوَّزُ عَنِ الْمُوسِرِ، وَأُخَفِّفُ عَنِ الْمُعْسِرِ، فَغُفِرَ لَهُ**»(١)، وفي لفظ مسلم «رحمه الله»: «**تَلَقَّتِ الْمَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئاً، قَالَ: لاَ، قَالُوا: تَذَكَّرْ، قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَآمُرُ فتياني أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ**»(٢).

وفقه أخذ العفو عند التعامل مع الناس لا يناله إلا كل من منّ الله تعالى عليه ببعض رحمته؛ فبرحمته الناس يرحمه الله عز وجل، قال النبي ﷺ: «**مَنْ لاَ يَرْحَمِ النَّاسَ لاَ يَرْحَمْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**»(٣)، وقال الأحنف «رحمه الله»: «رب رجل لا تغيب فوائده وإن غاب، وآخر لا يسلم منه جليسه وإن احترس»(٤)، ولله در القائل: «ما أحسب أحدا تفرغ لعيوب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه»(٥)

إذا صاحبت قوما أهل ودٍّ ... فكن لهم كذي الرحم الشفيق
ولا تأخذ بزلةِ كل قومٍ ... فتبقى في الزمان بلا رفيق

ويمتد هذا الخلق ـ خلق أخذ العفو؛ لأهل الكتاب والكفار:

ففي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَرَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ

---

(١) **صحيح**: (٢٣٩١/ الاستقراض/ البخاري) من حديث حذيفة وأبو مسعود رضي الله عنهما.
(٢) **صحيح**: (١٥٦٠/ المساقاة/ مسلم) من حديث حذيفة رضي الله عنه.
(٣) **صحيح**: (٢٣١٩/ الفضائل/ مسلم) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.
(٤) (٢/ ١٦٧ العقد الفريد).
(٥) (١٤٣/ مداراة الناس).

بْنُ أُبَىٍّ بْنُ سَلُولَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ، فَإِذَا فِي الْمَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ[1]، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ ابْنُ سَلُولَ أَيُّهَا الْمَرْءُ، إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا، فَلاَ تُؤْذِينَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النبي ﷺ يُخَفِّضُهُمْ[2] حَتَّى سَكَنُوا، ثُمَّ رَكِبَ النبي ﷺ دَابَّتَهُ فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ النبي ﷺ: «**يَا سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ** - يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَىٍّ - **قَالَ كَذَا وَكَذَا**»، قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ عَنْهُ، فَوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْحَقِّ الذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ، لَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُونَهُ بِالْعِصَابَةِ، فَلَمَّا أَبَى اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الذي أَعْطَاكَ اللَّهُ شَرِقَ بِذَلِكَ[3]، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ ما رَأَيْتَ، فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ النبي ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ﴾ (آل عمران: ١٨٦)،

(١) وفيه: جواز الابتداء بالسلام على قوم فيهم مسلمون وكفار، قال الإمام النووي «رحمه الله»: «وهذا مُجمعٌ عليه» (٦/ ٣٩٩ شرح صحيح مسلم).

(٢) أي يسكنهم ويسهل الأمر بينهم (٦/ ٤٠٠ شرح صحيح مسلم).

(٣) وقوله: «اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُونَهُ بِالْعِصَابَةِ»؛ اتفقوا أن يجعلوه ملكهم، وكان من عادتهم إذا ملكوا إنسانا أن يتوجوه ويعصبوه، وقوله «شَرِقَ بِذَلِكَ»: أي غص؛ ومعناه؛ حسد النبي ﷺ (٦/ ٤٠٠ شرح صحيح مسلم).

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ (البقرة: ١٠٩)، وكَانَ النبي ﷺ يَتَأَوَّلُ الْعَفْوَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ فِيهِمْ، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَدْراً، فَقَتَلَ اللَّهُ بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ قَالَ ابْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَعَبَدَةِ الأَوْثَانِ هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ، فَبَايَعُوا الرَّسُولَ ﷺ عَلَى الإِسْلاَمِ فَأَسْلَمُوا[1].

سابعاً: الصبر على أذى الناس، والإعراض عن الجاهلين:

فالصبر على أذى يسير، يدرأ شراً مستطيراً أحياناً، ويولد خيراً عظيماً أحياناً أخرى، قال الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (البقرة: ١٥٣)، وقال أيضاً: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (آل عمران: ١٤٢)، وقال: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠)، وقال: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

مـن لـي بإنسـانٍ إذا أغضبْتُه ... وَجهلْتُ كان الحلمُ ردَّ جوابِه
وإذا طربْتُ إلى المدامِ شربْتُ من ... أخلاقِه وسَكِرْتَ من آدابِه
وتراه يُصغي للحديثِ بسمعهِ ... وبقلبهِ ولعلَّه أدرى بهِ[2]

وقد حث النبي ﷺ عليه، فقال: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ**»[3]، وامتثل به، فقد أتتهُ ﷺ امْرَأَةٌ يَهُودِيَّة بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فجيء بها

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) أبو تمام.
(٣) صحيح: (٧٠٥٣/ الفتن/ البخاري) (١٨٤٩/ الإمارة/ مسلم) كلاهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، **فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: «أَرَدْتُ لأَقْتُلَكَ قَالَ: مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ، قَالُوا أَلاَ نَقْتُلُهَا قَالَ: لاَ»**[١]، فاختار الصبر على أذاها، واسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَيه ﷺ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها : بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»**، قَالَتْ: أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا، قَالَ: **«قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ»**[٢]، فاختار لنفسه ولأمته الصبر على أذاهم، كذا لما سحر وعلم من سحره لم ينتقم لنفسه خشية أن يثور علي الناس من ذلك شر واختار أن يصبر على ما أصابه وقال: «آما والله فقد شفاني، وأكره أن أثير علي أحد من الناس شرا»[٣].

أما الصحابة رضوان الله عليهم، فقد بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة على الصبر[٤]، وعن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ يَا ابْنَ أخي، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لي عَلَيْهِ، قَالَ سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ؛ هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَ اللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ[٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) **صحيح**: (٦٢٥٦/ الاستئذان/ البخاري) (٢١٦٥/ السلام/ مسلم) كلاهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٣) سبق تخريجه.

(٤) **صحيح**: (٢٩٥٨/ الجهاد/ البخاري) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٥) **صحيح**: (٤٦٤٢/ تفسير الأعراف/ البخاري)

وروى البخاري «رحمه الله»: حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْداً إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّاراً، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ فإني كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، قَالَ ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً إِلَى الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِداً إِلاَّ سَأَلَ عَنْهُ، ويثني مَعْرُوفاً، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِداً لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْداً كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: «أَمَا وَاللَّهِ لأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِباً، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ»[1].

الشاهد: أن سعدا اختار الصبر على أذى الرجل والدعاء عليه، وبها ونعم، فقد كان الرجل فيما بَعْدُ إِذَا سُئِلَ؛ يَقُولُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أصابتني دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بن عمير رحمه الله؛ فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ للجواري فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ.

ولم يكن الصبر خاصا بمحمد ﷺ وأمته فقط، وإنما هو شيم رُسل الله والصالحين من قبله، أوصى لقمان الحكيم ابنه فقال: ﴿عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ (لقمان: ١٧)، وفي الصحيحين من حديث عَبْدَ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ قَسَمَ النبي ﷺ قَسْماً، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النبي ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»[2].

---

(١) **صحيح**:(٧٥٥/ الآذان/ البخاري).

(٢) **صحيح**:(٣٤٠٥/ أحاديث الأنبياء/ البخاري) (١٠٦٢/ الزكاة/ مسلم) كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وفي حديث نزول الوحي المشهور ؛ لما نزل الوحي أول ما نزل على رسول الله ﷺ ، واستقدمت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ابن عمها ورقة بن نوفل رضي الله عنه ليرى حال النبي ﷺ ، قَالَ وَرَقَةُ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِى أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى ، ليتني فِيهَا جَذَعاً ، ليتني أَكُونُ حَيًّا حين يخرجك قومك ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ**» ، قَالَ وَرَقَةُ : نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ أوذي ، وَإِنْ يدركني يَوْمُكَ حَيًّا أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً[١].

قال الإمام النووي «رحمه الله» : «يستحب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين ، إذا لم تترتب عليه مفسدة».

قال الشافعي «رحمه الله» : «الكيس العاقل : هو الفطن المتغافل»[٢].

اصبر على كيد الحسود ... فإن صبرك قاتله
فالنار تأكلُ بعضها ... إن لم تجد ما تأكُلُه[٣]

ولما كان الصبر على أذى الناس كما قدمنا منقبة ، ومن شيم الرسل والأنبياء والصحابة والصالحين ، كان من صفات الله عز وجل ، بل ليس من هو أصبر منه على أذى الناس ، قال رسول الله ﷺ : «**لَيْسَ أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَداً، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**»[٤].

وفي مقام التفضيل بين العزلة خشية الأذى، والمخالطة مع الصبر على الأذى، أيهما أفضل:

---

(١) صحيح: (٤٩٥٣/ تفسير العلق/ البخاري) (١٦٠/ الإيمان/ مسلم) كلاهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٢) (١٤/ ١٤٧ شرح صحيح مسلم).

(٣) عبد الله بن المعتز «رحمه الله».

(٤) صحيح: (٦٠٩٩/ الأدب/ البخاري) (٢٨٠٤/ صفة القيامة والجنة والنار/ مسلم) كلاهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه .

قال الإمام النووي «رحمه الله»: «المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في المعصية، فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى»، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قال الجمهور: الاختلاط أولى لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام، وتكثير سواد المسلمين، وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة وإغاثة وعيادة وغير ذلك»[١].

والأمر يختلف باختلاف الحال؛ فمن كانت له القدرة على تغيير المنكرات، ووجد في نفسه البأس في مجاهدة المعاصي، والصبر على الأذى والبليات، فالمخالطة في حقه أولى.

أما من تخوف على نفسه الفتنة، ترجحت لديه العزلة، قال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ (العنكبوت: ٥٦)[٢].

ذكر العلامة ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ في تأويل الآية، قول بعض المفسرين ـ ورجحه، قال: «أريد بذلك أنها لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحل لكم المُقام فيه، ولكن إذا عمل بمكان منها بمعاصي الله فلم تقدروا على تغييره، فاهربوا منه»[٣].

وذكر العلامة الخطابي «رحمه الله» في كتاب «العزلة»، كما نقل عنه الحافظ رحمه الله في «الفتح»، «العزلة والاختلاط يختلفان باختلاف متعلقاتهما،

---

(١) (١٣/ ٤٢ فتح الباري).

(٢) ومما قيل في فضل العزلة عند الفتنة: قال الإمام الجنيد «رحمه الله»: «مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة»، وقال العلامة الخطابي «رحمه الله»: «لو لم يكن في العزلة إلا السلامة من الغيبة ومن رؤية المنكر الذي لا يقدر على إزالته لكان ذلك خيرا كثيرا» (١١/ ٣٣١ فتح الباري).
وقد صح أنه قيل للنبي ﷺ ؛ أي النَّاسِ أَفْضَلُ فَقَالَ: «**مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ**» قَالُوا: ثُمَّ مَنْ قَالَ: «**مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**» سبق تخريجه.

(٣) (٢١/ ١١ جامع البيان).

فتحمل الأدلة الواردة في الحض على الاجتماع على ما يتعلق بطاعة الأئمة وأمور الدين وعكسها في عكسه، وأما الاجتماع والافتراق بالأبدان فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ومحافظة دينه، فالأولى له الانكفاف عن مخالطة الناس بشرط أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد وحقوق المسلمين من العيادة، وشهود الجنازة، ونحو ذلك، والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة لما في ذلك من شغل البال، وتضييع الوقت عن المهمات، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغداء والعشاء، فيقتصر منه على ما لا بُد له منه، فهو أروح للبدن والقلب، والله اعلم»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية «رحمه الله»: «فحقيقة الأمر؛ أن الخلطة تارة تكون واجبة، أو مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأمورا بالمخالطة تارة وبالانفراد تارة، وجماع ذلك؛ أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات، والصلوات الخمس، والعيدين، وصلاة الكسوف، والاستسقاء ونحو ذلك هو مما أمر الله به ورسوله، وكذلك الاختلاط بهم في الحج وفي غزو الكفار والخوارج المارقين، وإن كان أئمة ذلك فجاراً، وإن كان في تلك الجماعات فجار، وكذلك الاجتماع الذي يزداد به إيمانا إما لانتفاعه به وإما لنفعه له ونحو ذلك، ولابد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره، فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه، إما في بيته، كما قال طاووس ـ رحمه الله: «نعم صومعة الرجل بيته يكف فيها بصره ولسانه»، وإما في غير بيته»، ثم أردف قائلاً: «فاختيار المخالطة مطلقا خطأ، واختيار الانفراد مطلقا خطأ، وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا، وما هو الأصلح في كل حال، فهذا يحتاج إلى نظر خاص، كما تقدم»[2].

---

(١) (١١/ ٣٣٢: ٣٣٣ فتح الباري).

(٢) (٢٤٩/ أحاديث الفتن والملاحم).

وأخيراً:

هل يستويان مثلا: رجل صبر لوجه الله تعالى، وأخر صبر لأنه لا يملك إلا الصبر..

فلا والله؛ لا يستويان.. قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الرعد: ٢٢)، وقد صح عن النبي ﷺ قوله: «**المسلم إذا كان مخالطا الناس ويصبر على أذاهم، خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**»[1].

قال الإمام الصنعاني «رحمه الله»: «فيه أفضلية من يخالط الناس مخالطة يأمرهم فيها بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحسن معاملتهم، فإنه أفضل من الذي يعتزلهم ولا يصبر على المخالطة»[2].

ثامناً: المفارقة أو التزام الصمت، إذا سمع المرء ما يغضبه إلا أن يكون منكراً:

فالغضب جماع كل شر، **قال الحافظ ابن رجب** «رحمه الله»: «الغضب: هو غليان دم القلب طلبا لدفع المؤذي عنه خشية وقوعه، أو طلبا للانتقام ممن حصل له منه الأذى بعد وقوعه، وينشأ من ذلك كثير من الأفعال المحرمة كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان، وكثير من الأقوال المحرمة كالقذف والسب

---

(١) صحيح: (٢٥٠٧/ الترمذي) (٤٠٣٢/ ابن ماجة) (٢/ ٤٣ أحمد في المسند) (١/ ١٤١ الأدب المفرد) (١٠/ ٨٩ البيهقي في الكبرى) (١/ ١١٨ الطبراني في الأوسط) (١/ ٢٥٦ الطيالسي) (١٢١/ ابن الجعد) (٢/ ٨٠٠ زوائد الهيثمي) جميعهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) (٤/ ٢٨٤ سبل السلام).

والفحش، وربما ارتقى لدرجة الكفر كما جرى «لجبلة بن الأيهم»، وكالأيمان التي لا يجوز التزامها شرعا، وكطلاق الزوجة الذي يعقبه الندم»، وقال في موضع أخر: «الغضب جماع الشر، والتحرز منه جماع الخير»، وقال الإمام جعفر بن محمد «رحمه الله»: «الغضب مفتاح كل شر»[1].

قال الحافظ ابن حجر «رحمه الله»: «ويترتب على الغضب تغير الظاهر والباطن؛ كتغير اللون والرعدة في الأطراف، وخروج الأفعال عن غير ترتيب واستحالة الخلقة، حتى لو رأى الغضبان نفسه في حال غضبه لكان غضبه حياء من قبح صورته، واستحالة خلقته هذا كله في الظاهر، وأما الباطن فقبحه أشد من الظاهر، لأنه يولد الحقد في القلب والحسد، وإضمار السوء على اختلاف أنواعه، بل أولى شيء يقبح منه باطنه، وتغير ظاهره ثمرة تغير باطنه، وهذا كله أثره في الجسد، وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش الذي يستحي منه العاقل، ويندم قائله عند سكون الغضب، ويظهر أثر الغضب أيضاً في الفعل بالضرب أو القتل، وإن فات ذلك بهرب المغضوب عليه رجع إلى نفسه فيمزق ثوب نفسه ويلطم خده، وربما سقط صريعا، وربما أغمى عليه، وربما كسر الآنية، وضرب من ليس له في ذلك جريمة، ومن تأمل هذه المفاسد عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللطيفة من قوله ﷺ: «**لا تغضب**» من الحكمة واستجلاب المصلحة في درء المفسدة، مما يتعذر احصاؤه والوقوف على نهايته، وهذا كله في الغضب الدنيوي، لا الغضب الديني»[2].

قال العلامة ابن القيم «رحمه الله»: «أوثق غضبك بسلسلة الحلم فإنه كلب، إن أفلت اتلف من سبقت له سابقة السعادة»[3].

---

(١) (٢٠٧، ٢١٥/ جامع العلوم والحكم) بتصرف.
(٢) (١٠/ ٥٢٠: ٥٢١ فتح الباري).
(٣) (٥١/ الفوائد).

وقد ذكر لنا أن النبي ﷺ ؛ حال رجلين: أحدهما عابد والآخر مسرف على نفسه، وكان العابد يعظ المسرف، فلا ينتهي، حتى قال يوماً: «وَاللَّهِ لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ»[1]، فقال الله تعالى: **«مَنْ ذَا الذي يَتَأَلَّى[2] عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ فإني قَدْ غَفَرْتُ لِفُلاَنٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»**[3].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته»، **وقال الحافظ ابن رجب** «رحمه الله»: «فهذا غضب لله ثم تكلم في حال غضبه لله بما لا يجوز، وحتم على الله بما لا يعلم فأحبط الله عمله، فكيف بمن تكلم في غضبه لنفسه ومتابعة هواه بما لا يجوز»[4].

لذلك حث الله ﷻ على درء الغضب وكظم الغيظ فقال: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ (آل عمران: ١٣٣، ١٣٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الشورى: ٣٦، ٣٧).

---

(١) صحيح: (٤٩٠١/ الأدب/ أبو داود) (٢/ ٣٦٢ أحمد في المسند) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأصله عند مسلم (٢٦٢١/ البر والصلة والآداب) من حديث جُنْدَب رضي الله عنه، ولفظه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّث: **«أنَّ رَجُلاً قَالَ: وَاللَّهِ لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلاَنٍ، وَإنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الذي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ فإني قَدْ غَفَرْتُ لِفُلاَنٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»**.

(٢) يتألى من الإيلاء، وهو اليمين.

(٣) هذا القدر عند مسلم رحمه الله، من حديث جندب رضي الله عنه.

(٤) (٢١٤/ جامع العلوم والحكم).

بل إن بعض الفقهاء قد منعوا تحقق بعض الأحكام في حال الغضب، لما للغضب من تأثير على النفوس، وقوة في تحويلها:

(١) كطلاق من اشتد عليه غضبه[١]. (٢) والجلوس للحكم[٢].

---

(١) لحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: **«لا طلاق ولا عتاق في إغلاق»**؛ (٢١٩٣/ أبي داود) (٢٠٤٦/ ابن ماجة) (٦/ ٢٧٦ أحمد في المسند) (٧/ ٣٥٧ البيهقي في الكبرى) (٢/ ٢١٦ المستدرك) (٤/ ٣٦ الدارقطني) (٨/ ٥٢ أبي يعلى) (٤/ ٨٣ ابن أبي شيبة) (١/ ٢٨٧ الشاميين) جميعهم من حديث أم المؤمنين رضي الله عنها (ضعيف) والحديث من طريقين:
«الأول»: مداره على محمد بن عبيد بن أبي صالح (وهم بعضهم فسماه عبيد بن أبي صالح، وبعضهم قال عبد الله، والصحيح ما ذكرت، قال بذلك جمهور المحدثين)؛ ضعفه أبو حاتم، والمنذري. والحافظ (٩/ ٢٩٣ التهذيب) (٤٩٥/ التقريب). **«الثاني»**: مداره على قزعة بن سويد: قال أحمد: (مضطرب الحديث)، وفي رواية: (شبه المتروك)، وقال أبو حاتم؛ (يكتب حديثه، ولا يحتج به)، وقال البخاري: (ليس بذاك القوي)، وضعفه أبو داود والعباس العنبري والنسائي والحافظ، وقال ابن عدي (لا بأس به)، وقال ابن حبان: (كان كثير الخطأ فاحش الوهم، فلما كثر ذلك في روايته سقط الاحتجاج بأخباره)، وقال البزار: (لم يكن بالقوي، وقال العجلي: (لا بأس به وفيه ضعف) (٨/ ٣٣٦ التهذيب).
وأما الرواية التي أوردها المزي «رحمه الله» بإسنادٍ عالٍ في تهذيب الكمال (١٩/ ٢١٥)، وفيها عبيدة بن سفيان بدلاً من محمد بن عبيد، فهي مخالفة لما رواه الجماعة (شاذة)، وعلى هذا فالحديث ضعيف، ولا تصلح كثرة الطرق لتصحيحه، إذ هي ضعيفة ومعلولة، والخبر ينبني عليه حكم فقهي هام، والله أعلم.
وقال العلامة العيني (٢٣/ ١٩٧ عمدة القارى)؛ (وأما حديث: **«لا طلاق في إغلاق»**؛ فليس بثابت، ولا مما يعارض به)، ورده الإمام الذهبي في تعليقه على المستدرك (٢/ ٢١٦) وقال؛ (محمد بن عبيد بن صالح لم يحتج به مسلم وضعفه أبو حاتم)، وقال المناوي (٦/ ٤٣٣ فيض القدير)؛ (وعملٍ بقضيته ابن حجر فضعف الخبر).

(٢) لحديث أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه أنه كتب إِلَى ابْنِهِ وَكَانَ بِسِجِسْتَانَ بِأَنْ لاَ تَقْضِيَ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَأَنْتَ غَضْبَانُ، فإني سَمِعْتُ النبي ﷺ يَقُولُ: **«لاَ يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ»**؛ صحيح: (٧١٥٨/ الأحكام/ البخاري) (١٧١٧/ الأقضية/ مسلم) كلاهما من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.
وفي الباب خبر ضعيف جدا (متروك) أن النبي ﷺ قال: **«إذا ابتلي أحدكم بالقضاء بين المسلمين، فلا يقض وهو غضبان، وليسوّ بينهم في النظر والمجلس والإشارة، ولا يرفع صوته على أحد الخصمين فوق الآخر»**؛ (١٠/ ٢٦٤ أبي يعلى، واللفظ له) (٢٣/ ٢٨٤ الطبراني في الكبير، مختصراً) (٤/ ٣٥١ الزوائد) جميعهم من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، وفي سنده: عباد بن كثير الثقفي؛ متروك (٢٩٠/ التقريب). وقد بوب الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه لصحيح مسلم في كتاب «الأقضية» باباً سماه؛ «كَرَاهَةِ قَضَاءِ القاضي وَهُوَ غَضْبَانُ)»، ثم أردف فيه تعليقاً على الحديث المتقدم قائلاً: «فإن قضى، صح قضاؤه لأن النبي ﷺ لم قضى في شراج الحرة في مثل هذا الحال، وقال في اللقطة: «مالك ولها» إلى أخره، وكان في حال الغضب) (١٢/ ١٥ شرح صحيح مسلم).
وأما الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ فقد توقف، حيث علق الترجمة في كتاب (الأحكام)، فسمى الباب: «هَلْ يَقْضِي الْحَاكِمُ أَوْ يُفْتِي وَهْوَ غَضْبَانُ».

(٣) واليمين[١].   (٤) والنذر[٢].

وهذا يدل على خطورة الغضب ونتائجه، وقد أخرج أقواما إلى ما لا يليق بهم، وآخرون إلى ما ندموا عليه سنين، وإذا كان نبي الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وهو كليم الله وأحد أولي العزم، ألقى الألواح وفيها ذكر الله وكلامه ولم يتمالك نفسه عند الغضب، ونبي الله يونس عليه السلام لما طال عليه أمر قومه خرج غضبانا ـ لربه عز وجل ـ من بين أظهرهم ولم ينتظر إذنه تعالى، فكيف يأمن من هو دون دونهما على نفسه من الغضب، قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٠).

وقال عز وجل: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٨٧) لذلك لما سأل رجل النبي ﷺ فقال: «أوصني»، قَالَ ﷺ: «**لاَ تَغْضَبْ**»، ولما رَدَّدَ مِرَاراً؛ «أوصني»، قَالَ ﷺ: «**لاَ تَغْضَبْ**»[٣]، وفي حديث

---

(١) لحديث ابن عباس رضي الله عنهما، يرفعه إلى النبي ﷺ؛ «لا يمين في غضب، ولا عتاق فيما لا يملك»؛ (٢/ ٢٩٧ الطبراني في الأوسط) (٤/ ١٥٩ الدارقطني) (٢/ ٣٨١ التحقيق في أحاديث الخلاف) (٤/ ٣٣٥ الزوائد) جميعهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (ضعيف جداً)؛ وهو لا يصح إلى النبي ﷺ، أو حتى من قول ابن عباس رضي الله عنهما كما قرر بذلك بعض الفقهاء والعلامة ابن القيم «رحمه الله» في إعلام الموقعين (٣/ ٥٢)؛ في سنده سليمان بن أبي سليمان، وهو سليمان بن داود اليمامي؛ مجمع على ضعفه (٣/ ٨٣ التهذيب).

(٢) وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الغضبان مكلف في حال غضبه؛ ويؤاخذ بما يصدر عنه من كفر، وقتل نفس، وأخذ مال بغير حق، وطلاق، وغير ذلك من عتاق ويمين (٥/ ٢٣٥ كشف القناع).

(٣)صحيح: (٦١١٦/ الأدب/ البخاري) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

أخر قال ﷺ : «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»[١]، وفي الباب أيضاً: قال ﷺ : «**من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور ما شاء**»[٢].

وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول: «ما من جرعة أعظم عند الله أجرا من جرعة غيظ كظمهما عبد ابتغاء وجه الله»[٣]، قال العلماء في بيان ذلك: «وإنما حمد كظم الغيظ ؛ لأنه قهر للنفس الأمارة بالسوء».

---

(١)**صحيح**: (٦١١٤/ الأدب/ البخاري) (٢٦٠٩/ البر و الصلة والأدب/ مسلم) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢)**حسن**: (٤٧٧٧/ أبى داود) (٢٠٢١/ الترمذي) (٤١٨٦/ ابن ماجه) (٣/ ٤٣٨ أحمد في المسند) (٢٠/ ١٨٨ الطبراني في الكبير) (٨/ ١٦١ البيهقي في الكبرى) (٣/ ٦٦ أبي يعلى) (٨/ ٤٨ حلية الأولياء) ؛ جميعهم من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه من طرق عدة ضعيفة جداً، عدا طريق أصحاب السنن، ومدار الحديث على سهل بن معاذ، وثقه ابن حبان والعجلي، وضعفه ابن معين (٤/ ٢٢٧ التهذيب)، والذهبي (١/ ٤٧٠ الكاشف)، وقال الحافظ (٢٥٨/ التقريب) ؛ لا بأس به إلا في روايات زبان عنه وفي الاستيعاب (٤٣٩) ؛ لين الحديث إلا أن أحاديثه حسان في الرغائب والفضائل، وقال ابن حبان: وكان ثبتا وانما وقعت المناكير في اخباره من جهة زبان بن فائد (١٢٠/ علماء الأمصار)، وسهل بن معاذ روى عن أبيه ؛ معاذ بن أنس رضي الله عنه وهو ممن يختص به، فضلاً عن أن الحديث في الفضائل.

وأما حديث: « **كظم غيظا وهو يقدر على إنقاذه، ملأه الله أمنا وإيمانا** » ؛ فلا يصح إلى النبي ﷺ ؛ إسناده ضعيف جداً (١/ ٢٦٩ الشهاب) (٥/ ١٠٩ الآحاد والمثاني) كلاهما من حديث رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ لم يسم.

(٣)**صح موقوفا** : على ابن عمر رضي الله عنهما ؛ (١٣١٨/ الأدب المفرد) وأما ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فلا يصح.

- **وفي الباب من الضعيف**: حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليّ النبي ﷺ وأنا غضبى، فأخذ بطرف المفصل من أنفي فعركه، ثم قال: «**يا عويش قولي؛ اللهم اغفر ذنبي وأذهب غيظي وأجرني من الشيطان**» ؛ (٦٨/ ٨١ تاريخ دمشق)، بسندٍ ضعيف جداً، وفيه رجل مبهم ؛ مؤذن لعمر بن عبد العزيز «رحمه الله».

- حديث عطية بن عروة السعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**» (٤٧٨٤/ أبى داود) (٤/ ٢٢٦ أحمد في المسند) (١٧/ ١٦٧ الطبراني في الكبير) (٣/ ١١٠ الآحاد والمثاني) ؛ وفي سنده عروة بن محمد بن عطية السعدي ؛ وهو لين (٢/ ١٥ التقريب).

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت
لئيم القوم يشتمني ليحظى ... ولو دمه سفكت لما حظيت
فلست مشابها أبدا لئيما ... خزيت لمن يشاتمه خزيت

ويكفي في الحلم فضيلة:

أولاً: أنه خصلة يحبها الله عز وجل:

عَنِ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلأَشَجِّ ـ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ رضي الله عنه : «**إِنَّ فِيكَ لخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ**»[١].

روض من الحلم، غض، راق منظره ... بحر من العلم، عذب، فاض زاخره

ثانياً: أنه يزيد المرء شرفا، ويعليه قدراً ومقاماً، ويرفع درجته ومنزلته:

وليس كما يفهم البعض أنه سبيل ذلة ومهانة ، قال أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه «إن كنت لألقى الرجل من الجاهلية يوسعني شتماً وأوسعه حلماً ، فأرجع وهو لي صديق استنجده فينجدني وأثيره فيثور معي ، وما دفع الحلم عن شريف شرفه ولا زاده إلا كرما»[٢] ، وهذا مصداقاً لقول النبي ﷺ : «**إنك لن تدع شيئا اتقاء الله تبارك وتعالى إلا آتاك الله خير منه**»[٣].

التيهُ مفسدةٌ للدين منقصة ... للعقلِ مهتكةٌ للعرض فانتبهِ
لا تشرهَنَّ فإن الذُّلَّ في الشرهِ ... والعزُّ في الحلمِ لا في البطشِ والسفهِ

قال سعيد بن عبد العزيز «رحمه الله»: «فُضل شداد بن أوس الأنصار بخصلتين ؛ ببيان إذا نطق ، وبكظم إذا غضب»[٤] ، وقيل عاشت بنو تميم بحلم

---

(١) صحيح: (١٧/ الإيمان/ مسلم) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
(٢) (٣٣/ الحلم).
(٣) صحيح: (٥/ ٧٩ أحمد في المسند) (٥/ ٣٣٥ البيهقي في الكبرى) (٢/ ٩٨٧ زوائد الهيثمي) (٢/ ١٧٨ الشهاب) جميعهم من حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ من أهل البادية.
(٤) (٢/ ٤٦٤ سير الأعلام).

الأحنف بن قيس ـ رحمه الله ـ أربعين سنة [١]، وهو الذي كان يقول: «رُبَّ غَيْظ قد تَجَرَّعته مخافة ما هو أشد منه» [٢]، وفيه قال الشاعر:

إذا الأبصار أبصرت ابن قيس ... ظللن مهابة منه خشوعا

ثالثاً: أنه يأسر القلوب، ويُظفر الحليم بالمطلوب:

وها هو الرجل الذي قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال من يمنعك مني قال: «**الله عز وجل**»، فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ فقال: «**من يمنعك مني**» قال: كن كخير آخذ، قال: «**أتشهد أن لا إله إلا الله**» قال: لا، ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله، فذهب إلى أصحابه، قال: قد جئتكم من عند خير الناس[٣].

ولله در من قال:

لا تحملنّ ضغينةً لقرابةٍ ... إن الضغينةَ للقرابةِ تقطعُ
لا تحسبَنَّ الحلمَ منكَ مذلةً ... إن الحليمَ هو الأعزُّ الأمنعُ[٤]

سبل دفع الغضب، وعلاجه:

أولاً: إذا شعر المرء بالغضب يتسلل إليه إثر همزة أو لمزة أو كلمة أو موقف، فما عليه إلا أن يتعوذ بالله تعالى من الشيطان كما علمه رسولنا الكريم ﷺ؛ ففي الصحيحين من حديث سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رضي الله عنه، قَالَ كُنْتُ جَالِساً مَعَ النبي ﷺ وَرَجُلاَنِ يَسْتَبَّانِ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ[٥]، فَقَالَ

---

(١) (٤/ ٩١ سير الأعلام).
(٢) (١/ ٢١٩ مجمع الأمثال).
(٣) صحيح: (٣/ ٣٦٥ أحمد في المسند) (٢٨٨٣/ ابن حبان) (٣/ ٣٢ المستدرك) (٣/ ٣١٦ أبي يعلى) (١/ ٣٣١ عبدُ بن حميد) جميعهم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
(٤) أبو الأخفش الكناني «رحمه الله».
(٥) ما أحاط بالعنق من عروقه.

النبي ﷺ: «**إني لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ**»[١]، وذلك مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ (الأعراف: ٢٠٠)، وقال أيضاً: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (الكهف: ٢٤)، عند بعض المفسرين، تأويلها؛ إذا غضبت[٢]، فالاستعاذة بالله عز وجل، والاستعانة به أهم وأنفع سبل علاج الغضب، إذ هو تعالى يُشفي الصدور، ويذهب غيظ القلوب، قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٥﴾ (التوبة: ١٤، ١٥).

ثانياً: فإن لم يستطع أن يملك نفسه، فليسكت، وليلتزم وصية رسول الله ﷺ قال: «**علموا ويسروا علموا ويسروا، علموا ويسروا، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت**»[٣]، ومنه قال سلمان رضي الله عنه لما سأله رجل

---

(١) صحيح: (٣٢٨٢/ بدء الخلق/ البخاري) (٢٦١٠/ البر والصلة والآدب/ مسلم) كلاهما من حديث سليمان رضي الله عنه؛ وتمام الحديث: فَقَالُوا لَهُ إِنَّ النبي ﷺ قَالَ: «**تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ**» فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ.

قال الإمام النووي «رحمه الله»: «هو كلام من لم يفقه في دين الله، ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة، وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالجنون، ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان، ولهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله، ويتكلم بالباطل ويفعل المذموم، وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح المرتبة على الغضب، ولهذا قال النبي ﷺ للذي قال له أوصني: «لا تغضب»، فردد مرارا قال: «لا تغضب»، فلم يزده في الوصية على؛ لا تغضب، مع تكراره الطلب، وهذا دليل ظاهر على عظم مفسدة الغضب، وما ينشأ منه، ويحتمل أن القائل: هل ترى بي من جنون، كان من المنافقين أو من جفاة الأعراب، والله أعلم» (٨/ ٤١٠ شرح صحيح مسلم).

(٢) (٨/ ١٠٨ جامع البيان) (٣/ ٣٩٩ فتح القدير) (٥/ ٣٧٧ الدر المنثور) (٧/ ٢١٦ ابن أبي شيبة) (٦/ ٣١٢ شعب الإيمان)، وهو وجه ضعيف في تأويل الآية، مروي عن عكرمة «رحمه الله».

(٣) صحيح: (١/ ٤٤٧ الأدب المفرد) (١/ ٣٦٥ أحمد في المسند) (١١/ ٣٣ الطبراني في الكبير) (١/ ٣٤٠ الطيالسي) جميعهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الوصية: «لا تغضب»، فقال: أمرتني أن لا أغضب، وإنه ليغشاني ما لا أملك، قال: «فإن غضبت فاملك لسانك ويدك»، **وقال الحافظ ابن رجب معلقاً**: «وهذا أيضاً دواء عظيم للغضب، لأن الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه، فإذا سكت زال هذا الشر كله عنه»(١).

ومنه قول القائل:

وخنجر يسله عند الغضب ... كأنه شعلة نار تلتهب

قيل في ترجمة ابن هبيرة: «خافض الصوت، فصيحا بالعربية وبالفارسية، حلو المنطق، وكان راوية للشعر، عارفا بالأمور، لم ير ضاحكا، ولا مازحا، إلا في وقته، وكان لا يكاد يقطب في شيء من أحواله تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه السرور، وتنزل به الفادحة الشديدة فلا يرى مكتئبا، وكان إذا غضب لم يستفزه الغضب»(٢)، وفي ترجمة الملك الصالح نجم الدين «رحمه الله»: «لم يقع منه في حال غضبه كلمة قبيحة قط»(٣).

واصمتْ فللصمْتِ أسرارٌ تضمنها ... ما نالَها قطٌ إلا سيدُ الرسلِ
واستشعرِ الحلمَ في كلِّ الأمورِ ولا ... تبدرْ ببادرةٍ إلا إلى رجلِ
وإن بُليتَ بشخصٍ لا خلاقَ له ... فكنْ كأنكَ لم تسمعْ ولم يقلِ
ولا تمارِ سَفيهاً في محاورة ... ولا حليماً لكي تنجو من الزللِ
ولا يغرك منْ تَبْدُ بشاشتُهُ ... إليك مكراً فإن السُّمَّ في العسلِ(٤)

وقال **إمام التابعين الحسن البصري** «رحمه الله»: «أربع من كن فيه عصمه الله من الشيطان وحرّمه على النار؛ من ملك نفسه عند الرغبة والرهبة والشهوة والغضب».

---

(١) (٢١٠، ٢١٢/ جامع العوم والحكم) بتصرف. (٢) (٦/ ٤٧ سير الأعلام).
(٣) (٢٣/ ١٩٢ سير الأعلام). (٤) صلاح الدين الصفدي رحمه الله.

وقال مورق العجلي «رحمه الله»: «ما امتلأت غضبا قط، ولا تكلمت في غضب قط بما أندم عليه إذا رضيت»، وغضب يوما أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، فقال له ابنه عبد الملك «رحمهما الله»: «أنت يا أمير المؤمنين مع ما أعطاك الله وفضّلك به، تغضب هذا الغضب!!»، فقال له الخليفة الراشد رحمه الله: «أوما تغضب يا عبد الملك»، فقال له عبد الملك «رحمه الله»: «وما يغني عني سعة جوفي إذا لم أردد فيه الغضب حتى لا يظهر»، لذا كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز «رحمه الله» يقول: «قد أفلح من عصم عن الهوى والغضب والطمع»[1].

ومازلت مذ كنت تأتي الجميل ... وتحمي الحريم وترعى الحسب
وتغضب حتى إذا ما ملكت ... أطعت الرضا وعصيت الغضب [2]

ثالثاً: فإن لم يستطع أن يحلم ويصمت عما أغضبه، فليغير الهيئة التي عليها، قال النبي ﷺ : «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع**»[3]، والحكمة من هذا السلوك أن القائم متهيئ للانتقام، والجالس دونه، والمضطجع دونهما، والقصد أن يبتعد عن الهيئة التي هو عليها والتي قد تمكنه من البطش بمن غضب منه، فإن لم يذهب عنه الغضب، فليفارق المجلس، **قال العلامة الخطابي** «رحمه الله»: «القائم مُهيأ للحركة وللبطش والقاعد دونه في هذا المعنى، والمضطجع ممنوع منهما، فيشبه أن يكون النبي ﷺ إنما أمر بالقعود والاضطجاع لئلا يبادر في حال قيامهِ ببادرة يندم عليها في ما بعد».

---

(١) (٢١٠، ٢١٢/ جامع العلوم والحكم) بتصرف.

(٢) أبو فراس.

(٣)**صحيح**: (٤٧٨٢/ أبي داود) (٥/ ١٥٢ أحمد في المسند) (٥٦٨٨/ ابن حبان) (٦/ ٣٠٩ شعب الإيمان) جميعهم من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، وقد روى أبو داود وابن حبان «رحمهما الله» الحديث منقطعاً من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الديلي عن أبي ذر رضي الله عنه ، والصحيح ما ذكره الإمام أحمد «رحمه الله» أنه من طريق أبي حرب بن أبي الأسود عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه ، (١٢/ ١٧٣ التهذيب).

وفي الباب عن النبي ﷺ، حادثة مع حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، أسد الله، وعم رسول الله ﷺ، وقد وقعت قبل تحريم الخمر والنهي عن شربها، ففي الصحيحين من حديث حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَجْمَعُ لِشَارِفَيَّ مِنَ الأَقْتَابِ وَالْغَرَائِرِ وَالْحِبَالِ، وَشَارِفَايَ مُنَاخَانِ إِلَى جَنْبِ حُجْرَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، حَتَّى جَمَعْتُ مَا جَمَعْتُ فَإِذَا أَنَا بشارفيَّ قَدْ أُجِبَّتْ أَسْنِمَتُهَا، وَبُقِرَتْ خَوَاصِرُهُمَا، وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا، فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ حِينَ رَأَيْتُ الْمَنْظَرَ، قُلْتُ مَنْ فَعَلَ هَذَا قَالُوا فَعَلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ في هَذَا الْبَيْتِ، في شَرْبٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى النبيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَعَرَفَ النبيُّ ﷺ الَّذِي لَقِيتُ فَقَالَ: «**مَا لَكَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ، عَدَا حَمْزَةُ عَلَى ناقتيَّ، فَأَجَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا، وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا وَهَا هُوَ ذَا في بَيْتٍ مَعَهُ شَرْبٌ، فَدَعَا النبيُّ ﷺ بردَائِهِ، فَارْتَدَى ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي، وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ الذي فِيهِ حَمْزَةُ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأُذِنَ لَهُ، فَطَفِقَ النبيُّ ﷺ يَلُومُ حَمْزَةَ فِيمَا فَعَلَ، فَإِذَا حَمْزَةُ ثَمِلٌ مُحْمَرَّةٌ عَيْنَاهُ، فَنَظَرَ حَمْزَةُ إِلَى النبيِّ ﷺ ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ، فَنَظَرَ إِلَى رُكْبَتِهِ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ، فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ حَمْزَةُ: وَهَلْ أَنْتُمْ إِلاَّ عَبِيدٌ لأَبِي فَعَرَفَ النبيُّ ﷺ أَنَّهُ ثَمِلٌ، فَنَكَصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَقِبَيْهِ الْقَهْقَرَى، فَخَرَجَ وَخَرَجْنَا مَعَهُ [1].

رابعاً: ونقل **الحافظ ابن حجر** ـ رحمه الله ـ عن **الطوفي** ـ رحمه الله ـ، دواء أخر في علاج الغضب، قال: «أقوى الأشياء في دفع الغضب استحضار التوحيد الحقيقي، وهو أن لا فاعل إلا الله، وكل فاعل غيره فهو آلة له، فمن توجه إليه بمكروه من جهة غيره فاستحضر أن الله لو شاء لم يمكن ذلك الغير منه

---

(١) صحيح: (٤٠٠٣/ المغازي/ البخاري) (١٩٧٩/ الأشربة/ مسلم) كلاهما من حديث علي رضي الله عنه، بشيء من الاختصار.

اندفع غضبه، لأنه لو غضب والحالة هذه كان غضبه على ربه ـ جل وعلا ـ وهو خلاف العبودية»[1].

المرء رهنُ مصائبٍ لا تنقضي ... حتى يوسّد جسمَه في رمْسِه
فمؤجّل يلقى الرّدى في غيره ... ومعجّل يلقى الرّدى في نفسه

أما إن كان سبب الغضب حرمة لله تنتهك:

فلا صمت ولا تغيير للهيئة، والسبيل هو دفع المنكر باليد، فإن لم يستطع فباللسان، فإن لم يستطع فبقلبه وليفارق المجلس، فإن ذلك أضعف الإيمان، قال الله عز وجل: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (النساء: ١٤٠).

وقال أيضاً جل في علاه: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (الأنعام: ٦٨)، وقد أحسن الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ إذ بوب في كتاب الأدب في صحيحه بابا سماه: «مَا يَجُوزُ مِنَ الْغَضَبِ وَالشِّدَّةِ لأَمْرِ اللَّهِ)».

وترك هذا النوع من الغضب؛ مذموم، بل هو سنة عن النبي ﷺ وسائر الرسل والأنبياء ـ عليهم السلام ـ والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وسلفنا الصالح.

قال الله تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى

---

(١) (١٠/ ٥٢١ فتح الباري).

ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ (الأعراف: ١٥٠).

وقال عز وجل في شأن يونس عليه السلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾ (الأنبياء: ٨٧)، قال بعض المفسرين - روي عن الحسن والشعبي وسعيد بن جبير واختاره الطبري «رحمهم الله»: ذهب عن قومه مغاضبا لربه[١]، قال العلامة القرطبي رحمه الله: والمعنى: مغاضبا من أجل ربه[٢]، وفي شأن نبينا ﷺ تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ لا ينتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة لله تعالى فينتقم لله بها[٣]، وكثيرا ما أحمر وجهه وظهر الغضب عليه لذلك، وفي الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ في عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في غَزْوَةِ الْفَتْحِ، فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ، فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**أتكلمني في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ**»، قَالَ أُسَامَةُ اسْتَغْفِرْ لي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيباً، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[٤]، وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْماً، فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ

---

(١) (١٧/ ٩١: ٩٢ جامع البيان).

(٢) (١١/ ٢٧٢: ٢٧٣ الجامع لأحكام القرآن).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) صحيح: (٤٣٠٤/ المغازي/ البخاري) (١٦٨٨/ الحدود/ مسلم) كلاهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

اخْتَلَفَا في آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْرَفُ في وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: **«إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلافِهِمْ فِي الْكِتَابِ»**(١).

وأما الصحابة: ففي الصحيحين عَنِ الْمُغِيرَةِ رضي الله عنه قَال: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلاً مَعَ امرأتي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **«تَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللَّهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ»**(٢).

تاسعاً: إشغال الناس بالأعمال النافعة:

فإشغال الناس بأعمال البر والأعمال النافعة، والحول بينهم وبين المراء والجدل؛ من أعظم أسباب انصرافهم عن الباطل، فمَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً، إلاَّ كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلاَ يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ(٣).

وفي سنة النبي ﷺ ما يشهد لهذا الأدب والسلوك، ذلك أنه لما كان عائدا من غزوة بني المصطلق، وَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ الأنصاري يَا لَلأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ بن سلول فَقَالَ: والله لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فبلغ ذلك النبي ﷺ، وعنده عمر رضي الله عنه، فأراد عمر ضرب عنقه فقال ﷺ: **«دعه لا يتحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه»** وأمر بشد الرحال إلى المدينة في

---

(١) **صحيح:** (٢٦٦٦/ العلم/ مسلم) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح:** (٦٤١٦/ التوحيد/ البخاري) (١٤٩٩/ اللعان/ مسلم) كلاهما من حديث المغيرة رضي الله عنه، وتتمة الحديث: (وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ).

(٣) **صحيح:** (١٥٥٢/ المساقاة/ مسلم، واللفظ له) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، (٦٠١٢/ الأدب/ البخاري، مختصراً) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ساعة مبكرة ما كان يروح فيها، وسار بالناس حتى أمسوا وكذا حتى أصبحوا وصدر يومه حتى اشتد الضحى، ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث، فلم يأمن الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا[١].

ويتفرع عن هذا السبيل من سبل ترك إثارة الشر واجتنابه؛ تغيير موضوع الحديث إذا كانت مقدماته تشعر بثمة مشكلة، كما فعلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لَمَّا كان النبي ﷺ مضجعاً عندها فَلَمْ يَلْبَثْ إِلاَّ رَيْثَمَا ظَنَّ أنها قَدْ رَقَدت فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْداً وَانْتَعَلَ رُوَيْداً وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْداً، فاختَمَرت رضي الله عنها وَتَقَنَّعت إِزَارِها ثُمَّ انْطَلَقت عَلَى إِثْرِهِ حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ فَقَامَ ودعا ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفت فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعت فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلت فسبقته فَدَخلت ثم اضْطَجَعت فَدَخَلَ عليها فرآها تنبض من أثر الهرولة فَقَالَ: **«مَا لَكِ يَا عَائِشُ، لتخبريني أَوْ ليخبرني اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»** فَأخبرته فقَالَ: **«فَأَنْتِ السَّوَادُ الذي رَأَيْتُ أمامي»** قالت: نَعَمْ، فلهدها في صَدرِها لَهْدَةً أَوْجَعَتها ثُمَّ قَال: **«أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ»** ثم قَال: **«فَإِنَّ جِبْرِيلَ أتاني حِينَ رَأَيْتِ فناداني فَأَجَبْتُهُ وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ، وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ وَخَشِيتُ أَنْ تستوحشي، فَقَالَ إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ»** فقالت: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **«قولي السَّلاَمُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا والمستأخرين وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلاَحِقُونَ»**[٢].

---

(١) (٨/ ٦١٠ تفسير ابن كثير) (٢٨/ ١٢٩ : ١٣٠ جامع البيان) (٢/ ٢٩٠ : ٢٩٢ سيرة ابن هشام) جميعهم من أحاديث عروة بن الزبير رضي الله عنه ومحمد بن يحي بن حبان وعبد الله بن أبي بكر وسعيد بن جبير ـ رحمهم الله ـ مرسلاً، بأسانيد لا تسلم من الإعلال، وأصل الحديث في الصحيحين؛ (٤٩٠٥/ تفسير المنافقون/ البخاري) (٢٥٨٤/ البر والصلة والأدب/ مسلم) كلاهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وإنما أردت الاستشهاد بشد الرحال إلى المدينة في ساعة مبكرة، وكيف فعل النبي ﷺ لدرء الفتنة.

(٢) **صحيح**: (٩٧٤/ الجنائز/ مسلم) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه.

فهكذا غيرت أم المؤمنين بفطنةٍ وجهةَ الحديث بينها وبين رسول الله ﷺ لما سألت: «كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ»، وهكذا فتغيير موضوع الحديث إذا كانت مقدماته توحي بثمة مشكلة مسلك مهم لمن أراد اجتناب الأخيرة.

عاشراً: دفع التهمة عن النفس، وألا يضعها المرء مواضع التهم:

وقد كان هذا دأب النبي ﷺ، فهو وهو من هو حين اعتكف فَأَتَته أم المؤمنين صفية رضي الله عنها لَيْلاً تَزُورُهُ، فَمَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ فَلَمَّا أبصراه أَسْرَعَا، قَالَ ﷺ لهما: «**عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**»، فَقَالاَ سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وإني خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَراً**»[1].

ونفي المعصية عن النفس لا يعد رياء لأن من التصقت به تهمة المعصية استحق الذم والمقت من الناس، فكان من حقه إن لم يكن قد ارتكبها، إماطة التهمة عن نفسه بالبوح بأنه لم يفعلها أو أنه لا يأتيها.

وقد قيل للأشعث بن قيس ـ رحمه الله ـ وقد صلّى فخَفَّف؛ إنك خففت، فقال: «إنه لم يخالطها رياء»[2]، فخلص من تنقصهم بنفيِ الرياء عن نفسه.

وهذا السبيل من سبلِ ترك إثارة الشر، فرع عن سبيلٍ آخر، ألا وهو:

- ألا يضع المرء نفسه مواضع التهم، ومواطن الشبهات والريب.

من ذلك أن يتجنب أهل السوء، ومجالسهم، فمَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً[3].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) (٢٠/ ١٦٦ الجامع لأحكام القرآن).
(٣) سبق تخريجه.

ينسب إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قوله:

لا تصحبْ أخا الجهل ... وإياك وإياهُ
فكم من جاهلٍ أردى ... حليماً حين أخاهُ
يقاس المرءُ بالمرءِ ... إذا ما المرء ما شاهُ
وللقلبِ من القلبِ ... دليلٌ حين يلقاهُ
وللشيء من الشيء ... مقاييسٌ وأشباهُ

قال الحافظ ابن عبد البر «رحمه الله»: «كان يقال: ستة إذا أُهينوا فلا يلوموا أنفسهم؛ الذاهب إلى مائدة لم يدعُ إليها، وطالب الفضل من اللئام، والداخل بين اثنين في حديثهما من غير أن يدخلاه فيه، والمستخف بالسلطان، والجالس مجلسا ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لا يسمع منه ولا يصغىَ إليه»[1]، وعن إمام التابعين الربيع بن خثيم «رحمه الله»، قال: «الناس رجلان عاقل وجاهل؛ فأما العاقل فلا تؤذه وأما الجاهل فلا تجاره»[2].

تحرّز ما استطعتَ من السفيهِ ... بحلمِكَ عنه إنّ الفضلَ فيه
فقدْ يعصى السفيهُ مؤدّبيهِ ... ويبرمُ باللجاجةِ مُنصفِيه
تلينُ له فيُغلظ جانباه ... كعير السوءِ يرمحُ عالفِيه
إذا ابتعتَ السفيهَ فهي حلماً ... وضمناً واستَعدّ لسدّ فِيه

وفضلاً عن مصاحبةِ أهل السوء، والتزام مجالسهم، فمن مواطن الشبهات والريب أيضاً؛ أماكن الفساد، وأماكن تجمع النساء، والوقوع في الأفعال التي وإن كانت لا تثريب فيها، فهي في ظاهرها تستوجب التقريع، فإن فُعلت فيجب التصريح بسلامتها في حينه، وذلك لفعل النبي ﷺ، مع أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، في الحديث المتقدم، وقوله ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنَ الإِنْسَانِ**

---

(١) (٢/ ٧٤ الآداب الشرعية).
(٢) (٣٨/ الحلم).

مَجْرَى الدَّمِ وإني خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ في قُلُوبِكُمَا شَرّاً»[١]، وفي الباب أدلة أخرى، سيأتي بيانها.

ويتأكد هذا الخلق:

في حق العالم والمُعلم والمؤدب والقاضي والمفتي وغيرهم ممن يقتدي بهم، قال **الإمام النووي** «رحمه الله»: «يستحب للعالم والمعلم آداب والقاضي والمفتى والشيخ المربى وغيرهم ممن يقتدى به ويؤخذ عنه، أن يجتنب الأفعال والأقوال والتصرفات التي ظاهرها خلاف الصواب وإن كان محقا فيها، لأنه إذا فعل ذلك ترتب عليه مفاسد من جملتها؛ توهم كثير ممن تعلم ذلك منه أن هذا جائز على ظاهره بكل حال، وأن يبقى ذلك شرعاً وأمراً معمولاً به أبدا، ومنها وقوع الناس فيه بالنقص، واعتقادهم نقصه وإطلاق ألسنتهم بذلك، ومنها أن الناس يسيئون الظن به، فينفرون عنه، وينفرون غيرهم عن أخذ العلم عنه، وتسقط رواياته وشهادته، ويبطل العلم، وهذه مفاسد ظاهرة فينبغي له اجتناب أفرادها، فكيف بمجموعها، فان احتاج إلى شيء من ذلك وكان محقا في نفس الأمر لم يظهره، فان أظهره أو رأى مصلحة في إظهاره ليعلم جوازه وحكم الشرع فيه، فينبغي أن يقول؛ هذا الذي فعلته ليس بحرام، وإنما فعلته لتعلموا أنه ليس بحرام إذا كان على هذا الوجه الذي فعلته وهو كذا، ودليله كذا وكذا»[٢].

لذا فإننا نرى النبي ﷺ أمر بالمنبر، فصنع، وجيء به إليه ﷺ فوضع ثم صَلَّى عَلَيْه رسول الله ﷺ، وَكَبَّرَ وَهْوَ عَلَيْه، ثُمَّ رَكَعَ وَهْوَ عَلَيْه، ثُمَّ نَزَلَ الْقَهْقَرَى، فَسَجَدَ في أَصْلِ الْمِنْبَرِ ثُمَّ عَادَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا، وَلِتَعَلَّمُوا صلاتي**»[٣]، وشرب عَلِيٌّ رضي

(١) سبق تخريجه.

(٢) (٤٤٣/ الأذكار).

(٣) صحيح: (٩١٧/ الجمعة/ البخاري) (٥٤٤/ المساجد/ مسلم) كلاهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

الله عنه قَائِماً ثم قال: «إِنَّ نَاساً يَكْرَهُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَشْرَبَ وَهْوَ قَائِمٌ، وإني رَأَيْتُ النبي ﷺ فَعَلَ كَمَا رأيتموني فَعَلْتُ»[١].

السبيل الحادي عشر: هجران صفحات الفواحش (الحوادث):

ومن أعظم سبل ترك إثارة الشر هجران صفحات الجرائد والمجلات التي تعرض للحوادث والقضايا، والتي تشيع الفاحشة وتدل الناس على الرذائل، وأحدث ما توصل إليه المجرمون والفساق من طرق ارتكاب الجريمة وكيفية إخفاء أثارها؛ وقد قال الله عز وجل: ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾ (النساء: ١٤٨)، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ (البقرة: ٢٠٥)، وقال أيضاً: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (النور: ١٩).

قال أهل اللغة: «شاعَ»: ذاعَ وفَشا وظَهَرَ وانْتَشَرَ، وقولهم، «أَشاعَ ذِكرَ الشيءِ»: أَطارَه وأَظهره، وقولهم؛ «هذا خَبَر شائع، وقد شاعَ في الناس»؛ معناه: قد اتَّصَلَ بكل أَحد فاستوى علم الناس به[٢]، وقول الرجل: «شِعْتُ بالشيءِ»: أَذَعْتُهُ وأَظْهَرْتُهُ[٣]، هذه المعاني اللغوية تدل ـ دلالة واضحة، على أن مجرد إذاعة أو إظهار أو نشر الفاحشة «الجرم» على الملأ، هو إشاعة لها، من سعى في ذلك، أو أحبه دون سعي ما، له في عذاب أليم في الدنيا والآخرة.

---

(١) صحيح: (٢٦١٥/ الأشربة/ البخاري) من حديث علي رضي الله عنه.
(٢) (٨/ ١٨٨ لسان العرب) (٥٣٥٧/ تاج العروس).
(٣) (٩٤٩ : ٩٥٠/ القاموس المحيط).

وما نشر الجرائم على صفحات الحوادث «الفضائح»، إلا إظهار لها، ولا سبيل إلى الاحتجاج بحسن النية ـ كما يقولون: ننشر لزجر الغير !! نذيع لبيان سوء العاقبة !! نساعد على اكتشاف الجريمة ـ إذ النية الصالحة لا تصلح العمل الفاسد، بينما النية الفاسدة تفسد العمل الصالح.

هذا فضلاً عما في هذه الصفحات من سوء ظن، وهتك ستر، وقذف محصنة، وخوض في الأعراض، وقد أقام النبي ﷺ الحد على كل من لاك بلسانه واقعة الإفك من المؤمنين فضلاً عن المنافقين، التي اتهمت فيها امرأة بريئة شريفة عفيفة هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكل ذنب هؤلاء أنهم تناقلوا الشائعة، وذكروها بألسنتهم، قال تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (النور: ١٥)، قال جمهور المفسرين: «المعنى: يرويه بعضكم عن بعض، **قال الكلبي:** وذلك أن الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا»[(١)].

فلا شك أن صفحات الحوادث وما على شاكلتها سبيل إثارة للشر، وفتنة عظيمة، والأولى هجران المشاركة في إعدادها، وترك مطالعتها.

يقول الشيخ سعيد عبد العظيم ـ حفظه الله ـ: «أصرت كثير من الصحف ووسائل الإعلام على تخصيص جانب من مساحتها، وجزء من جهودها لتتبع الفواحش والقاذورات، ونشرها على الملأ، ويفعلون ذلك ويظنون أنهم يحسنون الصنع، لتعريتهم الحقيقة كما يقولون، وفضح بؤر الفساد، وعذرهم في ذلك؛ صدق الخبر وحرية التعبير والنشر، ونذكر جميع الذين ينشرون الجرائم

---

(١) ويروى هذا المعنى عن مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة ومقاتل ـ رحمهم الله ـ، بأسانيد بعضها يصح، وبعضها لا يصح كالمروي عن مجاهد ـ رحمه الله ـ، (٤/ ٢٠ فتح القدير) (٦/ ١٦٠ الدر المنثور) (٣/ ٣٦٦ ابن كثير) (٩/ ٢٨٥ جامع البيان) (٢٣/ ١٤٢ الطبراني في الكبير) (تفسير سورة النور/ البخاري، معلقاً).

الخلقية، والذين يقرون نشرها، نذكرهم بأن الله محاسبهم على جريمتهم هذه ولهم عذاب أليم، وهذا العذاب دنيوي، كما هو أخروي، ومن العذاب الدنيوي أن يجلد من ينشر فاحشة، لا يستطيع أن يقيم الأدلة والبراهين على ثبوتها، والقاذروات والخبائث يجب أن تستر، ولا تنشر وخصوصاً إذا كان مرتكبوها غير مشهورين بذلك، ونشر الفواحش على هذا النحو من شأنه أن يغري ويجرئ الأبرياء والأصحاء بمقارفة الجريمة، هذا ما ضجت منه المجتمعات الغربية، والذين ينشرون هذه الجرائم أنفسهم يعلمون ما تحدثه الأفلام التي تعرض الجريمة من نشر للإجرام، وترويج الصحف لا يكون بمثل هذا العمل غير المشروع، ولا بنشر مثل هذه الجراثيم، وليس معنى ذلك ألا يعاقب مقترفوا هذه الجرائم، وألا يؤخذ على أيديهم، وإنما نريد أن لا تنشر على الملأ وتكتب في الصحف والمجلات، فالكلمة أمانة، ويجب أن تستخدم في الإصلاح لا في الإفساد»[1].

الثاني عشر: معرفة فضل الناس والعلماء. وإنزالهم منازلهم:

لا يعرف فضل أهل الفضل إلا أهل الفضل، لذا فإنه لما أراد عمر رضي الله عنه أن يضرب عنق حاطب بن أبي بلتعه لما بعث إلى مشركي مكه يخبرهم أمرا من أمر رسول الله ﷺ قال له النبي ﷺ: «**ما يدريك لعل الله ﷻ قد أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[2] وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه، قال: قَالَ نَاسٌ مِنَ الأَنْصَارِ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ

---

(١) (١١٨ : ١١٩/ الديمقراطية ونظريات الإصلاح في الميزان) بتصرف.

(٢) سبق تخريجه.

وفي الباب خبر «ضعيف» عن النبي ﷺ، أنه قال: «**ارحموا عزيز قوم ذل، وارحموا غنيا افتقر، وارحموا عالما ضاع بين الجهال**» (٨/ ٥٥٩ الإتحاف) من طريق عيسى بن طهمان وهو ضعيف، وفي رواية: «عالم يتلاعب به الصبيان» من طريق البختري بن هشام وهو وهب بن وهب أحد الكذابين، ذكره الحافظ ابن حبان ـ رحمه الله ـ في الضعفاء، وأورده العلامة ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ في الموضوعات.

مَا أَفَاءَ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ، فَطَفِقَ النبي ﷺ يُعْطِي رِجَالاً الْمِائَةَ مِنَ الإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَحُدِّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَقَالَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا، قَامَ النبي ﷺ فَقَالَ: «**مَا حَدِيثٌ بلغني عَنْكُمْ**»، فَقَالَ فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ: أَمَّا رُؤَسَاؤُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئاً، وَأَمَّا نَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ النبي ﷺ: «**فإني أُعْطِي رِجَالاً حديثي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، أَتَأَلَّفُهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ وَتَذْهَبُونَ بالنبي ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ، فَوَ اللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا[1].

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم، هذا الأدب، وعملوا به، وما قصة الثلاثة الذين خلفوا عنا ببعيد؛ عندما تخلف كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم عن غزوة تبوك، وقَالَ النبي ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ كَعْبٌ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه؛ «بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْراً»[2].

وفي باب: إنزال أهل العلم منازلهم:

قال **أمير المؤمنين عليّ** رضي الله عنه: «لا يعرف فضل أهل العلم إلا أهل الفضل»، وقال **الإمام الماوردي** «رحمه الله»: «اعلم أن للمتعلم تملقا وتذللا فإن استعملهما غنم وإن تركهما حرم، لأن التملق للعالم يظهر مكنون علمه والتذلل له سبب لإدامة صبره»[3].

---

(١) سبق تخريجه. (٢) سبق تخريجه.

(٣) (٨٨/ أدب الدنيا والدين).

إن المعلمَ والطبيبَ كليهما ... لا ينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لدائكَ إن أهنتَ طبيبَه ... واصبر لجهلِك إن جفوتَ معلّمِا

وقد أحسن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حين قال :

«إن أخطاء العلماء فتنة لطائفتين :

طائفة تعظّمه ، فتريد تصويب ذلك الفعل ، واتباعه عليه ، طائفة تذمه ، فتجعل ذلك قادحاً في ولايته وتقواه ، بل في بره وكونه من أهل الجنة ، بل في إيمانه حتى تخرجه عن الإيمان. وكلا هذين الطرفين فاسد ، ومن سلك طريق الاعتدال ، عظّم من يستحق التعظيم ، وأحبه ووالاه ، وأعطى الحق حقه ، فيعظمُ الحق ، ويُرحمُ الخلق ، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات ، فيحمد ويذم ، ويثاب ويعاقب ، ويحب من وجه ، ويبغض من وجه ، هذا مذهب أهل السنة والجماعة ، خلافاً للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم»[1].

الثالث عشر: استحباب أن يعظ الناس من كان له منزلة في قلوبهم إذا حلت المصيبة، أو وقع البلاء:

تأسياً بما فعله الصديق خليفة رسول الله ﷺ عندما هاج المسلمون ، وتفرقوا عند موته ﷺ ، إذ قام فيهم خطيباً وقال : «أَلاَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حي لاَ يَمُوتُ»[2] ، وَقَالَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ (١٤٤) ﴾ (آل عمران : ١٤٤).

(١) (٤/ ٥٤٤ منهاج السنة).
(٢) صحيح: (٤٤٥٤/ المغازي/ البخاري).

وقام جرير بن عبد الله رضي الله عنه يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رضي الله عنه وكان أميرا على البصرة والكوفة، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ، فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمُ الآنَ، ثُمَّ قَالَ اسْتَعْفُوا لأَمِيرِكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعَفْوَ، ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ، فإني أَتَيْتُ النبي ﷺ قُلْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلاَمِ، فَشَرَطَ عَلَيَّ «وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»، فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا، وَرَبِّ هَذَا الْمَسْجِدِ إني لَنَاصِحٌ لَكُمْ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ»[١].

الرابع عشر: ترك الظن بالناس، وحمل كلامهم على أحسنِ الوجوه:

ففي البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا**»[٢].

وكان **الإمام مالك** ـ رحمه الله ـ يقول: «ليس كل إنسان يقدر أن يتكلم بعذره».

وقد أحسن النبي ﷺ الظن في دابته، وذب عن عرضها، عندما بَرَكَتْ بِهِ وهو على مشارف مكة في صلح الحديبية، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ، فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا: خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، فقال النبي ﷺ: «**مَا خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ**»[٣]، وإذا كان هذا حال النبي ﷺ مع الدابة، فأين نحن من هذه الحال، ليس مع الدواب بل مع الإخوان.

وأما الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، فها هو معاذ بن جبل، عندما تخلف كعب بن مالك رضي الله عنهما عن غزوة تبوك، وقَالَ النبي ﷺ وَهْوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ

---

(١) صحيح: (٥٨/ الإيمان/ البخاري).

(٢) صحيح: (٦٠٦٤/ الأدب/ البخاري) (٢٥٦٣/ البر والصلة والآداب/ مسلم) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سبق تخريجه.

بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ كَعْبٌ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: «بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْراً»[١]، وقيل قديماً: لا ينفع بعقله من لا ينتفع بظنه.

ومن حسن الظن أدب جليل كان من شيم سلفنا الصالح، هجره المسلمون في زماننا هو حمل كلام الإخوان على أحسنِ الوجوه؛ ومنه قول **أمير المؤمنين عمر** رضي الله عنه: «لا تظن بكلمة خرجت من فيّ مسلم شرا، وأنت تجد لها في الخير محملا»[٢]، وقول **الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز** «رحمه الله»: «إذا سمعت كلمة من مسلم فاحملها على أحسن ما تجد حتى لا تجد محملاً»[٣].

ومن سبل ترك إثارة الشر على الناس المرتبطة بهذا الباب:

(١) ألا يلتمس الرجل الريبة في أهله:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: «**نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلاً يَتَخَوَّنُهُمْ أَوْ يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ**»[٤]، وكان رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «**لاَ يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلاً وَكَانَ يَأْتِيهِمْ غُدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً**»[٥].

وقد بوب **الإمام البخاري** ـ رحمه الله ـ، في كتاب النكاح في صحيحه باباً سماه: «باب: لاَ يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلاً إِذَا أَطَالَ الْغَيْبَةَ مَخَافَةَ أَنْ يُخَوِّنَهُمْ أَوْ يَلْتَمِسَ عَثَرَاتِهِمْ»، وأورد فيه حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمُ الْغَيْبَةَ فَلاَ يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلاً**»[٦].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) (٤٥/ مدارة الناس).
(٣) (٣٩/ مدارة الناس).
(٤) سبق تخريجه.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) سبق تخريجه.

(٢) السؤال قبل الاتهام:

فيستحب للمرء أن يسأل عن الفعل الذي لم يفهم قصد صاحبه أو ظن بآتيه سوءا، وذلك بنية الاسترشاد أو لفت الانتباه، أو النصيحة، أو دفع ظن السوء إن لم يقدر على إحسان الظن، وغير ذلك من النوايا الصالحة، وليس بقصد الهمز واللمز والمعايرة وغير ذلك من النوايا القبيحة.

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتني ... أو كنتُ أجهل ما تقول عَذَلْتُك

لكن جَهِلتَ مقالتي، فعذَلتني ... وعلمتُ أنك جاهلٌ، فعَذَرتُك

وفي الباب من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل حاكياً قول نبيه موسى للخضر ـ عليهما السلام ـ لما خرق السفينة: ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ (الكهف: ٧١)، ثم لما قتل الغلام: ﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾ (الكهف: ٧٤)، ثم لما أقام الجدار: ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (الكهف: ٧٧).

وفي قصة سليمان ـ عليه السلام ـ لما غاب الهدهد الحكيم، قال سليمان عليه السلام: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ (النمل: ٢٠، ٢١).

وفي سنة نبينا محمد ﷺ؛ أنه ﷺ صَلَّى الصَّلَوَاتِ يَوْمَ الفَتْحِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه: «لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ شَيْئاً لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ»، قَالَ: «**عَمْداً صَنَعْتُهُ يَا عُمَرُ**»[1]، وقد دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشِّعْبِ نَزَلَ فَبَالَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، فقال أسامة بن زيد رضي الله عنهما:

---

(١) **صحيح**: (٢٧٧/ الطهارة/ مسلم) من حديث بريدة رضي الله عنه.

«الصَّلاَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ»، فَقَالَ: «**الصَّلاَةُ أَمَامَكَ**»، فَرَكِبَ، فَلَمَّا جَاءَ الْمُزْدَلِفَةَ نَزَلَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الْعِشَاءُ فَصَلَّى[1]، ولما أَعْطَى ﷺ رَهْطاً وَسَعْدٌ بن أبي وقاص رضي الله عنه جَالِسٌ، وتَرَكَ رَجُلاً هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَى سعد رضي الله عنه، قال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ فَوَ اللَّهِ إني لأَرَاهُ مُؤْمِناً»، فَقَالَ ﷺ: «**أَوْ مُسْلِماً**»، فَسَكَتُّ قَلِيلاً، ثُمَّ عاد سعد رضي الله عنه لمقالته فقال: «مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ فَوَ اللَّهِ إني لأَرَاهُ مُؤْمِناً» فَقَالَ ﷺ: «**أَوْ مُسْلِماً**»، ثُمَّ عاد لمقالته، وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ثُمَّ قَالَ: «**يَا سَعْدُ، إني لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ**»[2].

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ رَأَى عُمَرُ عَلَى رَجُلٍ حُلَّةً مِنْ إِسْتَبْرَقٍ، فَأَتَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْتَرِ هَذِهِ فَالْبَسْهَا لِوَفْدِ النَّاسِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ**»، فَمَضَى فِي ذَلِكَ مَا مَضَى، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ إِلَيْهِ بِحُلَّةٍ، فَأَتَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: بَعَثْتَ إِلَيَّ بِهَذِهِ، وَقَدْ قُلْتَ فِي مِثْلِهَا مَا قُلْتَ، قَالَ: «**إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِتُصِيبَ بِهَا مَالاً**»[3]، وفي رواية: «**تَبِيعُهَا أَوْ تُصِيبُ بِهَا حَاجَتَكَ**»[4].

الخامس عشر: الفيئ إلى الحق خير من التمادي في الباطل:

فالرجوع إلى الحق، والانفلال عن الباطل، يدرأ مفاسد عظيمة، ويخمد فتن كثيرة.

---

(١) صحيح: (١٣٩/ الوضوء/ البخاري) (١٢٨٠/ الحج/ مسلم) كلاهما من حديث أسامة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: (٢٧/ الإيمان/ البخاري) (١٥٠/ الإيمان/ مسلم) كلاهما من حديث سعد رضي الله عنه.

(٣) صحيح: (٦٠٨١/ الأدب/ البخاري) (٢٠٦٨/ اللباس والزينة/ مسلم) كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) صحيح: (٩٤٨/ العيدين/ البخاري) (٢٠٦٨/ اللباس والزينة/ مسلم) كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ولعل في حديث أبي بكر رضي الله عنه مع سلمان وصهيب وبلال رضي الله عنهم، وعن جميع الصحابة، شاهد على هذا الأصل، فعن عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلاَلٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا، قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُون هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**»، فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ: أَغْضَبْتُكُمْ، قَالُوا: لاَ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ[1].

وفي البـاب أيضاً حديث عظيم: عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاَةَ الْعَصْرِ فَسَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ، فَقَامَ ذُو الْيَدَيْنِ[2] فَقَال: أَقُصِرَتِ الصَّلاَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ نَسِيتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ**»، فَقَالَ: قَدْ كَانَ بَعْضُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**أَصَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ**»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَتَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا بَقِيَ مِنَ الصَّلاَةِ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ بَعْدَ التَّسْلِيمِ[3].

وفي البخاري من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذاً بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**» فَسَلَّمَ، وَقَالَ: إني كَانَ بيني وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شيء فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَال: «**يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**» ثَلاَثاً، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ذو اليدين السلمي رضي الله عنه: صحابي جليل، قال ابن إسحاق «رحمه الله»؛ كان يعمل بيديه جميعا فقيل له ذو اليدين، وشهد بدراً واستشهد بها، وقال أبو عمر قتل بأحدٍ (٢/ ٤٢٠، ٤/ ٧٢٠ الإصابة).

(٣) صحيح: (٧١٤/ الآذان/ البخاري) (٥٧٣/ المساجد/ مسلم، واللفظ له) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ فَقَالُوا لاَ ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النبي ﷺ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ ، فَقَالَ النبي ﷺ : **«إِنَّ اللَّهَ بعثني إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وواساني بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لي صاحبي»**[1].

ومن القفول إلى الحق ، أن يثبت المرء الجهل لنفسه فيما لا يعلمه ، وأن يحيل العلم فيه إلى الله تعالى ، ففي مقولةِ : «الله أعلم» ؛ مغنم كبير ، للنفس وللناس.

وفي الباب: عَنْ مَسْرُوق ـ رحمه الله ـ قَالَ : قَالَ ابن مسعود رضي الله عنه : «مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لاَ يَعْلَمُ ؛ لاَ أَعْلَمُ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ **قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ** ﴿٨٦﴾ ﴾ (ص: ٨٦)»[2]، وقال رضي الله عنه : «إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتى ؛ لمجنون»[3].

قال بعض أهل العلم : «تعلم ؛ لا أدري ، فإنك إن قلت ؛ لا أدري ، علموك حتى تدري ، وإن قلت ؛ أدري ، سألوك حتى لا تدري» ، وقال عتبة بن مسلم ـ رحمه الله ـ : «صحبت ابن عمر رضي الله عنهما أربعة وثلاثين شهرا ، فكان كثيراً ما يُسأل فيقول : لا أدري» ، وقال ابن سيرين «رحمه الله» : «لأن يموت الرجل جاهلاً ، خير له من أن يقول ما لا يعلم» ، وقال مالك «رحمه الله» : «من فقه العالم أن يقول : لا أعلم فإنه عسى أن يتهيأ له الخير» ، وقال : «سمعت ابن هرمز يقول : ينبغي للعالم أن يورث جلساءه من بعده : لا أدري ، حتى يكون ذلك أصلاً في أيديهم يفزعون

---

(١) سبق تخريجه.

(٢)**صحيح:** (٤٧٧٤/ تفسير الروم/ البخاري) (٢٧٩٨/ صفة القيامة والجنة والنار/ مسلم).

(٣)**صحيح على شرط الشيخين:** (١/ ٧٣ الدارمي) (٩/ ١٨٨ الطبراني في الكبير) (٦٢/ ابن الجعد) (٨/ العلم).

إليه»، وقال **ابن جبير** «رحمه الله»: «ويل لمن يقول لما لا يعلم؛ إني أعلم»، وقال **أبو داود** ـ رحمه الله ـ في مسائله: «ما سمعت أحمد سُئل عن كثيرٍ مما فيه الاختلاف في العلم، فيقول: لا أدري»، قال: «وسمعته يقول: ما رأيت مثل ابن عيينة في الفتوى، كان أهون عليه أن يقول: لا أدري)»، وقال عبد الله بن أحمد ـ رحمهما الله ـ في مسائله: «سمعت أبي يقول: وقال عبد الرحمن ابن مهدي؛ سأل رجل من أهل الغرب مالك بن أنس عن مسألة، فقال: لا أدري، فقال: يا أبا عبد الله تقول: لا أدري، قال: نعم، فأبلغ من وراءك أني لا أدري»، وقال عبد الله ـ رحمه الله ـ: «كنت أسمع أبي كثيراً يُسأل عن المسائل فيقول: لا أدري، ويقف إذا كانت مسألة فيها اختلاف، وكثيراً ما كان يقول؛ سل غيري، فإن قيل له: من نسأل، قال: سلوا العلماء، ولا يكاد يسمي رجلاً بعينه»، وسُئل الشعبي رحمه الله عن مسألةٍ فقال: «لا أدري»، فقيل له: ألا تستحي من قولك: لا أدري، وأنت فقيه أهل العراق، فقال: «لكن الملائكة لم تستحى حين قالوا: لا علم لنا إلا ما علمتنا»[1]، وكان يقول: «لا أدري؛ نصف العلم»[2].

وعن **عبد الله بن أحمد** ـ رحمهما الله ـ قال: سمعت أبي يقول: سمعت الشافعي يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: سمعت محمد بن عجلان: « أغفل العالم «لا أدري» أصيبت مقاتله»[3].

وعن حماد بن زيد عن أيوب ـ رحمهما الله ـ قال: سمعت القاسم بن محمد ـ رحمه الله ـ يُسأل بمنى فيقول: «لا أدري، لا أعلم، فلما أكثروا عليه، قال: والله ما نعلم كل ما تسألون عنه، ولو علمنا ما كتمناكم، ولا حل لنا أن نكتمكم»، قال: وسمعت يحيى بن سعيد ـ رحمه الله ـ يقول: سمعت القاسم ـ

(١) (١/ ٣٣، ٢/ ١٨٥: ١٨٦، ٤/ ٢١٨ إعلام الموقعين) بتصرف.

(٢) صحيح إليه «رحمه الله»: (١/ ٧٤ الدارمي).

(٣) (١/ ١٤٣: ١٤٤ النكت على مقدمة ابن الصلاح).

رحمه الله ـ يقول: «ما نعلم كل ما نسأل عنه، ولئن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله تعالى عليه، خير له من أن يقول ما لا علم»[١].

السادس عشر: ألا يشير المرء بسلاحه، أو يظهر نصله، أو يحمله أو يبيعه في الفتنة:

أورد الشيخان ـ رحمهما الله ـ في صحيحيهما عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: «**إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَجْلِسٍ أَوْ سُوقٍ وَبِيَدِهِ نَبْلٌ فَلْيَأْخُذْ بِنِصَالِهَا**[٢]**، ثُمَّ لْيَأْخُذْ بِنِصَالِهَا، ثُمَّ لْيَأْخُذْ بِنِصَالِهَا**» وفي رواية: «**أَنْ يُصِيبَ أَحَداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شيء**»[٣]، وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِى لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ**»[٤].

وعن جابر رضي الله عنه، قال: مَرَّ رَجُلٌ فِي الْمَسْجِدِ بِسِهَامٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمْسِكْ بِنِصَالِهَا»[٥].

وقوله: «**فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِى لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ**».

قال **الحافظ ابن حجر** «رحمه الله»: «والمراد أنه يغري بينهم، حتى يضرب أحدهما الآخر بسلاحه، فيحقق الشيطان ضربته له»[٦].

---

(١) (٢/ ١٨٤ حلية الأولياء).

(٢) النصال: جمع نصل، والنصل: حديدة الرمح والسهم والسكين.

(٣) صحيح: (٧٠٧٥/ الفتن/ البخاري) (٢٦١٥/ البر والصلة والأدب/ مسلم) كلاهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٤) صحيح: (٧٠٧٢/ الفتن/ البخاري) (٢٦١٧/ البر والصلة والأدب/ مسلم) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) صحيح: (٤٥١/ الصلاة/ البخاري) (٢٦١٤/ البر والصلة والأدب/ مسلم) كلاهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٦) (١٣/ ٢٥ فتح الباري).

وفي هذا الباب فوائد عدة أهمها:

بيان حرص الإسلام على كفالة الآداب التي من شأنها منع الشحناء بين المسلمين، وكذا الوقوف على ما قد يؤذي المسلمين وإزالته، وبيان عظم دم المسلم، فعنه ﷺ : «**مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ بِمِلْءِ كَفِّهِ مِنْ دَمٍ أَهْرَاقَهُ فَلْيَفْعَلْ**»[١].

وفيه كما **قال الحافظ** «رحمه الله»: «النهي عما يفضي إلى المحذور، وإن لم يكن المحذور محققاً، سواء كان ذلك في جد أو هزل»[٢].

وغمد الأنصال على الوجوب لتكرار أمره ﷺ : «**فليأخذ بنصالها**»، ويدخل في إطار هذا الأمر الحراب والسيوف والسهام والسكاكين وكل ما قد يصيب الناس بأذى.

وأما المواطن التي تغمد فيها النصال:

فكل محل لتجمع الناس، وقد بوب **الإمام النووي** ـ رحمه الله ـ في شرحه صحيح مسلم في كتاب البر والصلة والأدب، بابا أورد فيه الحديثين المتقدمين سماه: «أَمْرِ مَنْ مَرَّ بِسِلاَحٍ فِي مَسْجِدٍ أَوْ سُوقٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الْمَوَاضِعِ الْجَامِعَةِ لِلنَّاسِ أَنْ يُمْسِكَ بِنِصَالِهَا».

وفي باب منع حمل السلاح:

ما رواه الشيخان من حديث عبد الله بن عمر، وأبي موسى رضي الله عنهم، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا**»[٣]، وفي صحيح

---

(١) صحيح: (٧١٥٢/ الأحكام/ البخاري) من حديث جندب رضي الله عنه.

(٢) (١٣/ ٢٥ فتح الباري).

(٣) صحيح: (٧٠٧٠/ الفتن/ البخاري) (٩٨/ الإيمان/ مسلم) كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، (٧٠٧١/ الفتن/ البخاري) (١٠٠/ الإيمان/ مسلم) كلاهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (١٠١/ الإيمان) بزيادة: «**وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**».

مسلم من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَلَّ عَلَيْنَا السَّيْفَ فَلَيْسَ مِنَّا**»(١).

والعلة من منع الحمل:

منع إدخال الرعب على الناس وتخويفهم، **قال الحافظ** «رحمه الله»: «المراد من حمل عليهم السلاح؛ لقتالهم، لما فيه من إدخال الرعب عليهم، لا من حمله لحراستهم مثلا، فإنه يحمله لهم، لا عليهم»(٢)، وقال في موضع أخر: «والوعيد المذكور؛ لا يتناول من قاتل البغاة من أهل الحق، فيحمل على البغاة، وعلى من بدأ بالقتال ظالما»(٣).

وأما قوله: «**فليس منا**»، **قال الإمام النووي** «رحمه الله»: «ومعناه عند أهل العلم؛ أنه ممن اهتدى بهدينا، واقتدى بعلمنا وعملنا وحسن طريقتنا، كما يقول الرجل لولده إذا لم يرض فعله؛ «لست مني»، وهكذا القول في كل الأحاديث الواردة بنحو هذا القول، كقوله: «**من غشنا فليس مني**»(٤)، **وقال في موضع** أخر: «وقاعدة مذهب أهل السنة والفقهاء، هي أن حمل السلاح على المسلمين بغير حق ولا تأويل، ولم يستحله فهو عاص، ولا يكفر بذلك، فإن استحله كفر»(٥).

وقال الحافظ «رحمه الله»: «أي على طريقتنا، وأطلق اللفظ مع احتمال إرادة أنه ليس على الملة، للمبالغة في الزجر والتخويف»(٦)، **وقال في موضع** أخر: «أي ليس على طريقتنا، أو ليس متبعا لطريقتنا، لأن من حق المسلم على المسلم أن ينصره ويقاتل دونه، لا أن يرعبه بحمل السلاح عليه لإرادة قتاله أو

---

(١) صحيح: (٩٩/ الإيمان/ مسلم) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.
(٢) (١٢/ ١٩٧ فتح الباري).
(٣) (١٣/ ٢٤ فتح الباري).
(٤) (١/ ٩٢ شرح صحيح مسلم).
(٥) (١/ ٢٩٨ شرح صحيح مسلم).
(٦) (١٢/ ١٩٧ فتح الباري).

قتله، ونظيره من غشنا فليس منا، وليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب، وهذا في حق من لا يستحل ذلك، فأما من يستحله فإنه يكفر باستحلال المحرم بشرطه، لا مجرد حمل السلاح، والأولى عند كثير من السلف إطلاق لفظ الخبر من غير تعرض لتأويله، ليكون أبلغ في الزجر، وكان سفيان بن عيينة ينكر على من يصرفه عن ظاهره، فيقول معناه: ليس على طريقتنا، ويرى أن الإمساك عن تأويله أولى؛ لما ذكرناه»[١].

وأما منع بيع السلاح في الفتنة:

قال العلامة ابن القيم «رحمه الله»: «ولا ريب أن هذا سد لذريعة الإعانة على المعصية، ومن المعلوم أن هذا البيع يتضمن الإعانة على الإثم والعدوان، وفي معنى هذا كل بيع أو إجارة أو معاوضة تعين على معصية الله؛ كبيع السلاح للكفار، والبغاة وقطاع الطريق، وبيع الطريق لمن يفسق به، أو يؤاجره لذلك، أو إجارة داره أو حانوته أو خانه، لمن يقيم فيها سوق المعصية، وبيع الشمع أو إجارته لمن يعصي الله عليه، ونحو ذلك مما هو إعانة على ما يبغضه الله ويسخطه»[٢].

السابع عشر: ترك الجدال والمخالفة إلا أن يكون لله:

فإني لم أر بالأمة اليوم من داء أشد عليها من الجدال والمخالفة عن غير علم وبغير حق؛ وصدق الإمام الأوزاعي ـ رحمه الله ـ حين قال: «إذا أراد الله بقوم شرا أعطاهم الجدل ومنعهم العمل»[٣].

فعَنْ مَسْرُوقٍ ـ رحمه الله ـ قَالَ: قَالَ ابن مسعود رضي الله عنه : «مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ: «اللَّهُ أَعْلَمُ»، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لاَ يَعْلَمُ؛ لاَ

(١) (١٣/ ٢٤ فتح الباري).

(٢) (٣/ ١١٨ إعلام الموقعين).

(٣) (٦٦/ أدب الدنيا والدين).

أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ (ص: ٨٦)»[1].

ولنا في أصحاب الكهف أسوة حسنة، إذ هم فتية آمنوا بالله تعالى وسألوه الرشاد، فزادهم ـ عز وجل ـ هدى، ومحل الشاهد أنهم حين قاموا من يقظتهم قالوا: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ (الكهف: ١٩)، ثم أنهم تركوا الجدال والكلام فيما لا فائدة فيه، ولا طائل من ورائه وقالوا: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١٩).

والله ـ عز وجل ـ حثنا على فعلهم؛ ترك الجدال والكلام فيما لا فائدة فيه، ولا طائل من ورائه، فقال في شأن المراء في عدتهم: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ (الكهف: ٢٢).

والمراء الظاهر الذي استثني:

ذكر العلامة ابن جرير ـ رحمه الله ـ في تفسيره أن أكثر السلف على أنه: الاقتصار على ما قص الله عز وجل في كتابه، وما ظهر من أمر الفتية، أُبيح للنبي ﷺ أن يتلوه عليهم ولا يماريهم بغير ذلك[2].

---

(١) صحيح: (٤٧٧٤/ تفسير الروم/ البخاري، واللفظ له) (٢٧٩٨/ صفة القيامة والجنة والنار/ مسلم) كلاهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ورد في ذلك عدة آثار؛ ذكرها العلامة ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٢٥٣ جامع البيان) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد والضحاك بن مزاحم «رحمهما الله»، وهذه لم يصح منها شيء، وما صح أثر عن قتادة ـ رحمه الله ـ من طريق يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عنه «حسن».

ولما كانت المجادلة والمخالفة تولد الشحناء بين المسلمين، والعراك بين المسالمين، فقد حثنا النبي ﷺ على ترك الجدال ولو عن حق فقال: «**أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محقا**»[(١)]، وقال ﷺ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ**»[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر «رحمه الله»: «فقوموا عنه: أي تفرقوا، لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر»[(٣)]

ولله در من قال:

إذا أجتمع الناس في واحد ... وخالفهم في الرضا واحد

فقد دل إجماعهم دونه ... على عقله أنه فاسد

---

(١) حسن بشواهده: (١٩٩٣/ الترمذي) (٥١/ ابن ماجة) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي سنده سلمة بن وردان الليثي؛ ضعيف (٢٤٨/ التقريب).

وله شواهد: عند أبي داود (٤٨٠٠)، والطبراني في الكبير (٨/ ٩٩، ١٨٧)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٤٩) جميعهم من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

وفي المعجم الكبير للطبراني (١١/ ١٣٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي سنده سويد بن إبراهيم أبو حاتم عن عبد الملك بن سليمان العرزمي؛ **والأول**: صدوق سيئ الحفظ له أغلاط (٢٦٠/ التقريب)، **والثاني**: صدوق له أوهام (٣٦٣، ٣٦٦/ التقريب).

وفي المعجم الكبير أيضاً (٢٠/ ١١١) من حديث معاذ رضي الله عنه، وفي سنده عيسى بن شعيب بن إبراهيم النحوي: صدوق له أوهام (٤٣٩/ التقريب) (٨/ ١٩١ التهذيب)، وفي الأوسط (١/ ٢٧٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وفي الباب أثر ضعيف: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم بما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات**»؛ (١٢٧/ اعتقاد أهل السنة) من طريق عبد الله بن صالح عن علي بن أبي طلحة، **والأول**: صدوق كثير الغلط، وكانت فيه غفلة (٣١٦: ٣١٧ التقريب)، **والثاني**: صدوق ربما أخطأ، أرسل عن ابن عباس رضي الله عنهما ولم يره (٤/ ٢١٣ التهذيب).

(٢) صحيح: (٥٠٦٠/ فضائل القرآن/ البخاري) (٢٦٦٧/ العلم/ مسلم) كلاهما من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) (٩/ ١٠١ فتح الباري).

وقد كان السلف يتحفزون لترك المجادلة والمخالفة:

من ذلك **قول أمير المؤمنين عليّ** رضي الله عنه: «فَإِنِّي أَكْرَهُ الاخْتِلاَفَ حَتَّى يَكُونَ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ، أَوْ أَمُوتَ كَمَا مَاتَ أَصحابي»[١]، ومنه قول ابْن عُمَر رضي الله عنه: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ، وَأَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَعُمَرُ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُثْمَانُ صَدْراً مِنْ خِلاَفَتِهِ، ثُمَّ إِنَّ عُثْمَانَ صَلَّى بَعْدُ أَرْبَعاً»، فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما إِذَا صَلَّى مَعَ الإِمَامِ صَلَّى أَرْبَعاً وَإِذَا صَلاَّهَا وَحْدَهُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ[٢]، وأما عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فلما قيل له استَرْجَعَ ثُمَّ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ، فَلَيْتَ حظي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَانِ مُتَقَبَّلَتَانِ[٣]، ثم إنه وافق في صلاته عثمان رضي الله عنه، فقيل له: عبت على عثمان ثم صليت أربعا، فقال: «الخلاف شر»[٤].

وعن جويرة بن إسماعيل ـ رحمه الله ـ أنه قال: «دعوت الله أربعين سنة أن يعصمني من مخالفة الإخوان»[٥]، وقال الأصمعي ـ رحمه الله ـ حدثنا الخليل بن أحمد ـ رحمه الله ـ قال: «ما كان جدل إلا أتى بعده جدل يبطله»[٦].

لأجل ذلك فإن الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بوب في صحيحه في كتاب: «الاعتصام بالله»، بابا سماه: «كراهية الخلاف».

---

(١) صحيح: (٣٧٠٧/ فضائل الصحابة/ البخاري)

(٢) صحيح: (١٦٥٥/ الحج/ البخاري، دون زيادة فعل ابن عمر رضي الله عنهما) (٦٩٤/ صلاة المسافرين/ مسلم، واللفظ له)؛ وكلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) صحيح: (١٠٨٤/ تقصير الصلاة/ البخاري) (٦٩٥/ صلاة المسافرين/ مسلم)؛ كلاهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) هذه الزيادة ليست في الصحيحين، وإنما في بعض طرق الحديث عند أبي داود (١٩٦٠)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ١٤٤)، وأبي يعلى في مسنده (٩/ ٢٥٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٢٥٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٥١٩).

(٥) (٤٦٠/ مواقف إيمانية).

(٦) (١٢٨/ اعتقاد أهل السنة).

مبحث في:

منهج السلف الكرام في الرد على أهل الزيغ والبدع والضلال

وفي هذا الباب ـ باب ترك الجدال والخلاف، إلا أن يكون لله تعالى يجب أن يسعنا منهج السلف ـ رحمهم الله ـ في الرد على أهل الزيغ والبدع والضلالات؛ الذين بغضوهم ونبذوهم وقاطعوهم وتركوا مجالستهم وكلامهم وجدالهم وصانوا آذانهم عن سماع أباطيلهم، ولم يلتفتوا إلى بدعهم وضلالاتهم، وقلما ناظروهم، اللهم إلا بدعة منتشرة، في زمن عز فيه أهل العلم، وغاب السلطان الشرعي الآخذ على أيدي المبتدعة.

ولله در من قال:

إذا نطق السفيه فلا تُجبهُ ... فخيرٌ من إجابته السكوتُ

قال عبد الرحمن بن يزيد «رحمه الله»: سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «إياكم وما يحدث الناس من البدع، فإن الدين لا يذهب من القلوب بمره، ولكن الشيطان يحدث له بدعا حتى يخرج الإيمان من قلبه، ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة والصيام والحلال والحرام، ويتكلمون في ربهم عز وجل، فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب»، قيل: يا أبا عبد الرحمن فإلى أين؟ قال: «إلى لا أين، قال يهرب بقلبه ودينه، لا يجالس أحدا من أهل البدع»، وعن مجاهد «رحمه الله» قال: قيل لابن عمر ـ رضي الله عنهما؛ إن ذجدة يقول كذا وكذا، فجعل لا يسمع منه كراهية أن يقع في قلبه منه شيء، وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «ما كان شرك قط إلا كان بدوه تكذيب بالقدر، ولا أشركت أمة قط

إلا بدوه تكذيب بالقدر، وإنكم ستبلون بهم أيتها الأمة فإن لقيتموهم فلا تمكنوهم من المسألة فيدخلوا عليكم الشبهات»[١].

وقد دخل رجلان من أهل الأهواء على **محمد بن سيرين** «رحمه الله»، فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث، قال: «لا»، قالا: «فنقرأ عليك آية من كتاب الله»، قال: «لا تقومان عني، وإلا قمت»، فقام الرجلان فخرجا، فقال بعض القوم؛ ما كان عليك أن يقرآ آية، قال: «إني كرهت أن يقرآ آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي»[٢].

وكان ابن طاووس ـ رحمه الله ـ جالساً، فجاء رجل من المعتزلة، فجعل يتكلم، فأدخل **ابن طاووس** ـ رحمه الله ـ اصبعيه في أذنيه، وقال لابنه: «أي بني ادخل اصبعيك في أذنيك، واشدد لا تسمع من كلامه شيئاً»[٣].

وعن **الحسن** «رحمه الله»: أن رجلا أتاه فقال: يا ابا سعيد إني أريد أن أخاصمك، فقال الحسن «رحمه الله»: «إليك عني فإني قد عرفت ديني وإنما يخاصمك الشاك في دينه»، وكان ـ رحمه الله ـ يقول: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم»، وقال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: «من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر الشك»[٤].

وعن **الإمام الأوزاعي** عن **يحيى بن أبي كثير** رحمهما الله: «قال إذا لقيت صاحب بدعه في طريق فخذ في غيره»، وعن أبي قلابة رحمه الله قال: «لا تجالسوهم، ولا تخالطوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم كثيراً مما تعرفون»[٥].

---

(١) (١٢١ : ١٢٣/ اعتقاد أهل السنة) بتصرف.
(٢) (١٣٨/ السنة) (٢١٥/ كتاب القدر) (١٣٣/ اعتقاد أهل السنة).
(٣) (١٣٨/ السنة) (١٣٥/ اعتقاد أهل السنة).
(٤) (١٢٨ : ١٣٣/ اعتقاد أهل السنة) بتصرف.
(٥) (٢١٤ : ٢١٥/ كتاب القدر).

وعن **أيوب السختياني** ـ رحمه الله ـ قال: قال لي أبو قلابة ـ رحمه الله: «يا أيوب؛ احفظ عني أربعاً؛ لا تقولن في القرآن برأيك، وإياك والقدر، وإذا ذكر أصحاب محمد فامسك، ولا تمكن أصحاب الأهواء من سمعك»(١).

لذا فإنه لما قال رجل من أهل البدع لأيوب رحمه الله: يا أبا بكر أسألك عن كلمة، ولى ـ رحمه الله ـ وهو يقول بيده: لا، ولا نصف كلمة (٢)، وكان يقول رحمه الله: «لست ترد عليهم بشيء أشد من السكوت».

وقال **سفيان الثوري** «رحمه الله»: «من سمع بدعة فلا يحكيها لجلسائه، لا يلقيها في قلوبهم: وقال **عبد الله بن السري** «رحمه الله»: «ليست السنة عندنا أن يرد على أهل الأهواء، ولكن السنة عندنا ألا نكلم أحد منهم»، وكتب رجل إلى الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ يسأله أن يضع كتابا للرد على أهل البدع، وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ويحتج عليهم، فكتب إليه الإمام أحمد رحمه الله، كتابا فيه: «الذي كنا نسمع، وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم، أنهم كانوا يكرهون الكلام، والجلوس مع أهل الزيغ، وإنما الأمر في التسليم، والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم»، ثم أردف ـ رحمه الله ـ الحكمة من ترك الرد عليهم في قوله: «حكيت شبهتهم أولا، ثم أجبت عنها، فلا يؤمن أن يطالع الشبهة من تعلق بفهمه، ولا يلتفت إلى الجواب، أو ينظر في الجواب ولا يفهم كنهه».

وبوب **الإمام البيهقي** ـ رحمه الله ـ في كتابه: «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد»، باباً سماه: «النهي عن مجالسة أهل البدع»(٣).

---

(١) (١٣٤/ اعتقاد أهل السنة).

(٢) (١٣٨/ السنة) (٢١٥/ كتاب القدر).

(٣) (٢٣٦/ الاعتقاد).

وقال **عبد الرزاق** «رحمه الله»: قال لي إبراهيم بن أبي يحيى: إني ارى المعتزلة عندكم كثير، قلت: نعم، وهم يزعمون أنك منهم، قال: أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أكلمك، قلت: لا، قال: لم، قلت: «لأن القلب ضعيف، وإن الدين ليس لمن غلب».

وعن **ثابت بن العجلان** ـ رحمه الله ـ قال: «أدركت أنس بن مالك، وابن المسيب، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، والشعبي، وإبراهيم النخعي، وعطاء ابن أبي رباح، وطاووس، ومجاهد، وعبد الله ابن أبي مليكة، والزهري، ومكحول، والقاسم أبا عبد الرحمن، وعطاء الخراساني، وثابت البناني، والحكم بن عتبة، وأيوب السختياني، وحماد، ومحمد بن سيرين، وأبا عامر وكان قد أدرك أبا بكر الصديق، ويزيد الرقاشي، وسليمان بن موسى؛ كلهم يأمروني في الجماعة، وينهوني عن أصحاب الأهواء»[1].

فيا الله: ألا يسعنا ما وسع هؤلاء ... ألا يسعنا ما وسع هؤلاء

هذا هو منهج السلف في نبذ وهجران أهل الزيغ، لا الرد عليهم، اللهم إلا بدعة انتشرت، كما قدمنا، فيجب دفعها، خاصة إذا قل العلم لدى الناس، وغاب السلطان الشرعي الآخذ على أيدي المبتدعة، وسقط الناس في الفتنة، وتحقق الضرر للناس من جراء انتشار البدعة، قال **الإمام الغزالي** ـ رحمه الله ـ معلقاً على كلام **الإمام أحمد** ـ رحمه الله ـ سالف الذكر بشأن الرد على أهل الزيغ والبدع والضلالات: «وما ذكره أحمد حق، ولكن في شبهة لم تنتشر، ولم تشتهر، أما إذا انتشرت، فالجواب عنها واجب، ولا يمكن الجواب إلا بعد الحكاية»، وخير شاهد لصحة ما قرره الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ، موقف الإمام أحمد نفسه في محنة خلق القرآن مع حكام الدولة العباسية والمعتزلة.

---

(١) (١٣٣ : ١٣٥/ اعتقاد أهل السنة) بتصرف.

فمثل هذه البدعة يجب ردها، وأصحابها؛ لا بد من ذكرهم والتشريد بهم، إذ ما يعود على المسلمين من ضررهم إذا تركوا، أعظم من الضرر الحاصل بذكر بدعهم وضلالاتهم، والرد عليها، والقاعدة الأصولية تقرر؛ «الضرر الأشد يزال»، وتقرر؛ «إذا تواردت المفاسد، فاختيار أقلها ضرراً».

وهنا تتنزل أقوال السلف الكرام، في وجوب الرد على المبتدعة، ويجمع بين أقوالهم، في نبذ المبتدعة والرد عليهم ومناظرتهم، ثم تقريرهم بوجوب الرد، كقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ رحمه الله ـ في وجوب الرد على غلاة الصوفية: «فهذه المقالات وأمثالها من أعظم الباطل، والواجب إنكارها، فإن إنكار هذا المنكر السارى في كثير من المسلمين، أولى من إنكار دين اليهود والنصارى الذى لا يضل به المسلمون»[1].

الثامن عشر: تكنية الكافر والمبتدع والفاسق، إذا خيف من ذكره باسمه: فتنة:

هكذا ترجم **الإمام النووي** ـ رحمه الله ـ في كتابه الأذكار، وساق أدلة من القرآن والسنة في الباب، نحو قول الله عز وجل: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ ﴾ (المسد: ١)، واسمه عبد العزّى، وقال: «قيل: ذكر بكنيته لأنه بها يعرف، وقيل: كراهة لإسمه حيث جعل عبدا للصنم»[2]، ونحو هذا تكنية أبي طالب، واسمه عبد مناف.

وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَرَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ

---

(١) (٢/ ٣٥٩ مجموع الفتاوى) بتصرف.
(٢) (٤٠٦ : ٤٠٧/ الأذكار).

بْنُ سَلُولَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فَإِذَا فِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ[١]، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ أَيُّهَا الْمَرْءُ، إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا، فَلاَ تُؤْذِينَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النبي ﷺ يُخَفِّضُهُمْ[٢] حَتَّى سَكَنُوا، ثُمَّ رَكِبَ النبي ﷺ دَابَّتَهُ فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ النبي ﷺ: «**يَا سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ** ـ يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ ـ **قَالَ كَذَا وَكَذَا**»، قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ عَنْهُ، فَوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْحَقِّ الذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ، لَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُونَهُ بِالْعِصَابَةِ، فَلَمَّا أَبَى اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الذي أَعْطَاكَ اللَّهُ شَرِقَ بِذَلِكَ[٣].

الشاهد: أن النبي ﷺ، كنى ابن أبي سلول رأس المنافقين، فقال: «أبو حباب»، مع ما فعل من إيذاء له ﷺ ـ وكان هذا في بداية هجرته وصحبه إلى المدينة، ولما تقوى شوكة المسلمين بعد.

---

(١) وفيه: جواز الابتداء بالسلام على قوم فيهم مسلمون وكفار، قال الإمام النووي رحمه الله: «وهذا مُجمعٌ عليه» (٦/ ٣٩٩ شرح صحيح مسلم).

(٢) أي: يسكنهم ويسهل الأمر بينهم (٦/ ٤٠٠ شرح صحيح مسلم).

(٣) سبق تخريجه. وقوله «اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُونَهُ بِالْعِصَابَةِ»؛ اتفقوا أن يجعلوه ملكهم، وكان من عادتهم إذا ملكوا إنساناً أن يتوجوه ويعصبوه، وقوله: «شَرِقَ بِذَلِكَ»: أي غص؛ ومعناه؛ حسد النبي ﷺ (٦/ ٤٠٠ شرح صحيح مسلم).

قال **الإمام النووي** «رحمه الله»: «هذا كله إذا وجد الشرط الذي ذكرناه في الترجمة، فإن لم يوجد، لم يزد على الإسم، وفي الصحيحين؛ أن رسول الله ﷺ كتب: «من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل»[1]، فسماه باسمه ولم يكنه ولا لقبهُ بلقب ملك الروم وهو قيصر، ونظائر هذا كثيرة، وقد أمرنا بالإغلاظ عليهم، فلا ينبغي أن نكنيهم ولا نرفق لهم عبارة، ولا نلين لهم قولا، ولا نظهر لهم ودا ولا مؤالفة»[2].

وفي الباب أيضاً: من غير وجه تكنية الكافر والمبتدع والفاسق، ولكن من وجه إلانة القول لهم:

حديث أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: «**بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ**»، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ، قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشاً، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ**»[3].

---

(١) صحيح: (٦٢٦٠/ الاستئذان/ البخاري) (١٧٧٣/ الجهاد والسير/ مسلم) كلاهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه أن النبي ﷺ كتب إلي هرقل ملك الروم: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ وَ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

(٢) (٤٠٧/ الأذكار).

(٣) سبق تخريجه. وفي رواية عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «**إن شر الناس الذين يكرمون اتقاء شرهم**»؛ سبق تخريجه.

قال **الإمام القرطبي** «رحمه الله»: «في الحديث جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك من الجور في الحكم والدعاء إلى البدعة، مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة في دين الله تعالى»[1].

تجنب صديق السوء واصرم حباله ... وإن لم تجد عنه محيصاً فدارهِ
ومن يطلب المعروف من غير أهله ... يجدهُ وراء البحر أو في قرارهِ
ولله في عرض السموات جنة ... ولكنها محفوفةٌ بالمكارهِ

التاسع عشر: اعتذار من رد الهدية لشبهة، أو معنى شرعى، أو غير ذلك:

كأن يكون المهدى إليه والياً أو قاضياً أو موظفاً عاماً، أو متلبسٌ بظرف زمان أو مكان يمنعه من قبول الهدية، فليس من الفقه بمكان أن يثير زوبعة لا تنتهي على من قدم إليه هدية وقد لا يقصد الأخير رشوة أو نحوها، فيثير حوله شبهة، ويلصق بغيره تهمة لم تتأكد بعد، ثم هو يفتح أعين الناس على رذائل وآثام، وإشهارها يعين على انتشارها ويُصعب البُرء منها، وفقه المسألة؛ رد الهدية، والاعتذار بهدوء - قدر الإمكان - إلى مقدمها، فإن ضاق الأمر بالموظف أو القاضي أو الوالي من إصرار مُقدمها، واتضحت نية الأخير في كونها مقابل تنفيذ عمل، أو الامتناع عنه، أو الإخلال به، أو مكافأة له على القيام بذلك، فلا سبيل تجاهه إلا بشكايته، والله تعالى أعلم.

وقد بوب **الإمام النووي** - رحمه الله - في كتابه «الأذكار» باباً سماه: «استْحبابِ اعتذارِ مَن أُهديتْ إليه هديّةٌ، فردَّها لمعنى شرعي؛ بأن يكون قاضياً، أو والياً، أو كان فيها شُبهة، أو كان له عذرٌ غير ذلك»[2].

---

(١) (١٠/ ٤٥٤ فتح الباري).
(٢) (٧١٧/ الأذكار).

وأورد فيه حديث الصَّعْبُ بْنُ جَثَّامَةَ ﷺ حين أهدى إلى النبي ﷺ حِمَارَ وَحْشٍ وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «**لَوْلاَ أَنَّا مُحْرِمُونَ لَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ**»[1].

العشرون: طلب السلامة للمسلمين:

بعدم تمني السوء لهم، وألا يحب المرء وقوعهم في الفتن، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ اعتكف، فأتته أم المؤمنين صفية رضي الله عنها لَيْلاً تَزُورُهُ، فَمَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ فَلَمَّا أبصراه أَسْرَعَا، قَالَ ﷺ لهما: «**عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**»، فَقَالاَ سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وإني خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَراً**»[2]، الشاهد: قول النبي ﷺ: «**خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَراً**»، رغم أنه ﷺ لم يأت بثمة خطأ، وأنه يحرم الظن به ﷺ السوء ـ وهذا حكم عام في سائر أنبياء الله، صلوات الله عليهم وتسليمه ـ ذلك أنهم معصومون منه، فقوله ﷺ، دفعاً لما قد يتوهمه الأنصاريان، فيقعان في براثن ذنبٍ، قد يؤدي إلى مهلكتهم.

ونحو ذلك قول أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه عند احتضاره عندما عرف قاتله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي لَمْ يَجْعَلْ مَنِيَّتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ»[3].

---

(١) **صحيح**: (٢٥٧٣/ الهبة/ البخاري) (١١٩٤/ الحج/ مسلم، واللفظ له) كلاهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) **صحيح**: (٣٧٠٠/ فضائل الصحابة/ البخاري).

وفي الباب خبر ضعيف (بالقدر المذكور): عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**»؛ (٤٨٦٠/ أبي داود) (٣٨٩٦/ الترمذي) (١/ ٣٩٥ أحمد في المسند) (٩/ ٢٦٦ أبي يعلى) (٥/ ٤٠٦ البزار) (٨/ ١٦٦ البيهقي في الكبرى)، وفي إسناده؛ الوليد بن هشام مولى همدان عن زيد بن زائدة؛ **والأول**: مستور (٥٨٤ التقريب)، **والثاني**: لين (٢٢٣/ التقريب).

وقوله ﷺ: «**وأنا سليم الصدر**»: أي من مساوئكم.

وقال **الربيع بن سليمان المرادي** «رحمه الله»: دخلت على الشافعي ـ رحمه الله ـ وهو مريض، فقال لي: «ما ناظرت أحداً قط على الغلبة، وبودي أن جميع الخلق تعلموا هذا الكتاب ـ يعني كتبه، على أن لا ينسب إلي منه شيء»[١].

ولأجل هذا الخُلق، نُهينا عن الخصومة:

ففي الصحيحين عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ، عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الأَلَدُّ الْخَصِمُ**»[٢].

قال **البخاري** «رحمه الله»: «وهو الدائم في الخصومة»[٣].

وفي الصحيحين أيضاً عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[٤].

وعند أبي داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ قال: «**من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع عنه، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال**[٥] **حتى يخرج مما قال**»[٦].

---

(١) (٥١/ ٤٣٢ تاريخ دمشق).

(٢) **صحيح**: (٢٤٥٧/ المظالم/ البخاري) (٢٦٦٨/ العلم/ مسلم) كلاهما من أم المؤمنين رضي الله عنها.

(٣) (كتاب الأحكام/ صحيح البخاري)

(٤) **صحيح**: (٣٤/ الإيمان/ البخاري) (٥٨/ الإيمان/ مسلم) كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٥) الوحل الشديد.

(٦) **صحيح على شرط مسلم**: (٣٥٩٧/ أبي داود، واللفظ له) (٢/ ٧٠ أحمد في المسند، مطولا) (٢/ ٣٢ المستدرك) (٦/ ٨٢ البيهقي في الكبرى) جميعهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عدا الحاكم؛ أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وهو تصحيف.

وعن **ابن عمر** رضي الله عنهما ؛ عن النبي ﷺ قال: «**من أعان على خصومة بظلم، لم يزل في سخط الله حتى ينزع**».

وفي رواية: «**بغير علم**»[1].

وعن **أمير المؤمنين علي** رضي الله عنه قال: «إن الخصومة لها قحم، وإن الشيطان يحضرها»[2]، قيل القحم: المهالك[3].

قال **الغزالي** «رحمه الله»: «والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال أو حق مقصود»[4].

وقال **السدلان**: «الخصم: هو الذي يخصم أقرانه ويحاجهم بالباطل ولا يقبل الحق»[5].

قال **الأئمة**: والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما، حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر، ويحزن لمسرته ويطلق لسانه في عرضه، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات وأقل ما فيها اشتغال القلب حتى أنه يكون في صلاته وخاطره متعلق بالمحاجة والخصومة، فلا تبقى حاله على الاستقامة، والخصومة مبدأ الشر وكذا الجدال والمراء، فينبغي للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لابد منها[6].

---

(١) **حسن**: بهذا القدر ؛ (٣٥٩٨/ أبي داود) (٢٣٢٠/ ابن ماجة، واللفظ له) (٣/ ٢٠٠ الطبراني في الأوسط) (٦/ ٨٢ البيهقي في الكبرى) (١٠/ ٢١٩ حلية الأولياء) جميعهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، بطرق مختلفة تقوي بعضها. وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ؛ (٦/ ٨٢ البيهقي في الكبرى).

(٢) (٣/ ٢٦٦ الأم)

(٣) (٢٢١/ الكبائر) (٨٦٤/ الأذكار).

(٤) (٥٦/ ذكر وتذكير).

(٥) (٣/ ١١٨ الإحياء).

(٦) الإمام الذهبي «رحمه الله» (٢٢١/ الكبائر)، الإمام النووي «رحمه الله» (٨٦٤/ الأذكار).

الحادي والعشرون: محالمة الغاضب:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (فصلت: ٣٤)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما؛ «التي هي أَحْسَنُ» ؛ الصَّبْرُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالْعَفْوُ عِنْدَ الإِسَاءَةِ فَإِذَا فَعَلُوهُ عَصَمَهُمُ اللَّهُ، وَخَضَعَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ[١].

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي[٢]، وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**»[٣].

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه، قال: قَالَ نَاسٌ مِنَ الأَنْصَارِ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَا أَفَاءَ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ، فَطَفِقَ النبي ﷺ يُعْطِي رِجَالاً الْمِائَةَ مِنَ الإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَحُدِّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَقَالَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا، قَامَ

---

(١) (تفسير سورة فصلت/ البخاري، معلقاً).

(٢) أي ما انتهرني.

(٣) سبق تخريجه.

قال الإمام النووي «رحمه الله»: «فيه: بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته، وشفقته عليهم، وفيه: التخلق بخلقه في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه» (٣/ ٢٧ شرح صحيح مسلم).

النبي ﷺ فقَالَ: «مَا حَدِيثٌ بلغني عَنْكُمْ»، فقَالَ فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ: أَمَّا رُؤَسَاؤُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئاً، وَأَمَّا نَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ النبي ﷺ: **«فإني أُعْطِي رِجَالاً حديثي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، أَتَأَلَّفُهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ وَتَذْهَبُونَ بالنبي ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ، فَوَ اللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ»**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا [1].

مــن لــي بإنســانٍ إذا أغضبتــه ... وَجهلتُ كان الحلمُ ردَّ جوابه
وإذا طربْتُ إلى المدامِ شربْتُ من ... أخلاقِـه وسَـكِرْتَ مـن آدابـه
وتـراه يُصغي للحديثِ بسمعهِ ... وبقلبـهِ ولعلـه أدرى بـه [2]

وقد فقه الصحابة رضي الله عنهم هذا الخلق من رسول الله ﷺ، فعن عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا، قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُون هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ»، فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ؛ أَغْضَبْتُكُمْ، قَالُوا: لاَ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ [3].

قال عَوْفُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الطُّفَيْلِ وَهْوَ ابْنُ أَخِي أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها؛ أَنَّ أم المؤمنين حُدِّثَتْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما قَالَ فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ أم المؤمنين؛ وَاللَّهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ، أَوْ لأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: أَهُوَ قَالَ هَذَا، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَتْ: هُوَ لِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ لاَ أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَداً، فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما إِلَيْهَا، حِينَ طَالَتِ الْهِجْرَةُ فَقَالَتْ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أُشَفِّعُ فِيهِ أَبَداً، وَلاَ

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) أبو تمام.
(٣) سبق تخريجه.

أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ كَلَّمَ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ رضي الله عنه، وَقَالَ لَهُمَا: أَنْشُدُكُمَا بِاللَّهِ لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ، فَإِنَّهَا لاَ يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذُرَ قَطِيعَتِي، فَأَقْبَلَ بِهِ الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ مُشْتَمِلَيْنِ بِأَرْدِيَتِهِمَا حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ فَقَالاَ: السَّلاَمُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَنَدْخُلُ، قَالَتْ أم المؤمنين: ادْخُلُوا، قَالُوا: كُلُّنَا، قَالَتْ: نَعَم ادْخُلُوا كُلُّكُمْ، وَلاَ تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحِجَابَ، فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي، وَطَفِقَ الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يُنَاشِدَانِهَا إِلاَّ مَا كَلَّمَتْهُ وَقَبِلَتْ مِنْهُ، وَيَقُولاَنِ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنَ الْهِجْرَةِ، فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنَ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا نَذْرَهَا وَتَبْكِي وَتَقُولُ إِنِّي نَذَرْتُ، وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ، فَلَمْ يَزَالاَ بِهَا حَتَّى كَلَّمَتْ ابْنَ الزُّبَيْرِ، وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً، وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتَبْكِي، حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا[1].

وكان **أمير المؤمنين معاوية** رضي الله عنه يقول: «إن كنت لألقى الرجل من الجاهلية يوسعني شتماً وأوسعه حلماً فأرجع وهو لي صديق استنجده فينجدني وأثيره فيثور معي، وما دفع الحلم عن شريف شرفه ولا زاده إلا كرما»[2].

ومنه قول الشاعر:

كم صديقٍ بالعتبِ صار عدواً ... وعدوٍ بالحلمِ صار صديقا[3]

قال عبد الرزاق بن سليمان بن علي بن الجعد «رحمهم الله»: سمعت أبي يقول: أحضر المأمون أصحاب الجوهر فناظرهم على متاع كان معهم، ثم نهض لبعض حاجته، ثم خرج فقام له كل من في المجلس إلا علي بن الجعد، فنظر إليه

(١) صحيح: (٦٠٧٤/ الأدب/ البخاري).
(٢) (٣٣/ الحلم).
(٣) الحين البغدادي «رحمه الله».

كالمغضب، فقال يا شيخ: ما منعك أن تقوم، قال: أجللت أمير المؤمنين للحديث الذي تأثره عن النبي ﷺ قال: وما هو، قال: قال رسول الله ﷺ؛ «**من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار**»[١]، فأطرق المأمون ثم رفع رأسه فقال؛ لا يشتري إلا من هذا فاشتروا منه يومئذ بثلاثين ألف دينار[٢].

يقول **الأستاذ سيد قطب** «رحمه الله»: فبالرفق والحلم ينقلب الغضب إلى هدوء وسكينة، وينقلب الهياج وداعة، والتبجح إلى حياء، بكلمة طيبة، ونبرة هادئة، وبسمة حانية، في وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزمام، ولو قوبل بمثل فعله؛ ازداد هياجه وغضبه وتبجحه، وأخذته العزة بالإثم[٣].

وليس من محالمة الغاضب أن يقال له؛ اتق الله، اذكر الله، قل لا إله إلا الله، صلّ على النبي ﷺ، ونحو ذلك من تذكير، لئلا يحمله غضبه على الخوض في ضد ذلك، قال **الإمام النووي** «رحمه الله»: روى النَّحاسُ عن أبي بكر محمد بن يحيى ـ وكان أحدَ الفقهاء الأدباء، أنه قال: يُكره أن يُقال لأحدٍ عند الغضب؛ اذكر اللّه تعالى، خوفاً من أن يحملَه الغضبُ على الكفر[٤].

الثاني والعشرون: ضبط العلاقة بين المسلم والكافر:

قال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (المجادلة: ٢٢)، وقال أيضاً: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (هود: ١١٣)، وقال:

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) (١٠/ ٤٦٦ : ٤٦٧ سير الأعلام).
(٣) (٥/ ٣١٢١ الظلال).
(٤) (١/٨٥١ الأذكار).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (آل عمران: ١١٨)، وقال عز وجل: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (المائدة: ٨٠).

قال فريق من المفسرين: عني بذلك المنافقين، موالاتهم للكافرين وتركهم موالاة المؤمنين التي أعقبتهم نفاقا في قلوبهم وأسخطت الله عليهم سخطا مستمرا إلى يوم معادهم[١].

قال **الإمام القرطبي** «رحمه الله»: «من اتخذ كافراً ولياً فليس بمؤمن إذا اعتقد اعتقاده، ورضي أفعاله»[٢].

قال **العلامة ابن باز** «رحمه الله»: «والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهي تدل دلالة صريحة على وجوب بغض الكفار من اليهود والنصارى وسائر المشركين، وعلى وجوب معاداتهم حتى يؤمنوا بالله وحده، وتدل أيضاً على تحريم مودتهم وموالاتهم، وذلك يعني بغضهم والحذر من مكائدهم، وما ذاك إلا لكفرهم بالله وعدائهم لدينه ومعاداتهم لأوليائه وكيدهم للإسلام وأهله»[٣].

وأصل الموالاة: الحب والنصرة والصداقة، ودون ذلك مراتب متعددة، ولكل ذنب حظه وقسطه من الوعيد والذم[٤].

---

(١) (٢/ ١١٣ تفسير ابن كثير) بتصرف.

وقال فريق أخر المنافقين يتولون اليهود (٨٤/ معالم التنزيل)، وقيل: اليهود يتولون المشركين وليسوا على دينهم (٤/ ٦٥٩ جامع البيان) (٢/ ٩٦ فتح القدير).

(٢) (٦/ ٢٣٨ الجامع لأحكام القرآن).

(٣) (١١٧/ فتاوى مهمة).

(٤) (٣/ ١٠ الرسائل والمسائل النجدية).

- ومن موالاة غير المسلمين:

الرضا بكفرهم، أو الشك في ذلك، أو التحاكم إليهم من دون شرع الله، أو مودتهم ومحبتهم وانشراح الصدر لهم، أو التشبه بهم، أو اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، أو التآمر معهم[1] بالانخراط في أحزابهم، أو تنفيذ مخططاتهم، أو نقل عورات المسلمين وأسرارهم إليهم، أو معاونتهم على ظلمهم ونصرتهم، أو تكثير سوادهم، أو غير ذلك مما ذكره العلماء والفقهاء، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (المجادلة: ٢٢)، وقال أيضاً: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (هود: ١١٣)، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (آل عمران: ١١٨)، وقال: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ

---

(١) وقد أجاب العلامة ابن كثير ـ رحمه الله ـ على حديث حاطب بن أبي بلتعة ﷺ: «قبل رسول الله ﷺ عذر حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد» وأورد قول الله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (آل عمران: ٢٨) (٤/ ٤٤٢ تفسير ابن كثير)، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني «رحمه الله»: «وإنما لم يعاقب النبي ﷺ حاطباً، ولا هجره، لأنه قبل عذره في أنه إنما كاتب قريشاً خشية على أهله وولده، وأراد أن يتخذ له عندهم يدا فعذره بذلك» (٨/ ١٢٠ فتح الباري).

فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ (النساء: ١٤٠)، وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (آل عمران: ١٠٠) وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (آل عمران: ١٤٩). وقال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى**»[١].

وعَنْ **أبي الأسْوَدِ** ـ رحمه الله ـ قَالَ: قُطِعَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْثٌ فَاكْتُتِبْتُ فِيهِ، فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ فَأَخْبَرْتُهُ فنهاني أَشَدَّ النَّهْيِ، ثُمَّ قَالَ: أخبرني ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما؛ أَنَّ أُنَاساً مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ، يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فيأتي السَّهْمُ فَيُرْمَى، فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى[٢]: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (النساء: ٩٧).

---

(١) **حسن**: (٢٦٩٥/ الاستئذان والآداب/ الترمذي) (٢/ ٢٠٥ الشهاب) (٧/ ٢٣٨ الطبراني في الأوسط) جميعهم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو مرفوعا، وتمام الحديث؛ «**فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وإن تسليم النصارى بالأكف**»، وزاد الطبراني؛ «**ولا تقصوا النواصي وأحفوا الشارب واعفوا اللحى ولا تمشوا في المساجد والأسواق وعليكم القمص إلا وتحتها الأزر**». وفي مسند الشاميين (١/ ٢٨٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وفي سنده محمد بن عبس، قال الحافظ «رحمه الله»: «لا يعرف»، وذكره العقيلي في الضعفاء فقال: «مجهول بالنقل، لا يتابع على حديثه» (٥/ ٢٧٣ اللسان).

(٢) **صحيح**: (٧٠٨٥/ الفتن/ البخاري) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الحافظ ابن حجر «رحمه الله»: «وفيه تخطئة من يقيم بين أهل المعصية باختياره، لا لقصد صحيح من إنكار عليهم مثلاً، أو رجاء إنقاذ مسلم من هلكة، وأن القادر على التحول عنهم لا يعذر، كما وقع للذين كانوا أسلموا ومنعهم المشركون من أهلهم من الهجرة، ثم كانوا يخرجون مع المشركين لا لقصد قتال المسلمين، بل لإيهام كثرتهم في عيون المسلمين، فحصلت لهم المؤاخذة بذلك، فرأى عكرمة أن من خرج في جيش يقاتلون المسلمين يأثم، وإن لم يقاتل، ولا نوى ذلك، ويتأيد ذلك في عكسه بحديث هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» (١٣/ ٣٨ فتح الباري).

وهناك أفعال لا تعد من الموالاة:

كمعاملتهم بالحسنى واللطف والرحمة، أو اتقائهم ومداراتهم بغير مداهنة في دين الله تعالى، أو التصدق على فقرائهم، أو إهدائهم، أو قبول هديتهم، أو تعزيتهم في مصائبهم بما لا يخالف الشرع، أو رد السلام عليهم كما أورد الشرع، أو معاملتهم ماليا كما قرر، أو الاستعانة بهم عند الحاجة، أو آكل طعام أهل الكتاب والزواج من نسائهم بالضوابط الشرعية، أو زيارتهم أو الإقامة عندهم أو مخالطتهم لغرض شرعي وبالتزام الضوابط الشرعية، أو الاستفادة من علومهم، أو إقرارهم على دينهم، أو غير ذلك مما ذكره العلماء والفقهاء، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ ﴾ (الممتحنة: ٨)، وقال أيضاً: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝ ﴾ (آل عمران: ٢٨)، وقال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ﴾ (المائدة: ٥).

وقال رسول الله ﷺ : «**إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ**»[١]، وكان ﷺ إذا عطسوا عنده؛ يقول: «**يهديكم الله ويصلح بالكم**»[٢].

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.

فصلٌ في:

شبهة قد ترد، وبيان دفعها

أطبقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

نقل ذلك جمع من أهل العلم منهم؛ **الإمام ابن حزم** ـ رحمه الله ـ حيث قال: «اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم»[١].

وقال **الإمام النووي** «رحمه الله»: «تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة»[٢].

قال الله ﷻ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وقال أيضاً: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (التوبة: ٧١).

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»[٣]، وقال ﷺ: «**إنّه مفتوحٌ لكم وأنتم منصُورون مُصيبون فمنْ أدْرك ذلك منْكم فليتّقِ اللهَ ولْيأمُر بالمعروفِ ولْيَنْهَ عن المُنكرِ ولْيَصلْ**

---

(١) (٤/ ١٧١ الفصل في الملل).

(٢) (١/ ٥١ شرح صحيح مسلم).

(٣) صحيح:(٤٩/ الإيمان/ مسلم) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

رحمَه، ومثلُ الذي يعينُ قومَه على غير الحقِّ كمثَلِ البعير يتردى فهو يمدُّ بذنَبه»[١].

بالعُرفِ مُرْ وانْهَ عن نُكرٍ وكُف أذىً ... وغُضّ طَرفاً وأكْثِر ذكرَ مولانا[٢]

ويكفي أن نذكر طرفاً من أهميته ؛ ألا كونه سبيل للنجاة من سوء العاقبة التي تصيب القوم الظالمين، قال ﷻ : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٥)، وهو من علامات الحب في الله :

فحبيبك من يُغار إذا زللْتَ ... ويغلُظ في الكلامِ متى أسأتَ

يُسَرُّ إذا اتَّصَفْتَ بكل فَضْلٍ ... ويَحْزَنُ إن نَقَصْتَ أو انْتَقصْتَ

والشبهة التي قصدناها:

أن يظن البعض أن المقصود من ترك إثارة الشر السكوت عن المنكر وتثبيط الناس عن إزالته، فهذا المعنى أبعد ما يكون عن كلامنا، وهي شبهة قديمة تثور في كل زمان، أثارها مشركوا قريش من قبل، ومن قبلهم قوم شعيب ـ عليه السلام ـ، فالفرقة التي وقعت بين الناس نتيجة مبعث الرسل وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر والتي أخبر الله عنها الله عز وجل بقوله : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾ (البينة: ٤)، ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (يونس: ١٩)؛ ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا

---

(١) **صحيح**: (٤/ ١٧٦ المستدرك) (٢٢٥٧/ الترمذي) (١/ ٤٠١ أحمد في المسند) (٥/ ٥١١ النسائي في الكبرى) (١/ ٤٥ الطيالسي) (١/ ٣٢٩ الشهاب) (١٠/ ٩٤ البيهقي في الكبرى) جميعهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله ـ.

بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ﴾ (الشورى: ١٤)، هي فرقة أرادها الكفار والمشركون حين حاربوا الرسل ومنعوهم من تبليغ رسالات ربهم ليبقوا في الضلالة ويعيثوا في الأرض الفساد.

وقد أخطأ من ظن بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل إثارة للشر:

فقد قال الله ﷻ: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الذاريات: ٥٥) ولم يقل ﷻ تثير المؤمنين، قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** «رحمه الله»: «وعامة الأمراء إنما أحدثوا أنواعا من السياسات الجائرة من أخذ أموال لا يجوز أخذها وعقوبات على الجرائم لا تجوز، لأنهم فرطوا في المشروع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[1]؛ فهم حين فرطوا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحدثوا سياسات لضبط أمور الحياة، ولكونها من وضع البشر فهي جائرة أدت إلى إثارة الشر على الناس.

وبالنظر إلى المنكرات العقدية نجد منها ظهور الأقوال والأفعال والعقائد المبتدعة، التي كانت من أعظم أسباب الفرقة، فلو وقف المصلحون في طريقها وأنكروها لم تحدث نتائجها، والمنكرات القلبية المفرقة كالحسد والغل والبغضاء لو وقف المصلحون في طريقها وأنكروها لسلم المجتمع من غوائل التفرق والتناحر، والمنكرات العملية مثل منكرات التعامل كالكذب والغش والخيانة لو تناهى الناس عنها لسلم المجتمع من التفرق والتخاصم[2].

قال **شيخ الإسلام** «رحمه الله»: «الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان، فقد يذنب الرجل أو الطائفة، ويسكت آخرون عن الأمر والنهي،

---

(١) (٢/ ٥٩٨ اقتضاء الصراط المستقيم).

(٢) (٢/ ٤٦٨ : ٤٦٩ مشكلة الغلو في الدين).

فيكون ذلك من ذنوبهم وينكر عليهم آخرون إنكاراً منهيا عنه، فيكون ذلك من ذنوبهم، فيحصل التفرق والاختلاف والشر، وهذا من أعظم الفتن والشرور قديماً وحديثاً»[1].

فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في ظهور الفتن والتناحر والتفرق والاختلاف، وهو سبب في انتشار كثرة الخبث، وهو من قبل جالب للعذاب الشامل، قال الله ـ عز وجل ـ في شأن بني إسرائيل: ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة: ٧٩).

وقد ضرب النبي ﷺ المثل في هذا؛ في ترك إثارة الشر، مع عدم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتضح هذا في حديث عائشة رضي الله عنها؛ كان النبي ﷺ لا ينتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة لله تعالى فينتقم لله بها [2].

وقد امتثل سلفنا الصالح ـ رحمهم الله ـ نهج النبي ﷺ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع ترك إثارة الشر، ولعل في قصة **الإمام النووي** ـ رحمه الله ـ مع الظاهر بيبرس شاهد على ذلك، فإنه لما أراد الظاهر قتال التتار بالشام أخذ الفتاوى من العلماء، بجواز أخذ مال من الرعية يستنصر به على قتالهم، فكتب له فقهاء الشام بذلك، فأجازوه، فقال؛ هل بقي من أحد ؟ فقيل له: نعم، بقي الشيخ محي الدين النووي، فطلبه، فحضر، فقال له: اكتب حظك مع الفقهاء، فامتنع، فقال: ما سبب امتناعك ؟ فقال: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير بنداقدار، وليس لك مالٌ، ثم منّ الله عليك وجعلك ملكا، وسمعت أن عندك ألف مملوك، كل مملوك له حياصة من الذهب، وعندك مائتا جارية، لكل جارية حق من الحلى، فإذا أنفقت ذلك كله، وبقيت مماليكك بالبنود والصرف بدلاً من

---

(١) (٢٨/ ١٤٢ مجموع الفتاوى).

(٢) سبق تخريجه.

الحوائص، وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلى، أفتيتك بأخذ المال من الرعية، فغضب الظاهر من كلامه، وقال: أخرج من بلدي ـ يعني دمشق ـ، فقال: السمع والطاعة، وخرج إلى «نوى»، فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا، وممن يقتدى به، فأعده إلى دمشق، فرسم برجوعه، فامتنع الشيخ وقال: لا أدخلها والظاهر فيها، فمات بعد شهر[1].

الشاهد: أن الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: أفتاه بما يدين به، وامتثل لأمره في الخروج من البلاد.

ومن قبل **الإمام الأوزاعي** «رحمه الله»، قال: لما فرغ عبد الله بن علي ـ وكان كما قال الإمام الذهبي ملكاً جباراً سفاكاً للدماءِ صعب المراس ـ من قتل بني أمية، بعث إليّ، وكان قتل يومئذ نيفا وسبعين منهم، فدخلت عليه فقال: ما تقول في دماء بني أمية؟ فقلت: كان لهم عليك عهد، قال: فاجعلني وإياهم، ولا عهد، ما تقول في دمائهم؟ قلت: حرام، لقول رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث**» ـ وساق الحديث، فقال: ولما ويلك، أليست الخلافة وصية من رسول الله قاتل عليها عليّ رضي الله عنه بصفين؟!، قلت: لو كانت وصية ما رضي بالحكمين، قال: فما تقول في أموال بني أمية ؟ قلت: إن كانت لهم حلالا، فهي عليك حرام، وإن كانت عليهم حراما، فهي عليك أحرم، فأمرني فأخرجت[2].

لكن السبيل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا بالحسنى:

وإلا انقلب إثارة للشر، واستثارة للفساد والطغيان، قال الله ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥ ﴾ (النحل: ١٢٥)،

(١) (٧١/ علماء وأمراء).
(٢) (٧/ ١٢٤ : ١٢٥ سير أعلام النبلاء).

وقال تبارك وتعالى أيضاً: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٨)، قال **سفيان الثوري** «رحمه الله»: «لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، إلا من كان فيه ثلاث خصال؛ رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى»، وقال **العلامة ابن دقيق** «رحمه الله»: «وينبغي للآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر أن يفعل ذلك برفق، ليكون أقرب إلى تحصيل المقصود»[١].

كذا فعلى من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ أن يتحلى بالصبر:

الصبر على ما قد يجده من إعراض ونفور، الصبر على ما قد يصيبه من أذى، فها هو لقمان الحكيم بعدما أوصى ابنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (لقمان: ١٧).

وينبغي على الناهي عن المنكر، ألا يقدم على إنكاره، إذا علم أن فعله سيؤدي إلى وقوع من ينهاه في براثن منكراً أعظم مما يرتكبه.

وهذا من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر العظيم، والأدلة عليه متواترة، يقول **العلامة ابن القيم** «رحمه الله»: «إن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر، ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم، فقال: «**لا ما أقاموا الصلاة**»، وقال من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر، ولا ينزعن يداً من طاعته، ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن

---

(١) (٨٩/ شرح الأربعين النووية).

الكبار والصغار، رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات، ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام، عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك ـ مع قدرته عليه؛ خشية وقوع ما هو أعظم منه، من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد، لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وجد سواء، فإنكار المنكر أربع درجات:

«**الأولى**»: أن يزول ويخلفه ضده.

«**الثانية**»: أن يقل وإن لم يزل بجملته.

«**الثالثة**»: أن يخلفه ما هو مثله.

«**الرابعة**»: أن يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة، فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة، إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله كرمي النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك، وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيراً من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك، فكان ما هم فيه شاغلا لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلا بكتب المجون ونحوها وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتبه الأولى»[1].

وليحرص الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر؛ ألا تتحول العلاقة بينه وبين المأمور ـ بالغضب لأجل ما يلقى الأول من الثاني، إلى خصومة لأجلها يطلق الآمر لسانه ويده.

---

(١) (٣/ ٥ إعلام الموقعين).

وقد ذكر لنا أن النبي ﷺ؛ حال رجلين؛ أحدهما عابد والآخر مسرف على نفسه، وكان العابد يعظ المسرف، فلا ينتهي، حتى قال يوما: «وَاللَّهِ لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لك»[١]، فقال الله تعالى: «**مَنْ ذَا الذي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ فإني قَدْ غَفَرْتُ لِفُلاَنٍ وأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**»[٢]، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته»، قال **الحافظ ابن رجب** «رحمه الله»: «فهذا غضب لله ثم تكلم في حال غضبه لله بما لا يجوز، وحتم على الله بما لا يعلم فأحبط الله عمله»[٣].

قال **العلامة ابن الجوزي** «رحمه الله»: وربما كان ابتداء، وربما عرض في حالة الآمر بالمعروف لأجل ما يلقى به المنكر من الإهانة فتصير خصومة لنفسه كما قال **عمر بن عبد العزيز** ـ رحمه الله، لرجل: «لولا أني غضبان لعاقبتك»، وإنما أراد؛ أنك أغضبتني فخفت أن تمتزج العقوبة من غضب الله ولي، فأما إذا كان الآمر بالمعروف جاهلا فإن الشيطان يتلاعب به وإنما كان إفساده في أمره أكثر من إصلاحه لأنه ربما نهى عن شيء جائز بالإجماع، وربما أنكر ما تأول فيه صاحبه وتبع فيه بعض المذاهب، وربما كسر الباب وتسور الحيطان وضرب أهل المنكر وقذفهم فإن أجابوه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفسه؛ وربما كشف ما قد أمر الشرع بستره، وقد سئل **أحمد بن حنبل** ـ رحمه الله؛ عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طنبور ومسكر قال: إذا كان مغطى فلا تكسره، وقال في رواية أخرى: اكسره وهذا محمول على أنه يكون مغطى بشيء خفيف يصفه فيتبين، وسئل عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه فقال: ولا عليك ما غاب عنك فلا تفتش[٤].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) (٢١٤/ جامع العلوم والحكم).

(٤) (١٨١/ تلبيس إبليس) بتصرف.

فصلٌ في:

ترك إثارة الشر لا يأتي إلا بخير:

فالشر بلدة؛ لا سماء تظلها ولا أرض تقلها، لا في خضرائها مصعدا، ولا في غبرائها مقعدا، ضيقة البقعة مكروهة السكنى، الناس فيها يهرعون لا يجدون في الأرض نفقا، ولا في السماء مرتقى، إذا ناموا هالهم طيف، وإذا انتبهوا راعهم سيف، أرواحهم تسري بها الريح، ونفوسهم من شدة الهول كادت تطيح.

والأمن بلدة؛ مكارم الدنيا فيها مفروشة، كأنها الجنان على الأرض منقوشة، ترابها عنبر وحصاها عقيق، هواؤها نسيم وشرابها رحيق، بلدة واسعة الرقعة، طيبة البقعة، معشوقة السكنى، رحيبة المثوى، كوكبها يقظان، وجوُّها عُريان، نسيمها معطر، وترابها مسكٌ أذفر.

وأول الخير المرتجى؛ ما ذكره النبي المصطفى: سُئل ﷺ؛ أي النَّاسِ أَفْضَلُ فَقَالَ: «**مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ**»، قَالُوا ثُمَّ مَنْ، قَالَ: «**مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**»[1]، وعلى العكس قال: «**إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**»[2]، أي: لقبيح قوله وفعله.

وأما في الدنيا، فقد أخطأ من ظن أنه سبيل ذلة ومهانة، بل من الحكمة أحياناً أن تتحمل ضرراً يسيراً لينالك مكسباً عظيماً، والتهور وعدم إدراك عواقب

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وفي رواية عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «**إن شر الناس الذين يكرمون اتقاء شرهم**»؛ سبق تخريجه.

الأمور قد يسبب فتنة تزل فيها أقدام وقد يوقع المسلمين في شر عظيم، فالصبر على أذى يسير أحياناً يولد خيراً عظيم، وما الحرب إلا كرٌّ وفر، وليس يسبق العاصفة إلا هدوء.

وإلا فلما اتقى النبي ﷺ القتال يوم الحديبية، مع أن في قتالهم مصلحة للمسلمين، ولم يكن من شأن ذلك إلا انتشار الإسلام ودخول الناس فيه أضعاف ما كان أيام قتال المسلمين للمشركين، كذا قوت شوكة المسلمين وزادت منعتهم، ولما رد النبي ﷺ جندل بن سهيل يومئذ للمشركين مع أن في تسليمه لهم فتنة له في دينه ولم يكن من شأن ذلك إلا أن اعتصم وأبو بصير وأخرون بأعلى مكة وسببوا ذعرا لمشركي قريش وقوافلهم التي تروح وتغدو إلى الشام، في حين هنئ المسلمون في المدينة بعهدهم مع قريش، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم أن من أتاك فلا ترده[1]؛ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفتح: ٢٤).

وها هو الرجل الذي قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال من يمنعك مني **قال: «الله عز وجل»**، فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ فقال: «**من يمنعك مني**» قال: كن كخير آخذ، **قال: «أتشهد أن لا إله إلا الله»**، قال: لا، ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله، فذهب إلى أصحابه، قال: قد جئتكم من عند خير الناس[2].

وفي حديث اليَهُود الذين أَتَوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: «السَّامُ عَلَيْكُمْ»، فَقَالَتْ أم المؤمنين عَائِشَةُ رضي الله عنها: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، قَالَ ﷺ: «**مَهْلاً يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ**»، قَالَتْ: أَوَ لَمْ

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.

تَسْمَعْ مَا قَالُوا، قَالَ ﷺ: «**أَوَ لَمْ تَسْمَعِى مَا قُلْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِى فِيهِمْ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ**»(١).

وقد ذكر **الإمام النووي** ـ رحمه الله ـ العلة من قول النبي ﷺ في أكثر من موطن للمنافقين الذين آذوه، وسمع منهم ما كرهه؛ «**لا يتحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه**»، والعلة من قوله ﷺ، وعدم معاقبتهم كما قال **الإمام النووي** «رحمه الله»: «استبقاءً لانقيادهم، وتأليفاً لغيرهم، لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه فينفروا، وقد رأى الناس هذا الصنف في جماعتهم، وعدوه من جملتهم»(٢)، وقال في موضع أخر: «وكان ﷺ يتألف الناس، ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم؛ لتقوى شوكة المسلمين، وتتم دعوة الإسلام، ويتمكن الإيمان من قلوب المؤلفة، ويُرغب غيرهم في الإسلام وكان يعطيهم الأموال الجزيلة لذلك، ولم يقتل المنافقين لهذا المعنى، ولإظهارهم الإسلام»(٣).

وأما صبر النبي ﷺ على عبد الله بن أُبي بن سلول رأس النفاق رغم معادته له ﷺ ومكائده المتكررة، وصلاة النبي ﷺ عليه، فقد عللها **الحافظ ابن حجر** ـ رحمه الله ـ بقوله: «لما فيه من إكرام ولده الذي تحققت صلاحيته ومصلحة الاستئلاف لقومه ودفع المفسدة، وكان النبي ﷺ في أول الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح ثم أمر بقتال المشركين، فاستمر صفحه وعفوه عمن يظهر الإسلام ولو كان باطنه على خلاف ذلك لمصلحة الاستئلاف وعدم التنفير عنه ولذلك قال: «**لا يتحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه**»، فلما حصل الفتح ودخل المشركون في الإسلام وقل أهل الكفر وذلوا، أمر بمجاهرة المنافقين وحملهم على حكم مر الحق، ولا سيما وقد كان

---

(١) صحيح: (٦٠٣٠/ الأدب/ البخاري) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) (٤/ ١٧٠ شرح صحيح مسلم).

(٣) (٨/ ٣٨٣ شرح صحيح مسلم).

ذلك قبل نزول النهي الصريح عن الصلاة على المنافقين وغير ذلك مما أمر فيه بمجاهرتهم»، وقال **العلامة الخطابي** «رحمه الله»: «إنما فعل النبي ﷺ مع عبد الله بن أبيّ ما فعل لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين، ولتطييب قلب ولده عبد الله الرجل الصالح، ولتألف قومه من الخزرج لرياسته فيهم، فلو لم يجب سؤال ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي الصريح لكان سبة على ابنه وعارا على قومه، فاستعمل أحسن الأمرين في السياسة إلى أن نهى فانتهى»، وتابعه **ابن بطال** «رحمه الله» وقال: «رجا أن يكون معتقدا لبعض ما كان يظهره من الإسلام»[1].

وفي الباب أيضاً: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قَالَ نَاسٌ مِنَ الأَنْصَارِ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَا أَفَاءَ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ، فَطَفِقَ النبي ﷺ يُعْطِي رِجَالاً الْمِائَةَ مِنَ الإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَحُدِّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَقَالَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا، قَامَ النبي ﷺ فَقَالَ: «مَا حَدِيثٌ بلغني عَنْكُمْ»، فَقَالَ فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ: أَمَّا رُؤَسَاؤُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئاً، وَأَمَّا نَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ النبي ﷺ: «**فإني أُعْطِي رِجَالاً حديثي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، أَتَأَلَّفُهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ وَتَذْهَبُونَ بالنبي ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ، فَوَ اللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا [2]، فالنبي ﷺ لم يعنفهم أو يقرعهم، أو حتى يقاطعهم وينزوي عنهم جانباً، وقد يكون محقاً، وهذا قد يثير عليهم شراً، بل على

---

(١) (٨/ ٣٣٦ فتح الباري) بتصرف.

(٢) سبق تخريجه.

المسلمين ككل، لكنه ﷺ نزع فتيل الفتنة، جمعهم، وأزال ما في نفوسهم من ضغائن، أنزلهم منزلتهم، وأعطاهم جائزتهم، فما كان منهم إلا أن قالوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا»، فلله در هذه الحكمة والذهن الثاقب.

وسبق أن ذكرنا حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكيف أنه اكتفى بالصبر والدعاء على الرجل الذي أذاه في عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْداً إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّاراً، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ فإني كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، قَالَ ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً إِلَى الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِداً إِلاَّ سَأَلَ عَنْهُ، ويثني مَعْرُوفاً، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِداً لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْداً كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: «أَمَا وَاللَّهِ لأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِباً، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ»[1].

الشاهد: أن سعدا رضي الله عنه اختار الصبر على أذى الرجل والدعاء عليه، وبها ونعم، فقد كان الرجل فيما بَعْدُ إِذَا سُئِلَ، يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أصابتني دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بن عمير ـ رحمه الله ـ؛ فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ للجواري في الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ.

بل إن إثارة الشرور أحياناً قد تولد فحشاً عظيماً يصعب تداركه، فها هم الصحابة رضي الله عنهم لما سبوا أصنام المشركين وآلهتهم تجرأ المشركون على الله ﷻ،

---

(١) سبق تخريجه.

فنزلت الأيات: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (الأنعام: ١٠٨)، وقد لَقِيَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما ابْنَ صَائِدٍ ـ الذي كان يظنه الصحابة الدجال ـ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ قَوْلاً أَغْضَبَهُ فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلأَ السِّكَّةَ، فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما عَلَى أم المؤمنين حَفْصَةَ رضي الله عنها وَقَدْ بَلَغَهَا، فَقَالَتْ له: رَحِمَكَ اللَّهُ، مَا أَرَدْتَ مِنِ ابْنِ صَائِدٍ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا**»[1]، تقصد الدجال.

فسالم الناسَ تسلمُ من غوائلهم[2] ... وكن حريصاً على كسب التقيّات
وخالقِ النّاسَ واصبر ما بليتَ ... أصمٌّ أبكمُ أعمى ذا التقيّات

وذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني ـ المؤرخ، «رحمه الله» في تاريخه: أنه بلغ عضد الدولة ـ الخليفة العباسي ـ خبر قوم من الأكراد يقطعون الطريق ويقيمون في جبال شاهقة، فلا يقدر عليهم فاستدعى أحد التجار، ودفع إليه بغْلاً عليه صندوقان فيهما حلوة قد شبت بالسمِّ، وأكثر طيبها، وأعطاه دنانير وأمره أن يسير مع القافلة، ويُظهر أن هذا هدية لإحدى نساء أمراء الأطراف، ففعل التاجر ذلك، فنزل القوم وأخذوا الأمتعة والأموال، وفتحوا الصندوقين، فوجدوا الحلوى يضوع[3] طيبها، ويدهش منظرها، فأمعنوا في الأكل عقيب مجاعة، فانقلبوا فهلكوا عن آخرهم، فبادر التجار إلى أخذ أموالهم، وأمتعتهم، واستردوا المأخوذ عن آخره، قال **العلامة ابن الجوزي** «رحمه الله»: «فلم أسمع بأعجب من هذه المكيدة، محت أثر العاتين، وحصدت شوكة المفسدين»[4].

---

(١) صحيح: (٢٩٣٢/ الفتن وأشراط الساعة/ مسلم) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) المضرة البالغة.
(٣) يفوح.
(٤) (٢٣٣/ الأذكياء) بتصرف.

ومن الطُرفِ التي تذكر في مثل في هذا الباب، والتي تحوي معنىً صحيح:

قال **الشعبي** «رحمه الله»: مرض الأسد، فعاده السباع ما خلا الثعلب، فقال الذئب: أيها الملك، مرضتَ، فعادك السباع إلا الثعلب، قال: فإذا حضر فأعلمني، فبلغ ذلك الثعلب، فجاء، فقال له: يا أبا الحصين؛ مرضتُ، فعادني السباع كلهم، ولم تعدْني أنت، قال: بلغني مرض الملك، فكنت في طلب الدواء له، قال: فأي شيء أصبْتَ؟ قال: قالوا لي: خرزة في ساق الذئب، ينبغي أن تُخرج، فضرب الأسد بمخالبه ساق الذئب، فانسل الثعلب وخرج، فقعد على الطريق، فمر به الذئب، والدم يسيل عليه، فقال له الثعلب: يا صاحب الخُفِّ الأحمر، إذا قعدت بعد هذا عند سلطان، فانظر ما يخرج من رأسك[1].

---

(١) (٢٣٣/ الأذكياء).

فصلٌ في:

كيد أعداء الإسلام بالمسلمين، وإثارتهم الشرور عليهم

لا زال أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والملحدين والعلمانيين يكيدون بالإسلام وأهله، وهم يسعون إلى طمس معالمه، وإبادة أهله، ومسخ هويتهم، قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (البقرة: ١٢٠)، وقال عز وجل: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ (الصف: ٨)، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (آل عمران: ١١٨)، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (آل عمران: ١٠٠)، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (آل عمران: ١٤٩).

لكن هيهات.. والله من ورائهم محيط، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الصف: ٨، ٩).

وقال عز وجل: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (آل عمران: ٧٢)، وقال رسول الله ﷺ: «**لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أمتي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**»[١]، وفي حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ النبي ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللَّهُ، وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُسْتَقِيماً حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ حَتَّى يأتي أَمْرُ اللَّهِ**»[٢]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»[٣].

وأعداء الإسلام يخطون نحو هدفهم خُطىً ثابتة، موضوعة ومدروسة سلفاً، نضحت بها كُتبهم، وألسنتهم في المؤتمرات التي يعقدونها، ويستخدمون في سبيل ذلك؛ المنافقين، والذين في قلوبهم زيغٌ، والشائعات الكاذبة، وأجهزة الإعلام التي استطاعوا أن يُدخلوها بجميع صنوفها بيوت المسلمين كافة ـ اللهم إلا من رحم ربُنا.

وهذه الخُطى؛ هي دعوات يبثونها عبر أجهزة الإعلام ـ أو بعبارة أدق «أجهزة الإفساد»، ونحن كمسلمين منا من يرفض هذه الدعوات ويتصدى لها بشدة، ومنا من لا يهتم، ومنا من يؤازرها ويناصرها؛ لجهل أو دخنٍ أو مصلحة

(١) صحيح:(٧٣١١/ الاعتصام بالكتاب/ البخاري) من حديث المغيرة رضي الله عنه.
(١٩٢٣/ الإمارة/ مسلم) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، (١٩٢٢/ الإمارة/ مسلم) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه (١٩٢٠/ الإمارة/ مسلم) من حديث ثوبان رضي الله عنه، (١٩٢٤/ الإمارة/ مسلم) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، (٢٤٨٤/ أبي داود) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.
(٢) صحيح:(٧٣١٢/ الاعتصام بالكتاب/ البخاري) من حديث معاوية رضي الله عنه.
(٣) صحيح:(٤٢٩١/ الملاحم/ أبي داود) (٤/ ٥٦٧ المستدرك) (٦/ ٣٢٤ الطبراني في الأوسط) جميعهم من حديث أبو هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

دنيوية، وهذه الطوائف ـ بطرق شتى، تدخل في حوارات ومناقشات ومناظرات، وسواء في ذلك أولي الأمر أو المحكومين، طلبة علم أو عوام.

وأثناء هذه الحروب الكلامية بين طوائف المسلمين، يكون أعداء الإسلام قد شكلوا من خلال «أجهزة الإفساد» عقول جيل جديد يؤمن بدعواتهم ويدعو إليها، وفي نفس الوقت، فتوا في عضُدِ الأمة، فيصير المسلمين شرذمة، مبعثرين، كشياة إنهالت عليها الأمطار، ثم تأتي جيوشهم الجراراة فتفعل بالمسلمين الأفاعيل.

وليس معنى الكلام، أن نترك التصدي لهذه الدعوات، وإنما المقصود أن يفيق المسلمون من غفلاتهم، ويأبهون بما يُراد بهم.

وهذه الدعوات؛ دعوات خبيثة.. هي سبيلهم في بث الفرقة بين الصفوف، وإثارة الفتن، وإضعاف قوة المسلمين، فلتُعلم، وليقف المسلمين صفاً واحداً قبلها.

أولاً: مسخ الهوية الإسلامية، بإذاعةِ روحِ القومياتِ، ومحاولةِ نقض اللغة العربية:

وهم يقومون بهذا المسخ من خلال محورين أساسيي:

(١) الدعوة إلى القومياتِ المختلفة:

قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝ ﴾ (الصف: ٨، ٩)، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۝ ﴾ (النساء: ٢٧)، وقال أيضاً: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝ ﴾ (الروم: ٣١، ٣٢)،

وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ ﴾ (آل عمران: ١٠٢، ١٠٣).

فالعربية وحدها لم تكفِ لتأليف قلوبهم، وإنما بنعمة الإسلام، ألف الله بين قلوب العرب وغيرهم، فجعلهم عصابة لا تقهر، ومن ثم انطلقوا إلى الروم والفرس فغلبوهم بإذن الله، وأنت إذا ما تأملت أحوال العرب قبل الإسلام، تراهم مع اعتزازهم بنفسهم، إلا إنهم كانوا شرذمة متفرقون في القفار، لا تعبأ بهم قوى العالم المختلفة، كل قبيلة منهم تستحل دماء وأعراض وأموال الأخرى، فلماذا لم تجمعهم عربيتهم يومئذٍ مع اعتزازهم بنفسهم أكثر منا؟

ومع بعثة النبي ﷺ، ومجيء الإسلام، تغيرت الأمور؛ العرب ذاتهم، وغيرهم ممن ليسوا من جلدتهم اجتمعوا على كلمة سواء، صفاً واحداً كالبنيان المرصوص، الشرذمة التي لم تكن لتعبأ لها قوى العالم، دانت لها رقاب ملوك الأرض، اتسع ملك العرب يومئذٍ بأكثر مما لم يخطر ببالهم في الجاهلية وقبل الإسلام، وكل هذا في محض سنوات قليلة، هي في عمر الأمم دقائق معدودات، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾ (الأنفال: ٦٢، ٦٣).

وأما الأغراض الخبيثة للدعوة إلى القومية؛ فيقول **الشيخ ابن باز** ـ رحمه الله ـ في رسالته القيمة الماتعة: «نقد القومية العربية»؛ «فمَن خَبُر أحوال القوميين وتدبر

مقالاتهم وأخلاقهم وأعمالهم، عرف أن عرض الكثيرين منهم من الدعوة إلى القومية، أمور أخرى يعرفها من له أدنى بصيرة بالواقع وأحوال المجتمع، ومن تلك الأمور؛ فصل الدين عن الدولة، وإقصاء أحكام الإسلام عن المجتمع، والاعتياض عنها بقوانين وضعية ملفقة من قوانين شتى، وإطلاقه الحرية للنزعات الجنسية، والمذاهب الهدامة، ولا ريب أن دعوة تفضي إلى هذه الغايات، يرقص لها الاستعمار طرباً، ويساعد على وجودها ورفع مستواها - وإن تظاهر بخلاف ذلك - تغريراً للعرب عن دينهم، وتشجيعاً لهم على الاشتغال بقوميتهم، والدعوة إليها والإعراض عن دينهم، ومن زعم أن من دعاة القومية أن الدين من عناصرها[1]، فقد فرض أخطاء على القوميين، وقال عليهم ما لم يقولوا؛ لأن الدين يخالف أسسهم التي بنوا القومية عليها، ويخالف صريح كلامهم ويباين ما يقصدونه من تكتيل العرب، على اختلاف أديانهم تحت راية القومية، ولهذا تجد من يجعل الدين من عناصر القومية يتناقض في كلامه، فيثبته تارة، وينفيه أخرى، وما ذلك إلا لأنه لم يقله عن عقيدة وإيمان، وإنما قاله مجاملة لأهل الإسلام، أو عن جهل بحقيقة القومية وهدفها»[2].

(٢) محاولة نقض اللغة العربية:

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف: ٢).

---

(١) من المعلوم أن عناصر القومية العربية؛ الاشتراك في: التاريخ، والآمال، واللغة العربية، والحدود المكانية وهم يقولون من المحيط إلى الخليج، والدعوة إليها تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي؛ حيث بدأ دعاة الإصلاح من الكفار الغربيين، وممن في قلوبهم زيغ من المسلمين من أذنابهم، يدعون إلى حل الدولة العثمانية، وفصلها إلى دولتين؛ دولة العرب، ودولة الأتراك، وقد تمخض ذلك إلى عقد مؤتمر في باريس سنة ١٩١٠ م، ثم توالت المؤتمرات، والجمعيات المنعقدة لهذا الغرض.

(٢) (١١ : ١٣/ نقد القومية العربية) بتصرف.

وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ (الرعد: ٣٧).

وقال أيضاً: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ (طه: ١١٣).

وقال: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (النحل: ١٠٣).

وقال: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥).

وقال: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الزمر: ٢٨).

وقال: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (فصلت: ٣).

وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ (الشورى: ٧).

وقال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الزخرف: ٣).

وقال: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأحقاف: ١٢).

جماع الآيات المتقدمة، تدل بما لا ريب فيه أن الله تعالى اختار العربية؛ لغة القرآن، ولغة الإسلام، ولسان نبيه ﷺ، فثبتت الشريعة، والأحكام بها.

قال بعض المفسرين: «إن القرآن كلام عربي، فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي وهي: متن اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان،

ومن وراء ذلك؛ استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم»[١].

فإن قيل: كيف تجتمع محاولات المرجفين في نقض اللغة العربية، مع دعوتهم للقومية العربية والتي من أهم عناصرها اللغة؟

فالجواب: هم يدعون إلى القومية العربية، ويهتمون باللغة العربية، لكنهم يكترثون بالعربية العامية، تحت رايتي «إفهام العوام» و«مصلحة الدعوة»، من هذا المنطلق يدعون محادثة الناس بها في مجالات الخدمات والتعليم، بل والدعوة، هذا فضلاً عن محاولات دؤوبة في إحلال بعض اللغات الأخرى مع العربية في مجالات التعليم والخدمات، أو مزاحمتها لها وتقديمها عليها في بعض الأحيان.

يقول **الشيخ الدكتور: فتحي جمعة** ـ حفظه الله ـ، في كتابه القيم «اللغة الباسلة»: «لقد خلعت العربية رداء «المحلية»، وفارقت انتماءها القومي والعنصري، إذ كانت تقبع خلف الحدود الضيقة لشبه الجزيرة العربية، فارقت هذا وصارت لساناً عاماً للمسلمين أينما يكونوا، ومتى يكونوا، فكان الإسلام سبيلها إلى الناس، كما كانت بحق سبيل الناس إليه، به عرفوها، وبها عرفوه»، ثم أعقب قائلاً: «لقد أدرك أعداء الإسلام وخصومه الدائمون أثر اللغة العربية في حماية «الوحدة الإسلامية» والمحافظة عليها، كما أدركوا ما هو أعظم من ذلك، وهو أثر هذه اللغة في ربط المسلمين بالإسلام؛ وعياً وفهماً وإدراكاً وعلماً وعملاً، ولهذا توجهت جهودهم إلى اللغة العربية فيما سيطروا عليه، وتمكنوا منه في بلاد المسلمين، وقد سار عملهم الأثيم بخبث ودهاء في طريقين متوازيين:

«**أولهما**»: بلاد العرب، فأضعفوا العربية فيها وزحزحوها عن مكانتها، وأنزلوها من عرشها إذ زاحموها بلغاتهم، بل قدموا لغاتهم في بعض الأحيان عليها، ثم

---

(١) (١ / ٧ التحرير والتنوير).

أوقدوا نار الحرب على «الفصحى»، فزعموا عليها العجز والقصور والاستغلاق على الأفهام، ودعوا إلى «العامية»، ومكنوا لها، وساعدوا على نشرها، وتوسيع رقعتها.

«**ثانيهما**»: البلاد الإسلامية غير العربية؛ وهناك طاردوا لغة القرآن وزينوا لها تيكم الأمم الأعجاب بلغات الاحتلال، فلم يلبثوا إلا يسيراً، فأُخرجت العربية من البلاد الإسلامية، بلداً في إثر بلدٍ، حتى انحسرت في دائرة الوطن العربي المستهدف، لانتقاص الأطراف وتفريق الصفوف، وهكذا حُبست العربية عند قوم لا يستمسكون بها، ولا يغارون عليها، ولا يهمهم أمرها»، ثم أعقب؛ «إن الحديث بالعامية يؤدي إلى نتيجتين خطيرتين، تؤثران في البناء الثقافي في الأمة تأثيراً سيئاً غير محمود:

«**أولاً**»: إهمال التراث وازدراؤه لدى العامة وجماهير الأمة، إذ يصير حينئذٍ ركاماً من المعميات والطلاسم، لا سبيل إلى معرفتها فضلاً عن فهمها وإدراك ما فيها.

«**ثانياً**»: عدم فهم القرآن، وذلك أخطر وأفدح ما يؤدي إليه الحديث بالعامية»[١].

ثانياً: محاربة السنة:

عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته [٢] يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه**»[٣].

---

(١) (١/ ٥٥: ٦٢ خطب العام) بتصرف.

(٢) السرير.

(٣) صحيح: (٤٦٠٤/ أبي داود) (٢٦٦٤/ الترمذي) (١٢/ ابن ماجة) (٤/ ١٣٠ أحمد في المسند) (١٢/ ابن حبان) (١/ ١٩١ المستدرك) (١/ ١٥٣ الدارمي) (٤/ ٢٨٦ الدارقطني) (٢٠/ ٢٧٤ الطبراني في الكبير) (٧/ ٧٦ البيهقي في الكبرى) جميعهم من حديث المقدام رضي الله عنه، وتمام الحديث: «**ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه**».

يقول **الشيخ ناصر الدين الألباني** «رحمه الله»: «قد ظهر في الوقت الحاضر طائفة يتسمون بـ «القرآنيين»، يفسرون القرآن بأهوائهم وعقولهم، دون الاستعانة على ذلك بالسنة الصحيحة، بل السنة عندهم تبع لأهوائهم، فما وافقهم منها تشبثوا به، وما لم يوافقهم منها نبذوه وراءهم ظهرياً»[1].

وقد اشتعلت الحرب الآن على السنة، وصرنا نسمع ونرى من يقول: صحيح البخاري مليئ بالأحاديث المكذوبة والموضوعة على رسول الله ﷺ، ثم يطعن على علماء السنة والحديث ـ السلف قبل الخلف، أو يزعم أن النصوص النقلية لا تفيد اليقين، والمطلوب في أصول الدين اليقين، ثم يخرج من ذلك بنتيجة ألا وهي عزل القرآن عن السنة. والمستفيد الأول من ذلك المعول الذي انتصب لهدم السنة ـ ولكن الله متم نوره، هم اليهود والنصارى والملحدون الذين أرادوا إفساد الدين، وتشويه معالمه، وقد علموا ـ ويا ليت جميع المسلمين كذلك ـ أنه لا قيام للدين إلا بالسنة، فهي درع القرآن، والحامية.

ثالثاً: تمزيق الروابط الأسرية:

وأهم سبلهم في ذلك؛ دعوة المرأة إلى الانحلال والسفور، تحت مسمى «حقوق المرأة»، ودعوة الأبناء إلى عقوق الأباء، والهروب من رقابتهم إلى حياة الفسق والفجور والمجون، تحت مسمى «حقوق الطفل».

ولعل نياتهم في تمزيق الروابط الأسرية قد اتضحت من خلال: مؤتمر السكان والتنمية؛ الذي عُقد بالقاهرة ـ حماها الله ـ في سبتمبر/ ١٩٩٤م، ومؤتمر المرأة؛ الذي عُقد ببكين في سبتمبر/ ١٩٩٥م؛ إذ أُعلن فيهما أنه: «لا ينبغي للمعتقدات الدينية أن تشكل عائقاً أمام وضع قرارات هذين المؤتمرين موضع التنفيذ»[2]، وما هذه القرارات؟

---

(١) (١٢ : ١٣/ منزلة السنة في الإسلام).

(٢) (٣٩٨/ كيف نفكر استراتيجياً).

لن نستعرضها، وليست هي جديرة بالمناقشة والرد، إذ أنها منافية للحياء العام فضلاً عن منافاتها للدين، بل للأخلاق والقيم العربية، وهي في الجملة: إباحة الفحشاء، القضاء على الأمومة، مساواة المرأة بالرجل ـ أو بعبارة أدق مساواة المرأة للرجل في كل مناحي الحياة الدينية التكليفية قبل الاجتماعية والسياسية، فما يحل للرجل يحل للمرأة، وما يمتنع عليها يمنع الرجل منه ـ وفي النهاية سن القوانين التي تكفل احترام هذه القرارات، ونقل هذه الأفكار إلى الواقع العملي، بل وتغيير النظم التعليمية والإعلامية بما يخدم هذه الأفكار.

رابعاً: تزييف التاريخ الإسلامي، وتشويه سيرة الصحابة والسلف الكرام رضي الله عنهم:

ففي الماضي دخل المستشرقون بعدِّهم وعتادهم، وأخذوا يعيدون صياغة التاريخ تلفيقاً وتزييفاً، وأحسنهم حالا من نقل دون تثبت، فخلط الصحيح بالموضوع والضعيف، وجاء المؤرخون والمترجمون من بعدهم ـ وللأسف العرب قبل العجم، المسلمون فضلاً عن غيرهم، والذين هم من أذنابهم ـ فساروا على نهجهم ونقلوا من كتبهم.

وهم أثناء وضعهم، وبثهم هذا التاريخ المزيف، يحافظون على تشويه سير الصحابة رضي الله عنهم، ويصورون حياتهم تصاوير، نتبرأ نحن من مثلها. ونحن الذين قال النبي ﷺ فينا: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتِها**»، فقيل له: ومن قلة نحن يومئذ، قال ﷺ: «**بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غُثَاءٌ كغثاءِ السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**»، فقيل: يا رسول

الله، وما الوهن ؟ قال: «**حب الدنيا، وكراهية الموت**»[١]، فكيف بمن قال الله فيهم: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢٣)، وقال فيهم النبي ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا أصحابي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**»[٢].

إن تشويه حياة الصحابة الكرام طعن في الدين بطريقة ملتوية، إذ الإسلام لم يصلنا إلا عن طريقهم، والتشكيك في ثقتهم وعدالتهم، هو تشكيك في جنبات هذا الدين وأركانه، وكما قال **أبو علي الحسن بن أبي هلال** ـ رحمه الله ـ؛ سُئل **أبو عبد الرحمن النسائي** ـ رحمه الله ـ، **عن معاوية بن أبي سفيان** رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ، فقال: «إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب إنما يريد دخول الدار، فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة»[٣].

لذا فقد أحسن الشيخ **عثمان الخميس** ـ حفظه الله ـ حين كتب في كتابه «حقبة من التاريخ»؛ «لابد أن نقرأ التاريخ كما نقرأ أحاديث رسول الله ﷺ،

---

(١) **صحيح بمجموع طرقه**: (٤٢٩٧/ أبي داود) (٥/ ٢٧٨ أحمد في المسند) (٢/ ١٠٣ الطبراني في الكبير) (١/ ١٣٣ الطيالسي) (٧/ ٤٦٣ عبد الرزاق) (١/ ١٨٢ حلية الأولياء) جميعهم بطرق عدة عن ثوبان رضي الله عنه.

وفي مسند أحمد (٢/ ٣٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي سند الأخير؛ عبد الصمد بن حبيب بن عبد الله الأزدي عن أبيه والأول ضعفه أحمد (١/ ٣٧٩ التقريب)، والثاني مجهول (١/ ١٢٣ التقريب).

قوله ﷺ «**قصعتها**»: ما يتناولون فيه بلا مانع أو منازع، والضمير للأكلة، وقوله «**غثاء**»: ما يحمله السيل من زبد وشوائب، وقوله «**المهابة**»: الخوف والرعب، وقوله «**الوهن**»: الضعف.

(٢) **صحيح**: (٣٦٧٣/ فضائل الصحابة/ البخاري) (٢٥٤١/ فضائل الصحابة/ مسلم) كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) (١/ ٣٣٩: ٣٤٠ تهذيب الكمال).

إذا أردنا أن نقرأ أحاديث رسول الله ﷺ، لابد لنا أن نتثبت من الخبر أثابتٌ عن رسول الله ﷺ أم لا؟ ولا نستطيع أن نعرف صحة الخبر عن رسول الله ﷺ، من بطلانه إلا بالنظر إلى الإسناد مع المتن، لأن أهل العلم اعتنوا بالحديث ورجاله، وتتبعوا أحاديثهم ومَحَّصوها، وحكموا عليها، وبينوا الصحيح من الضعيف»، ثم أعقب قائلاً: «ولا بد أن نعتقد، ونحن نقرأ تاريخ أصحاب رسول الله ﷺ، أمرين اثنين:

«**الأول**»: أن نعتقد أن أصحاب النبي ﷺ هم خير البشر بعد أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، وذلك لأن الله تبارك وتعالى مدحهم، والنبي ﷺ كذلك مدحهم، وبين في أكثر من حديث أنهم أفضل البشر بعد أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، وأمتهم أفضل الأمم.

«**الثاني**»: أن نعلم أن أصحاب رسول الله ﷺ غير معصومين، نعم نحن نعتقد العصمة في إجماعهم لأن النبي ﷺ أخبرنا أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، فهم معصومون من أن يجتمعوا على ضلالة، ولكنهم كأفراد غير معصومين، فالعصمة لأنبياء الله وملائكته»[1].

قال أبو عبد الله القحطاني ـ رحمه الله ـ في نونيته:

لا تقبَلَنَ من التواريخِ كلَّ ما ... جمع الرواةُ وخطّ كلُ بنان
ارو الحديثَ المنتقَى عن أهلِه ... سيّما ذوي الأحلامِ والأسنانِ
كابن المسيّب والعلاء ومالكٍ ... والليّث والزهري أو سفيانِ

ولا يقدح ـ فيما قررناه ـ رواية الأئمة الضعيف والموضوع ونحوه من الروايات التاريخية، في كتبهم ـ ومنها ما هو منسوب إلى الصحابة الكرام رضي الله عنهم، إذ الأئمة حين ذكروا تلك الروايات في كتبهم، ذكروها بأسانيدها، فنقلوا العهدة على

(١) (٣١: ٣٣/ حقبة من التاريخ) بتصرف.

القارئ والباحث الذي يأتي فيما بعد، لينظر في الأسانيد ويبين الصحيح من الضعيف، وينقي الأحداث التاريخية مما فيها، أو مما أُدخل عليها، من إفك وكذب وتدليس، ونحوه.

لذا فإننا نرى الإمام المفسر والمؤرخ **أبا جعفر الطبري** - رحمه الله - مثلاً، يقول في مقدمة «تاريخه»: «وليعلم الناظر في كتابنا هذا؛ أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، فما يكن في كتابي هذا من خبر، ذكرناه عن بعض الماضين، مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدِّي إلينا»[(١)].

فما الواجب علينا، تجاه تلك الهجمة الشرسة من أعداء الإسلام لتفتيت الأمة والنيل منها؟

قال الله عز وجل: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (المائدة: ٨٠).

قال فريق من المفسرين: عني بذلك المنافقين، موالاتهم للكافرين وتركهم موالاة المؤمنين التي أعقبتهم نفاقا في قلوبهم وأسخطت الله عليهم سخطا مستمرا إلى يوم معادهم[(٢)].

---

(١) (١/ ١٣ تاريخ الأمم والملوك) بتصرف.

(٢) (٢/ ١١٣ تفسير ابن كثير) بتصرف.
وقال فريق أخر المنافقين يتولون اليهود (٨٤/ معالم التنزيل)، وقيل: اليهود يتولون المشركين وليسوا على دينهم (٤/ ٦٥٩ جامع البيان) (٢/ ٩٦ فتح القدير).

وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وقال أيضاً: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (هود: ١١٣).

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (آل عمران: ١١٨).

قال **الإمام القرطبي** «رحمه الله»: «من اتخذ كافراً وليا فليس بمؤمن إذا اعتقد اعتقاده، ورضي أفعاله»[١].

قال **العلامة ابن باز** «رحمه الله»:

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهي تدل دلالة صريحة على وجوب بغض الكفار من اليهود والنصارى وسائر المشركين، وعلى وجوب معاداتهم حتى يؤمنوا بالله وحده، وتدل أيضاً على تحريم مودتهم وموالاتهم، وذلك يعني بغضهم والحذر من مكائدهم، وما ذاك إلا لكفرهم بالله، وعدائهم لدينه ومعاداتهم لأوليائه وكيدهم للإسلام وأهله[٢].

فيا مسلمون:

أفيقوا.. أفيقوا وانتبهوا إلى ما حاكوه أعداء الله لكم في دجى الليالي..

---

(١) (٦/ ٢٣٨ الجامع لأحكام القرآن).
(٢) (١١٧/ فتاوى مهمة).

يا مسلمون:

- علموا أولادكم حب الله تعالى، وحب رسوله ﷺ، وحب الصحابة رضي الله عنهم، وحب السلف الصالح الكرام «رحمهم الله»..

- علموا أولادكم بغض الكفار من اليهود والنصارى والمشركين والملحدين..

- علموا أولادكم حب الطاعة وحسن الخلق، علموهم بغض المعصية وسوء الخلق..

- علموهم حب التوحيد.. حب التوحيد واجب على كل مسلم، ولا يصح إسلامه إلا بهذا الحب، ولا يتم الدين إلا بهذا الحب..

- علموهم ألا يغضبوا إلا لله عز وجل، إذا انتهكت محارمه.. إذا ذكر نبيهم ﷺ وآله وصحبه بسوء..

- علموهم ترك الدياثة في دينهم.. الغيرة والمروءة والنخوة والحمية، لا حمية الجاهلية.. لا التفسخ والتسلخ.. لا القبلية أو القومية.. لا الجبن أو الخور.. لا الخنوع أو القنوع..

- علموهم ألا يحملوا على إخوانهم في الدين، ما لم يحملوه على اليهود ولا النصارى..

- علموهم إقالة العثرات.. والتماس المعاذير..

- علموهم منهج السلف في تفهم الوقائع.. وفي إنزال الأحكام.. وفي قبول الأعذار .. وفي الرد على أهل البدع والزيغ والضلال..

- علموهم علو الهمة.. قوة الشكيمة، صلابة العزيمة.. التماس معالي الأمور، لا سفاسفها..

- علموهم كيف يخدمون دين الله تعالى، كيف ينصروا رسوله ﷺ، ويعزّروه ويوقّروه..

يا مسلمون: أروا الله منكم خيراً..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التحريم: ٦)[1].



(١) وفي باب: **تجنب الفتنة بمعرفة الدين، ومعرفة الحق والباطل:** أثر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، لما قدم على «جوخا» أتى أبا مسعود رضي الله عنه، يسلم عليه، فقال حذيفة رضي الله عنه: «أما تعرف دينك يا أبا مسعود، قال: بلى، قال: فإنها لا تضرك الفتنة ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل، فلم تدر أيهما تتبع، فتلك الفتنة». (٧ / ٤٨٦ ابن أبي شيبة) بسندٍ منقطع.

تتمةٌ في:
صور من حياة الصحابة والسلف في ترك إثارة الشر

تمهيد:

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**»[١]، أي لقبيح قوله وفعله، وعلى العكس قيل له ﷺ: أي النَّاسِ أَفْضَلُ فَقَالَ: «**مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ**» قَالُوا: ثُمَّ مَنْ قَالَ «**مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**»[٢]، لذا فقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم، ومن بعدهم التابعين وسائر السلف الكرام ـ رحمهم الله ـ أحسن المثل في هذا الخلق العظيم؛ خُلق درء الفتن وترك إثارة الشر على الناس، وما سنذكره هو محض نذر يسير من نماذج لمن كان له قلبٌ، أو ألقى السمع وهو شهيد.

فسماع أخبارهم ـ رحمهم الله ـ، تقوم مقام رؤيتهم، كما يقول الشاعر:

فاتني أن أرى الدّيارَ بطرفي ... فلعلّي أرى الديار بسمعي

وقد قال **العلامة ابن الجوزي** ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتابه «الأذكياء»، في أهمية ذكر أحوال العقلاء من السلف ـ رحمهم الله ـ وفي ذلك ثلاثة أغراض:

«**أحدها**»: معرفة أقدارهم بذكر أحوالهم.

«**الثاني**»: تلقيح لباب السامعين إذا كان فيهم نوع استعداد لنيل تلك المرتبة.

---

(١) سبق تخريجه. وفي رواية عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «**إن شر الناس الذين يكرمون اتقاء شرهم**» سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

«**الثالث**»: تأديب المعجب برأيه إذا سمع أخبار من يعسر عليه لحاقه[1].

علبة بن زيد الأنصاري رضي الله عنه :

حض رسول الله ﷺ على الصدقة، فقال علبة بن زيد الأنصاري رضي الله عنه : «اللهم إني ليس لي مال أتصدق به، فأيما رجل من المسلمين نال من عرضي شيئا فهو عليه صدقة»، فلما كان من غد قال رسول الله ﷺ : «**أين المتصدق بعرضه البارحة**»، فقام علبة بن زيد رضي الله عنه فقال: «أنا يا رسول الله»، فقال النبي ﷺ : «**قد قبل الله صدقتك**»[2].

الحِبُّ ابن الحب: أسامة بن زيد رضي الله عنهما :

قِيلَ لأُسَامَةَ بن زيد رضي الله عنهما حِبُّ رسول الله ﷺ : أَلاَ تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ فَقَالَ أَتُرَوْنَ أَنِّى لاَ أُكَلِّمُهُ إِلاَّ أُسْمِعُكُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بيني وَبَيْنَهُ، مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْراً لاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ وَلاَ أَقُولُ لأَحَدٍ يَكُونُ عَلَىَّ أَمِيراً إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ، بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلاَنُ مَا لَكَ أَلَمْ**

---

(١) (٢١/ الأذكياء) بتصرف.

(٢) **حسن بمجموع طرقه، وشواهده**: (٩/ مداراة الناس، واللفظ له) (٦/ ٢٦٢ شعب الإيمان) (٣/ ١١٤ الزوائد) (٤/ ٥٤٧ الإصابة) جميعهم من حديث أبو عبس بن جبر الأنصاري رضي الله عنه ؛ وهو صحابي جليل شهد بدراً، واختلف في اسمه (٦٥٦/ التقريب)، وفي سنده عبد المجيد بن أبي عبس ؛ وثقه ابن حبان ولينه أبو حاتم (٤/ ٥٥ اللسان).
وله شاهد: من حديث أبو عبد الله عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه (١٠/ مدارة الناس) (٢/ ٨٤ الدر المنثور) ؛ وفي سنده كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني، عن أبيه، والأول: **ضعيف**، والثاني: **لين** (٣١٦، ٤٦٠ التقريب)، ورواه السهيلي في الروض الأنف، معلقاً دون سند (٤/ ١٩٧).
الحديث ورد من طرق عدة كلها لا تسلم من الضعف والإعلال، إلا أنه قد يقبل التحسين لاجتماعها، ولكونه في الفضائل.

تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»(١).

معاذ بن جبل رضي الله عنه :

عندما تخلف كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم عن غزوة تبوك، قَالَ النبي ﷺ وَهْوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ كَعْبٌ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: «بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْراً»(٢).

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يذكّر كُلَّ يَوْمِ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: «يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّا نُحِبُّ حَدِيثَكَ وَنَشْتَهِيهِ وَلَوَدِدْنَا أَنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ مَا يَمْنَعُنِى أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إِلاَّ كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»(٣).

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

كان يقول رضي الله عنه: «اجتنبوا أعداء الله في عيدهم»(٤).

وكان رضي الله عنه يقول على المنبر: «أيها الناس لا تبغضوا الله إلى عباده»، فقيل: كيف ذاك ـ أصلحك الله ـ؟ قال: «يجلس أحدكم قاصا فيطول على الناس حتى

---

(١) سبق تخريجه. قال الإمام النووي «رحمه الله»: وفيه الأدب مع الأمراء واللطف بهم ووعظهم سراً، وتبليغهم ما يقول الناس فيهم لينكفوا عنه، وهذا كله إذا أمكن ذلك، فإن لم يمكن الوعظ سراً والإنكار فليفعله علانية لئلا يضيع أصل الحق (٩/ ٣٤٥ شرح صحيح مسلم).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

يبغض إليهم ما هم فيه، ويقوم أحدكم إماما فيطول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه»[١].

حبر الأمة وترجمان القرآن: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لأحد أصحابه: «حَدِّثِ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ، فَإِنَّ أَكْثَرْتَ فَثَلَاثَ مِرَارٍ وَلاَ تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلاَ أُلْفِيَنَّكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقُصُّ عَلَيْهِمْ، فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتُمِلُّهُمْ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ، فَإِذَا أَمَرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ، فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنْ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ، فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لاَ يَفْعَلُونَ إِلاَّ ذَلِكَ»[٢].

عمار بن ياسر رضي الله عنهما:

عن أبي وَائِلٍ ـ رحمه الله ـ، قال: خَطَبَنَا عَمَّارٌ فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ، قُلْنَا يَا أَبَا الْيَقْظَانِ؛ لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ، فَقَالَ: إني سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ فَأَطِيلُوا الصَّلاَةَ وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْراً**»[٣].

أبو الدرداء رضي الله عنه:

أوصى أبو الدرداء رضي الله عنه ابنه بلال قائلاً: «يا بني إذا رأيت الشر فدعه وأهله»[٤].

---

(١) (٢/ ٧٤ الآداب الشرعية).

(٢) صحيح: (٦٣٣٧/ الدعوات/ البخاري).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) (٣٨٥/ أحمد في الزهد).

سلمان الفارسي رضي الله عنه :

عن عمرو بن أبي قرة ـ رحمه الله ـ قال: كان حذيفة ـ رضي الله عنه ، بالمدائن، وكان يذكر أشياء قالها رسول الله ﷺ لأناس من أصحابه في الغضب، فينطلق ناس ممن سمع ذلك من حذيفة فيأتون سلمان ـ رضي الله عنه ، فيذكرون له قول حذيفة، فيقول سلمان: حذيفة أعلم بما يقول، فيرجعون إلى حذيفة فيقولون: قد ذكرنا ذلك لسلمان فما صدقك ولا كذبك، فأتى حذيفة سلمان وهو في قبة له فقال: يا سلمان ما يمنعك أن تصدقني بما سمعت من رسول الله ﷺ، فقال سلمان: إن رسول الله ﷺ كان يغضب فيقول في الغضب لأناس من أصحابه ويرضى فيقول في الرضا لأناس من أصحابه، أما تنتهي حتى تورث رجالا حب رجال، ورجالا بغض رجال حتى توقع اختلافاً وفرقة، ولقد علمت أن رسول الله ﷺ خطب فقال: «**أيما رجل من أمتي سببته سبة أو لعنته لعنة، فاجعلها عليه صلاة يوم القيامة**»، والله لتنتهين أو لأكتبن فيك إلى عمر[١].

أهبان بن صيفي رضي الله عنه :

عن عديسة بنت أهبان بن صيفي رضي الله عنه ، قالت: لما جاء علي بن أبي طالب ها هنا البصرة دخل على أبي، فقال: يا أبا مسلم ألا تعينني على هؤلاء القوم؟ قال: بلى، قال: فدعا جارية له، فقال: يا جارية أخرجي سيفي، فأخرجته، فسل منه قدر شبر فإذا هو خشب، فقال: إن خليلي وابن عمك ﷺ عهد إلي: «**إذا كانت الفتنة بين المسلمين، فأتخذ سيفا من خشب**»، فإن شئت خرجت معك، قال: لا حاجة لي فيك ولا في سيفك[٢].

---

(١) حسن: (٤٦٥٩/ أبي داود) (٥/ ٤٣٩ أحمد في المسند) (٩١/ الأدب المفرد) (٦/ ٢٥٩ الطبراني الكبير)، واللفظ كما في تهذيب الكمال (٢١/ ٤٨٤).

(٢) سبق تخريجه.

سيد شباب أهل الجنة: الحسن بن علي رضي الله عنهما:

قال رضي الله عنهما: «إن خير المال ما وقي به العرض»[1].

الحر بن قيس «رحمه الله»:

عن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ يَا ابْنَ أخي، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ (الأعراف: ١٩٩) وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ[2].

أيمن بن خريم الأسدي «رحمه الله»:

عن عامر الشعبي ـ رحمه الله ـ قال: كان مروان بن الحكم يقاتل الضحاك بن قيس، فقال: مروان لرجل من بني أسد يقال له أيمن بن خريم الأسدي؛ ألا تقاتل معنا، فقال أيمن بن خريم: «لا، إن أبي وعمي شهدا بدرا مع رسول الله ﷺ، وعهدا إلي أن لا أقاتل أحدا شهد أن لا إله إلا الله، فإن أتيتني ببراءة من النار قاتلت معك»، فقال: اذهب فلا حاجة لنا فيك.

فأنشد أيمن رحمه الله:

---

(١) (١٣٩/ مداراة الناس).

(٢) سبق تخريجه.

ولستُ بقاتلٍ رجلاً يصلّي ... على سلطان آخر من قريشِ
له سلطانُه وعليّ إثمي ... عاذَ الله من جهلٍ وطيشِ
أُقاتلُ مُسلِماً في غيرِ شيء ... فليس بنافعي ما عشتُ عيشي[(١)]

الأعمش «رحمه الله»:

قال الأعمش ـ رحمه الله ـ: «جواب الأحمق: السكوت عنه».

وقال أيضاً: «السكوت جواب، والتغافل يطفئ شراً كثيراً، ورضا المتجني غاية لا تدرك، واستعطاف المحب عون للظفر، ومن غضب على من لا يقدر عليه طال حزنه»[(٢)].

الحسن بن حي «رحمه الله»:

عن عبد الرحمن بن مطرف ـ رحمه الله ـ قال: «ان الحسن بن حي إذا أراد أن ينصح أخا له، كتبه في ألواح و ناوله»[(٣)].

أسد الحديث الحافظ: يحي بن معين «رحمه الله»:

قال ـ رحمه الله ـ: «خطأ عفان في نيف وعشرين حديثا، ما أعلمت به أحداً وأعلمته فيما بيني وبينه، ولقد طلب إلى خلف بن سالم أن أذكرها فما قلت له، وما رأيت على رجل قط خطأ إلا سترته، وما استقبلت رجلا في وجهه بما يكره، ولكن أبين له خطأه فإن قبل، وإلا تركته»[(٤)].

---

(١) صحيح: (٢/ ٢٤٧ أبي يعلى) (٢/ ١٧٠ المستدرك) (١/ ٢٩١ الطبراني في الكبير) (٨/ ١٩٣ البيهقي في الكبرى).
(٢) (٢/ ٧٥ الآداب الشرعية).
(٣) (٦/ ١١٢ شعب الإيمان).
(٤) (١١/ ٢٥٠ تهذيب التهذيب).

الإمام الورع: سفيان الثوري «رحمه الله»:

مرّ ـ رحمه الله ـ مع أحد أصحابه يوما بشرطي نائم وقد حان وقت الصلاة فذهب صاحبه يحركه، فصاح سفيان: «مه» فقال: يا أبا عبد الله يصلى، فقال: «دعه لا صلى الله عليه، فما استراح الناس حتى نام هذا»[١].

الإمام النووي «رحمه الله»:

لما أراد الظاهر قتال التتار بالشام أخذ الفتاوى من العلماء، بجواز أخذ مال من الرعية يستنصر به على قتالهم، فكتب له فقهاء الشام بذلك، فأجازوه، فقال: هل بقي من أحد ؟ فقيل له: نعم، بقي الشيخ محي الدين النووي، فطلبه، فحضر، فقال له: اكتب حظك مع الفقهاء، فامتنع، فقال: ما سبب امتناعك؟ فقال: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير بنداقدار، وليس لك مالٌ، ثم منّ الله عليك وجعلك ملكا، وسمعت أن عندك ألف مملوك، كل مملوك له حياصة من الذهب، وعندك مائتا جارية، لكل جارية حق من الحلى، فإذا أنفقت ذلك كله، وبقيت مماليكك بالبنود والصرف بدلا من الحوائص، وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلى، أفتيتك بأخذ المال من الرعية، فغضب الظاهر من كلامه، وقال: أخرج من بلدي ـ يعني دمشق، فقال: السمع والطاعة، وخرج إلى «نوى»، فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا، وممن يقتدى به، فأعده إلى دمشق، فرسم برجوعه، فامتنع الشيخ وقال: لا أدخلها والظاهر فيها، فمات بعد شهر[٢].

الشاهد: أن الإمام النووي «رحمه الله»: أفتاه بما يدين به، وامتثل لأمره في الخروج من البلاد.

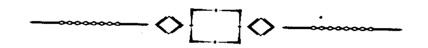
---

(١) (٧/ ٤١ حلية الأولياء).

(٢) (٧١/ علماء وأمراء).

شيخ الإسلام ابن تيمية «رحمه الله»:

قال **العلامة ابن القيم** ـ رحمه الله ـ، سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يقول: مررت وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه وقلت: «إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله والصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال منهم»[1].



(١) (٣/ ٥ إعلام الموقعين)

خاتمةُ البحث

نعمة الأمن، نعمة عظيمة امتن الله بها علينا، وهي مطلوب لكل إنسان مسلم أو كافر، يبحث عن الطرق المؤدية إليها، وقد كفلت الشريعة الإسلامية الغراء الطرق المؤدية إليها، وحثت المسلمين على استجلاب ما يوفر الأمن، واجتناب ما يطرده، من ذلك الفتن والشرور وإثارتها، ولأجل الأمن؛ فُرضت الإمامة، وأُقيمت الحدود، وقد ذهب الفقهاء إلى أن أمن الإنسان على نفسه وماله وعرضه شرط في التكليف بالعبادات، لذا كانت نعمة الأمن؛ من أعظم المنن.

ترك إثارة الشر يعني: اجتناب الأمور والأفعال التي من شأنها إثارة الفتن، أو إثارة النفوس على أمر معين، أو إيقاع المسلمين في الأذى.

ترك إثارة الشر من أنفع الأعمال الصالحات التي غفل عنها كثيرون؛ دعاة قبل مدعوين، وهو جهاد مع النفس عظيم، كان من سنة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وكذا سلفنا الصالح ـ رحمهم الله ـ، وهديهم، والأدلة متواترة على حرصهم على تهدئة النفوس، وترك إثارة الشر.

إثارة الشر يتخذ صور عديدة؛ منها إثارة الشر على عوام المسلمين، وعلمائهم، وعلى الحكام والأمراء وذوي السلطان، وعلى النفس، وإثارة أحد الزوجين على الأخر، والغلام على أبويه، والخادم على أهله، وإثارة الشر على عصاة المسلمين، وعلى أهل الكتاب والكفار، وعلى الجن والدواب.

إثارة الشر على العوام؛ تحديثهم بما لا يفهمونه، أو لا تحتمله عقولهم، أو بما رسخ في نفوسهم ضده؛ فمحادثة العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهي من المثيرات للفتن، والواجب هو مخاطبة الناس علي قدر عقولهم، وإعطاء الدواء بقدر الداء، والتلطف والاحتيال في مخاطبتهم، وإشغالهم بالعبادات، والعمل بما في القرآن، وما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

كذلك من قبيل إثارة الشر على العوام؛ إثقالهم بالعبادات، بحيث لا يطيقون، وقد كان النبي ﷺ يتخول صحابته بالموعظة في الأيام كراهة السآمة عليهم، وكان يقول: «**خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ**»، وكان هديه ﷺ اختيار أيسر الأمور.

معرفة طريقة السلف الكرام ـ رحمهم الله ـ من أهم وسائل الثبات والمثابرة، والارتفاع بالهمة، لكن يجب مراعاة حال المخاطب، ومناسبة الخطاب، وإلزام العوام بما ألزم السلف ـ رحمهم الله ـ به أنفسهم، قد يؤول بهم إلى الإحباط واليأس.

من أهم صور إثارة الشر على العلماء، وطلبة العلم؛ تلقي الكلام الذي ينسب إليهم وعليهم، بالقبول وبسعة صدر، في أي وقت، ومن أي أحد، دون تثبت أو تيقن، ثم تناقله ونشره في الآفاق، وقد يؤدي إلى فتن عظيمة، يكون ضحيتها علماء كرام، وقد يسقط في براثن هذه الفتن علماء آخرون، وطلبة علم أفاضل.

ومن أهم صور إثارة الشر على العلماء أيضاً؛ التعامل معهم على أنهم معصومين؛ ومن ثم فالخطأ من أحدهم، كارتكاب آحاد الناس الكبائر، بل بعضهم يتعامل مع خطئه، على أنه أعظم من ذلك، وعلماؤنا ومشايخنا بشر، بل هم أرقى البشر، يصيبون ويخطئون، يحلمون ويغضبون، يعملون الطاعات، لكنهم أيضاً يأثمون، وهم إن شاء الله تعالى معذورون مأجورون فيما أخطأوا فيه، كما هو الشأن فيمن أخطأ بعد بذل الوسع في تحري الحق.

إذا كانت قواعد الشرع تقتضي أن يسامح الجاهل، بما لا يسامح به العالم، وأنه يغفر له ما لا يغفر للعالم، إذ حجة الله عليه أقوم منها على الجاهل، وعلمه بقبح المعصية وبغض الله لها وعقوبته عليها أعظم من علم الجاهل، ونعمة الله عليه بما أودعه من العلم أعظم من نعمته على الجاهل، فلزم أن يقابل من الانتقام

والعتب بما لا يقابل به من ليس في مرتبته، إلا أن قواعد الشرع أيضاً اقتضت أن من له ألوف من الحسنات فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين ونحوها، حتى إنه ليختلج داعي عقوبته على إساءته، وداعي شكره على إحسانه فيغلب داعي الشكر لداعي العقوبة، كما قرر العلامة ابن القيم «رحمه الله».

يأمر الله تعالى بالتثبت في خبر الفاسق، ليحتاط له، وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين، والمراد من التبين: التعرف والتفحص، ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد، حتى يتضح ويظهر.

علمائنا ومشايخنا، خلفاء الرسول ﷺ في أمته، والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا، وليعلم كما قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ رحمه الله ـ: أنه ليس أحد من الأئمة ـ المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً ـ يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته، دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ.

ومن صور إثارة الشر؛ الغلو في الأفاضل؛ وتبجيل العلماء وتوقيرهم على نحو لا يرضونه، بالتعصب لهم، ولأقوالهم، والتعصب للمذاهب وأقوال العلماء؛ السلف فضلاً عن الخلف، مذموم، إنما التعصب المحمود، الذي يكون للحق أينما وجد، التعصب للدليل من مصادره الشرعية.

في سنة النبي ﷺ ما يشهد بلزوم ترك إثارة الشر على الأمراء والحكام، ومن كمال الدين الإسلامي أنه ضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم، لأن من شأن ضبط هذه العلاقة انضباط أمور الأمة وسيرها في حياتها على السواء، هذا الضبط جاء بأسلوب شرعي بديع هو توجيه كل من الطرفين؛ الحاكم والمحكوم؛ إلى القيام بالمهام المنوطة به والواجبات الموكلة إليه.

ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبدا على سيده، وتخبيب المرأة؛ تحديثها بما يفسدها على زوجها، ونحو ذلك تخبيب الخادم على أهله، والزوج على زوجته والغلام على أبويه، إلا أن يكون أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر، والمأثور عن النبي ﷺ عكس ذلك، فقد رخص ﷺ في الكذب للإصلاح بين الناس، وأولى منه الإصلاح بين الزوجين وبين ذوي القربى.

ويرتبط بهذه الصورة من صور إثارة الشر؛ أن يلتمس الرجل الريبة في أهله؛ بأَنْ يَطْرُقَ عليهم لَيْلاً يَتَخَوَّنُهُمْ، أَوْ يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ.

كذلك من صور إثارة الشر؛ إثارة الشر على العصاة والمذنبين، بتحقيرهم وازدرائهم والتشنيع عليهم، ومن صور إثارة الشر عليهم أيضاً؛ ترك السلام عليهم وهجرانهم، وهي مسألة لها فقه، فليس كل مذنب يهجر وليست كل معصية يترك من أجلها السلام على مرتكبها.

هجران مرتكب المعصية مقيد بشروط:

«**أولها**»: أن ينصح صاحب المعصية ويرشد إلى الصواب، وهذا الشرط لازم من كون المؤمن حسن النية، لا يهجر انتقاماً، أو لأجل حظ نفسه، فهذه لا تجوز لأكثر من ثلاث كما ورد عن النبي ﷺ، فهجرته للتشذيب لا التثريب، هذه هي الهجرة المشروعة لأن تكون كلمة الله هى العليا، فالطاعة لابد أن تكون خالصه لله، موافقة لأمره.

«**الثاني**»: أن يغلب الظن على من هجر بأن هجر المذنب سبيل لإصلاحه وتركه المعصية.

«**الثالث**»: أن يغلب الظن على أن هجره لن يكون سبباً في مفسدة أعظم.

«**الرابع**»: ألا ينسد بالهجران، ثغر عن المسلمين؛ كتعليم أو طب أو قضاء ونحوه، يتعذر إقامته إلا بواسطة المراد هجره، فهنا اختيار أقل المفسدتين ضرراً،

يقتضي نبذ الهجران، في سبيل إقامة مصالح المسلمين، والضرورة تقدر بقدرها، فتحذر بدعته، وتتقى الفتنة به منها ما أمكن.

ومن صور إثارة الشر:

إثارته على الكفار من المشركين وأهل الكتاب، وقد فهم سلفنا الصالح ـ رحمهم الله ـ، هذا الفقه؛ فقه ترك إثارة الشر على الكفار، ونبهوا عليه في كتبهم، لأنهم أدركوا أن ضبط هذا الباب يجلب الخير الكثير على المسلمين، وعكسه يوقعهم في البليات.

ترك إثارة الشر على الكافر لا يعني الانبساط إليه والاسترسال في الكلام معه؛ كما ينبسط الكافرين لبعضهم ويسترسلون في كلامهم، فذا مكروه كراهة شديدة تكاد تصل إلى حد التحريم، وإنما المقصود ـ إن لم يكن الكافر محارباً؛ عدم إيذاءه وتحقيره والتشنيع عليه وإثارة العوام عليه، خاصة إذا كان المسلمون في حالة ضعف وتشتت، وهذا هو مسلك الوسطية الذي اختاره لنا ﷺ في معاملتهم لا إفراط ولا تفريط، فكما أن هذه الأمة وسط في أحكامها وعبادتها وآدابها فهي وسط في سلوكها في داخلها ومع غيرها، وهكذا شأنها في كل أمور الحياة.

ومن الصور أيضاً: إثارة الشر على الجن؛ بالاستنجاء بالعظم، والبعر، الذي هو زادهم وعلف دوابهم، وقد نهى النبي ﷺ أن يستنجى بالعظم والبعر الذي هو زاد إخواننا من الجن وعلف دوابهم، ومعلوم أنه إنما نهي عن ذلك لئلا ننجسه عليهم، ولهذا استنبط الفقهاء من هذا أنه لا يجوز الاستنجاء بزاد الجن.

ومن صور إثارة الشر: إثارته على الحيوان والدواب، ومن ذلك: تكليفها فوق ما تطيق، وتتبعها لقتلها بلا ضرورة، وسبها والدعاء عليها، وقد وردت الأدلة على النهي عما تقدم، بل إن المأثور عن النبي ﷺ مع الدواب عكس ذلك، فقد كان ﷺ يحسن الظن بدابته، ويرفق بها.

أهم صور إثارة الشر: إثارته على النفس: ذلك بأن يجلب الإنسان بفعله شرا على نفسه، وكل أبواب إثارة الشر، تندرج تحته، فكل إثارة للشر على مسلم أو كافر أو جني قد تعود على الإنسان بالشرور العظيمة، ويكون قد جلبها على نفسه، ولا أجر له.

ومن صور إثارة الشر على النفس: دعاء المرء في الغضب، على نفسه، أو ولده، أو امرأته، أو دابته، والأدلة على أن دعاء الغضبان قد يجاب إذا صادف ساعة إجابة.

ومن صور إثارة الشر على النفس أيضاً: الاختصام، وأن يضع المرء نفسه موضع الريب والتهم والظنون، ومن مواطن الريب والتهم؛ مجالس أهل السوء، «فمَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً»، وفضلاً عن مصاحبةِ أهل السوء، والتزام مجالسهم.

فمن مواطن الشبهات والريب أيضاً: أماكن الفساد، وأماكن تجمع النساء.

ومنها أيضاً: الوقوع في الأفعال التي في ظاهرها تستوجب التقريع على خلاف حقيقتها، وذلك دون بيان هذه الحقيقة وحجتها، وخطر هذه الصورة من صور إثارة الشر على الناس وإيقاعهم في الفتن، يزداد ويتأكد في حق العالم والمُعلم والمؤدب والقاضي والمفتي وغيرهم ممن يقتدي بهم، لأن مثلهم إذا فعل ذلك ترتب عليه مفاسد من جملتها؛ توهم كثير ممن تعلم ذلك منه أن هذا جائز على ظاهره بكل حال، وأن يبقى ذلك شرعا وأمراً معمولاً به أبداً، ومنها وقوع الناس فيه بالنقص، واعتقادهم نقصه وإطلاق ألسنتهم بذلك، ومنها أن الناس يسيئون الظن به، فينفرون عنه، وينفرون غيرهم عن أخذ العلم عنه، وتسقط رواياته وشهادته، ويبطل العلم، كما قال الإمام النووي «رحمه الله».

فترك إثارة الشر فقه لا يناله إلا من اعتصم بالكتاب والسنة، وعرف منهج السلف والتزم به، وكذا علم بمقاصد الشريعة الغراء ومراتب الأحكام، وجمع أدلة الباب قبل أن يتكلم المرء فيه، وأمعن النظر فيها وفي مدى صحتها وسلامتها، والمراد بألفاظها، فإن لم يكن ثمة دليل تكلم بالآثار الواردة عن الصحابة والمتقدمين من السلف، وعلم أن الأخذ بها أولى من الأخذ بآراء المتأخرين والمعاصرين، فقرب المجتهد إلى الصواب بحسب قربه من عصر الرسول ﷺ.

من أهم الأسباب المعينة علي ترك إثارة الشر علي الناس: تمييز الوقائع والإلمام بالقرائن المحتفة بها، كذا التوقف والتأني في إسقاط الأحكام على الناس حتى تقدر أحوالهم وتعلم أعذارهم، وتقام عليهم الحجة، وتفهم لهم.

كذا من الأسبابِ المعينة: ضبط العلاقة بين المسلم والكافر، وبين الحاكم والمحكوم، ومعرفة مراتب الناس وإنزالهم منازلهم، وإقالة ذوي الهيئات عثراتهم، ومعرفة فقه الكلام، وبيانه وإيضاحه للمخاطب.

ومن الأسبابِ: احتراز المواجهة بالمكروهِ مع حصولِ المقصودِ دونه، بحسن اختيار اللفظ، وعدم المواجهة بالإثم، وقد كان هذا دأب النبي ﷺ دائماً حتى وفي أشد ما يكون من الغضب، وأيضاً من شيمة نبي الله يوسف، حتى وهو في أشد ما يلاقيه من المحنة، والسلف الكرام ـ رحمهم الله ـ، امتثلوا هذا الأدب والسلوك.

ولا يكون احتراز المواجهة بالمكروه بالتعريض بالكلام فقط، وإنما قد يكون بتصرف من المرء أو بتغير وجهه، على نحو غير معهود منه.

ويتصل بهذا السبيل من سبل ترك إثارة الشر التأدب بآداب النصح والإرشاد، ومنها:

«**أولاً**»: إسرار النصيحة؛ وذلك حتى لا يظن المؤدى إليه، بأن الناصح يتكبر أو يتعالى عليه، وحتى لا تأخذه العزة بالإثم، فلا يستقيم نصح أي إنسان مع

جرح مشاعره، وتقويمه مع فضح أمره، ورده إلى الحق مع إفشاء سره، وهدايته إلى الصواب مع إهانته واتهامه.

«**ثانياً**»: تذكير المرء بآبائه وسلفه الصالحين؛ وهذا الأدب له آثار حسنة، فهو إما أن يهيج المؤدى إليه النصيحة ويحفزه على فعل الخيرات، وإما أن يردعه عن ارتكاب المنكرات، أو يمنعه من أن يتعرض بالشر لمن علم سيرة آبائه وأجداده.

«**ثالثاً**»: بشاشة الوجه، ولطف العبارة؛ فما تكلم الناس بكلمة صعبة، إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها، كما قال السلف «رحمهم الله».

ومن السبل: اختيار أيسر الأمرين؛ فما خُيِّر رسول الله ﷺ في أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً كان أبعد الناس منه، وهذا هو المقصود وليس المقصود إتيان المنكر وتثبيط الناس عن إزالته.

ومن السبل: إذا تواردت المفاسد اختيار أقلها ضررا، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح؛ وهما أصلان مهمان في الشريعة، الأدلة عليهما من القرآن والسنة كثيرة، وذلك لأن اعتناء الشرع بترك المنهيات أشد من اعتنائه بفعل المأمورات، لما يترتب على المناهي من الضرر المنافي لحكمة الشارع في النهي.

ومنها أيضاً: عدم تنفير الناس من الدين، ولكن تأليف قلوبهم عليه؛ فالنفس البشرية جُبلت على حبّ من يتودد ويحسن إليها، كذا جبلت على طاعة من يسدي النصيحة إليها بأدب، فمن لانت كلمته وجبت محبته، وقد كان النبي ﷺ يقول: «**إن منكم منفرين فمن أم الناس فليتجوز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة**».

ومن أهم سبل تأليف الناس على الدين:

«**أولاً**»: الرفق؛ فالرفق أقصر الطرق للوصول إلى القلوب وأيسرها، والكلمة الطيبة والبسمة الحانية راحلة الرفيق في هذا الطريق.

«**ثانياً**»: الإحسان إليهم.

«**ثالثاً**»: الاقتصاد في الموعظة؛ فمن وعظ جماعة أو ألقى عليهم علماً يستحب له أن يقتصد في ذلك ولا يطول عليهم، لئلا يضجروا وتذهب حلاوته وجلالته من قلوبهم، ولئلا يكرهوا العلم وسماع الخير فيقعوا في المحذور.

«**رابعاً**»: حمل البشرى، والتهنئة؛ وهي غريزة حسنة، لها أثر جميل في نفس المساق إليه البشرى، من لدن الله عز وجل ومن صفاته، والآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب كثيرة جداً، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً في حياة الصحابة والتابعين وسلفنا الصالح «رحمهم الله ورضي عنهم».

ومن سبل عدم إثارة الشر: مقابلة الإساءة بالإحسانِ، والتماس أعذار الناس، والتغاضي والصفح عن زلاتهم، وهو خلق سني، لا يناله إلا من منّ الله تعالى عليه ببعض رحمته؛ فبرحمته الناس يرحمه الله عز وجل، وما تفرغ عبدٌ لعيوب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه.

وخلق أخذ العفو، والتماس المعاذير، ومقابلة الإساءة بالإحسان؛ ثماره دنيوية وأخروية، فأما الأُخروية: فهو خلق يُتعبَّدُ به الله عز وجل، ويُتقرَّب إليه به، وامتثاله سنة عن رسول الله ﷺ، فقد كان من شيمته ﷺ أنه لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صخاباً في الأسواق، لا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح.

وأما فوائد هذا الخلق الدنيوية: يتألف القلوب الناشزة، ويطيل ود الإخوان، وقد أخطأ من ظنه سبيل ذلة وصغار، وما دفع عن شريف شرفه، ولا زاده إلا كرما، وهو طوق في رقبة المُسيء، وطرفه في يد المُحسن، فالإنسان أسير الإحسان، والإنعام والبر واللطف والرفق معانٍ تسترق مشاعره، وتستولي على مداركه، فتدفعه دفعا إلى محبة من أسدى إليه النعمة، وأهدى إليه المعروف.

وباب التماس أعذار الناس: باب واسع، يشمل المعاملات المالية فضلاً عن الأخلاقية، ويمتد لأهل الكتاب والكفار، وقد كَانَ النبي ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى.

ومن السبل: الصبر على أذى الناس، والإعراض عن الجاهلين؛ فالصبر على أذى يسير، يدرأ شراً مستطيراً أحياناً، ويولد خيراً عظيماً أحياناً أخرى، فكما قال الشافعي «رحمه الله»: الكيس العاقل: هو الفطن المتغافل، وامتثال هذا الخلق سنة عن رسول الله ﷺ، وليس نبينا ﷺ فحسب، وإنما هو من شيم رُسل الله تعالى ـ عليهم السلام ـ والصالحين من قبله، بل هو من صفات الله عز وجل، بل ليس من هو أصبر منه على أذى الناس.

وفي مقام التفضيل بين العزلة خشية الأذى، والمخالطة مع الصبر على الأذى، أيهما أفضل: الأمر يختلف باختلاف الحال، فاختيار المخالطة مطلقاً خطأ، واختيار الانفراد مطلقا خطأ؛ فمن كانت له القدرة على تغيير المنكرات، ووجد في نفسه البأس في مجاهدة المعاصي، والصبر على الأذى والبليات، فالمخالطة في حقه أولى، أما من تخوف على نفسه الفتنة، ترجحت لديه العزلة، بشرط أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد وحقوق المسلمين من العيادة، وشهود الجنازة، ونحو ذلك، والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة لما في ذلك من شغل البال، وتضييع الوقت عن المهمات، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغداء والعشاء، فيقتصر منه على ما لا بُد له منه المخالطة، كما قال الخطابي «رحمه الله»، مع العلم بأنه لا يستويان رجل صبر لوجه الله تعالى، وأخر صبر لأنه لا يملك إلا الصبر، فالمسلم إذا كان مخالطا الناس ويصبر على أذاهم، خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم.

الغضب جماع كل شر، وينشأ عنه كثير من الأفعال المحرمة كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان، وكثير من الأقوال المحرمة والمحظورة كالقذف والسب

والفحش، وكالأيمان التي لا يجوز التزامها شرعا، وكطلاق الزوجة الذي يعقبه الندم، وربما ارتقى لدرجة الكفر، وقد أخرج أقواما إلى ما لا يليق بهم، وآخرون إلى ما ندموا عليه سنين، لذا فإن من أهم السبل الدافعة للشر؛ مفارقة المجلس أو التزام الصمت، إذا سمع المرء ما يغضبه ـ إلا أن يكون منكراً.

لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وإنما حُمد كظمُ الغيظ؛ لأنه قهر للنفس الأمارة بالسوء، ويكفي في الحلم فضيلة؛ أنه خصلة يحبها الله عز وجل، ثم إنه يزيد المرء شرفا، ويعليه قدرا ومقاما، ويرفع درجته ومنزلته، وليس كما يفهم البعض أنه سبيل ذلة ومهانة، فالحلم يأسر القلوب، ويُظفر الحليم بالمطلوب.

من أهم سبل دفع الغضب:

أولاً: الاستعاذة بالله عز وجل، والاستعانة به، إذ هو تعالى يُشفي الصدور، ويذهب غيظ القلوب.

ثانياً: إن لم يستطع المرء أن يملك نفسه عند الغضب، فالسكوت سبيله لدفع شروره عن نفسه، والغير.

ثالثاً: فإن لم يستطع أن يحلم ويصمت عما أغضبه، فليغير الهيئة التي عليها، فإن كان قائماً فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع، والحكمة من هذا السلوك؛ أن القائم متهيئ للانتقام، والجالس دونه، والمضطجع دونهما، والقصد أن يبتعد عن الهيئة التي هو عليها والتي قد تمكنه من البطش بمن غضب منه، فإن لم يذهب عنه الغضب، فليفارق المجلس.

رابعاً: من أقوى الأشياء في دفع الغضب؛ استحضار التوحيد الحقيقي، وهو أن لا فاعل إلا الله، وكل فاعل غيره فهو آلة له، فمن توجه إليه بمكروه من جهة غيره فاستحضر أن الله لو شاء لم يمكن ذلك الغير منه اندفع غضبه، لأنه لو

غضب والحالة هذه كان غضبه على ربه جل وعلا وهو خلاف العبودية، كما نقل الحافظ ابن حجر عن الطوفي «رحمهما الله».

أما إن كان سبب الغضب حرمة لله تنتهك؛ فلا صمت ولا تغيير للهيئة، والسبيل هو دفع المنكر باليد، فإن لم يستطع فباللسان، فإن لم يستطع فبقلبه وليفارق المجلس، فإن ذلك أضعف الإيمان، بل إن ترك هذا النوع من الغضب؛ مذموم، وهو خلق حسن، وسنة عن النبي ﷺ وسائر الرسل والأنبياء ـ عليهم السلام ـ والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وسلفنا الصالح.

إشغال الناس بأعمال البر والأعمال النافعة، والحول بينهم وبين المراء والجدل؛ من أعظم أسباب انصرافهم عن الباطل ويتفرع عن هذا السبيل من سبل ترك إثارة الشر واجتنابه؛ تغيير موضوع الحديث إذا كانت مقدماته تشعر بثمة مشكلة، وهو مسلك مهم لمن أراد اجتناب الأخيرة.

من سبل عدم إثارة الشرور والفتن: دفع التهمة عن النفس، وألا يضعها المرء مواضع التهم، ونفي المعصية عن النفس لا يعد رياء، لأن من التصقت به تهمة المعصية استحق الذم والمقت من الناس، فكان من حقه إن لم يكن قد ارتكبها، إماطة التهمة عن نفسه بالبوح بأنه لم يفعلها أو أنه لا يأتيها، وهذا السبيل من سبلِ ترك إثارة الشر، فرع عن سبيلٍ أخر، ألا وهو؛ ألا يضع المرء نفسه مواضع التهم، وبؤر الشبهات والريب.

ومن أعظم سبل ترك إثارة الشر: هجران صفحات الفواحش: الجرائد والمجلات التي تعرض للحوادث والقضايا، والتي تشيع الفاحشة وتدل الناس على الرذائل، وأحدث ما توصل إليه المجرمون والفساق من طرق ارتكاب الجريمة وكيفية إخفاء أثارها، ولا سبيل إلى الاحتجاج بحسن النية في نشر مثل ذلك ـ كما يقولون: ننشر لزجر الغير !! نذيع لبيان سوء العاقبة !! نساعد على اكتشاف الجريمة ـ إذ النية

الصالحة لا تصلح العمل الفاسد، بينما النية الفاسدة تفسد العمل الصالح، هذا فضلاً عما في هذه الصفحات من سوء ظن، وهتك ستر، وقذف محصنة، وخوض في الأعراض، فلا شك أن صفحات الحوادث وما على شاكلتها سبيل إثارة للشر، وفتنة عظيمة، والأولى هجران المشاركة في إعدادها، وترك مطالعتها.

ومن أعظمها أيضاً: معرفة فضل الناس والعلماء، وإنزالهم منازلهم، فلا يعرف فضل أهل الفضل إلا أهل الفضل، فأخطاء العلماء والفضلاء فتنة لطائفتين؛ طائفة تعظمه، فتريد تصويب ذلك الفعل، واتباعه عليه، طائفة تذمه، فتجعل ذلك قادحاً في ولايته وتقواه، بل في بره وكونه من أهل الجنة بل في إيمانه حتى تخرجه عن الإيمان، وكلا هذين الطرفين فاسد، ومن سلك طريق الاعتدال، عظم من يستحق التعظيم، ومذهب أهل السنة والجماعة أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويحب من وجه، ويبغض من وجه، كما قال شيخ الإسلام «رحمه الله».

ومن السبل: استحباب أن يعظ الناس من كان له منزلة فى قلوبهم إذا حلت المصيبة، أو وقع البلاء.

ومنها: ترك الظن بالناس، وحمل كلامهم على أحسنِ الوجوه؛ ومن سبل ترك إثارة الشر المرتبطة بهذا الباب؛ ألا يلتمس الرجل الريبة في أهله، واستحباب أن يسأل الرجل عن الفعل الذي لم يفهم قصد صاحبه أو ظن بآتيه سوءا، وذلك بنية الاسترشاد أو لفت الانتباه، أو النصيحة، أو دفع ظن السوء إن لم يقدر على إحسان الظن، وغير ذلك من النوايا الصالحة، وليس بقصد الهمز واللمز والمعايرة وغير ذلك من النوايا القبيحة.

ومنها: الفيء إلى الحق خير من التمادي في الباطل؛ فالرجوع إلى الحق، والانفلال عن الباطل، يدرأ مفاسد عظيمة، ويخمد فتن كثيرة.

ومن السبل: ألا يشير المرء بسلاحه، أو يظهر نصله، أو يحمله أو يبيعه في الفتنة، والعلة من منع الحمل: منع إدخال الرعب على الناس وتخويفهم، وأما البيع فلأنه يتضمن الإعانة على الإثم والعدوان، وهذا محرم ومذموم.

ومن السبل: ترك الجدال والمخالفة إلا أن يكون لله، وقد كان السلف يتحفزون لترك المجادلة والمخالفة، ومنهجهم مع أهل الزيغ والبدع والضلالات؛ بغضهم ونبذهم ومقاطعتهم وترك مجالستهم والكلام معهم وجدالهم وصيانة آذانهم عن سماع أباطيلهم، وعدم الالتفات إلى بدعهم وضلالاتهم، وقلما ناظروهم، اللهم إلا بدعة منتشرة، في زمن عز فيه أهل العلم، وغاب السلطان الشرعي الآخذ على أيدي المبتدعة.

ومن السبل أيضاً: تكنية الكافر والمبتدع والفاسق، إذا خيف من ذكرهِ باسمه فتنة، فإن أُمنت الفتنة، لم يزد على الاسم، إذ أُمرنا بالإغلاظ عليهم، فلا ينبغي أن نكنيهم ولا نرفق لهم عبارة، ولا نلين لهم قولاً، ولا نظهر لهم ودا، ولا مؤالفة.

ومنها: اعتذار من رد الهدية لشبهة، أو معنى شرعي، أو غير ذلك؛ كأن يكون المهدى إليه متلبس بظرف زمان أو مكان يمنعه من قبول الهدية.

ومنها: طلب السلامة للمسلمين؛ بعدم تمني السوء لهم، وألا يحب المرء وقوعهم في الفتن، ولأجل هذا الخلق، نُهينا عن الخصومة، إذ هي توغر الصدور وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد حتى يفرح الرجل بمساءة أخيه، ويحزن لمسرته، ويطلق لسانه في عرضه، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات، وأقل ما فيها اشتغال القلب حتى أنه يكون في صلاته وخاطره متعلق بالمحاجة والخصومة، فلا تبقى حاله على الاستقامة.

ومنها: محالمة الغاضب؛ فبالرفق والحلم ينقلب الغضب إلى هدوء وسكينة، وينقلب الهياج وداعة، والتبجح إلى حياء، بكلمة طيبة، ونبرة هادئة،

وبسمة حانية، في وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزمام، ولو قوبل بمثل فعله؛ ازداد هياجه وغضبه وتبجحه، وأخذته العزة بالإثم، كما قال الأستاذ سيد قطب «رحمه الله».

ليس من محالة الغاضب أن يقال له؛ اتق الله، اذكر الله، قل لا إله إلا الله، صلّ على النبي ﷺ، ونحو ذلك من تذكير، لئلا يحمله غضبه على الخوض في ضد ذلك.

ومن أعظم السبل أيضاً: وانفعها: ضبط العلاقة بين المسلم والكافر؛ فمن ناحية؛ من اتخذ كافرا ولياً فليس بمؤمن إذا اعتقد اعتقاده، ورضي أفعاله، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهي تدل دلالة صريحة على وجوب بغض الكفار من اليهود والنصارى وسائر المشركين، وعلى وجوبِ معاداتهم حتى يؤمنوا بالله وحده، وتدل أيضاً على تحريمِ مودتهم وموالاتهم، وذلك يعني بغضهم والحذر من مكائدهم، ومن موالاتهم؛ الرضا بكفرهم، أو الشك في ذلك، أو التحاكم إليهم من دون شرع الله، أو مودتهم ومحبتهم وانشراح الصدر لهم، أو التشبه بهم، أو اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، أو التآمر معهم بالانخراط في أحزابهم، أو تنفيذ مخططاتهم، أو نقل عورات المسلمين وأسرارهم إليهم، أو معاونتهم على ظلمهم ونصرتهم، أو تكثير سوادهم، وهناك أفعال لا تعد من الموالاة؛ كمعاملتهم بالحسنى واللطف والرحمة، أو اتقائهم ومداراتهم بغير مداهنة في دين الله تعالى، أو التصدق على فقرائهم، أو إهدائهم، أو قبول هديتهم، أو تعزيتهم في مصائبهم بما لا يخالف الشرع، أو رد السلام عليهم كما أورد الشرع، أو معاملتهم مالياً كما قرر، أو الاستعانة بهم عند الحاجة، أو أكل طعام أهل الكتاب والزواج من نسائهم بالضوابط الشرعية، أو زيارتهم أو الإقامة عندهم أو مخالطتهم لغرض شرعي وبالتزام الضوابط الشرعية، أو الاستفادة من علومهم، أو إقرارهم على دينهم.

أطبقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكفي أن نذكر طرفاً من أهميته؛ ألا كونه سبيل للنجاة من سوء العاقبة التي تصيب القوم الظالمين، وهو من علامات الحب في الله.

لا يظن البعض أن المقصود من ترك إثارة الشر السكوت عن المنكر وتثبيط الناس عن إزالته، فهذه شبهة قديمة أثارها مشركوا قريش من قبل، ومن قبلهم قوم شعيب؛، فالفرقة أرادها الكفار والمشركون حين حاربوا الرسل ومنعوهم من تبليغ رسالات ربهم ليبقوا في الضلالة ويعيثوا في الأرض الفساد، وقد أخطأ من ظن بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل إثارة للشر؛ بل إن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في ظهور الفتن والتناحر والتفرق والاختلاف، وهو سبب في انتشار كثرة الخبث، وهو من قبل جالب للعذاب الشامل وقد امتثل سلفنا الصالح ـ رحمهم الله ـ نهجَ النبي ﷺ في لزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع ترك إثارة الشر.

لكن السبيل في الأمر والنهي لا يكون إلا بالحسنى؛ وإلا انقلب إثارة للشر، واستثارة للفساد والطغيان كذا فعلى من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ أن يتحلى بالصبر؛ الصبر على ما قد يجده من إعراض ونفور، الصبر على ما قد يصيبه من أذى.

ينبغي على الناهي عن المنكر، ألا يقدم على إنكاره، إذا علم أن فعله سيؤدي إلى وقوع من ينهاه في براثن منكراً أعظم مما يرتكبه؛ وهذا من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر العظيم، والأدلة عليه متواترة.

ليحرص الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر؛ ألا تتحول العلاقة بينه وبين المأمور ـ بالغضب ـ لأجل ما يلقى الأول من الثاني، إلى خصومة لأجلها يطلق الآمر لسانه ويده.

ترك إثارة الشر لا يأتي إلا بخير، وقد أخطأ من ظن أنه سبيل ذلة ومهانة، بل من الحكمة أحيانا أن تتحمل ضرراً يسيراً لينالك مكسباً عظيماً، والتهور وعدم إدراك عواقب الأمور قد يسبب فتنة تزل فيها أقدام، وقد يوقع المسلمين في شر عظيم، فالصبر على أذى يسير أحياناً يولد خيراً عظيماً، وما الحرب إلا كرٌّ وفر، وليس يسبق العاصفة إلا هدوء.

لا زال أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والملحدين والعلمانيين يكيدون بالإسلام وأهله، وهم يسعون إلى طمس معالمه، وإبادة أهله، ومسخ هويتهم، ويخطون نحو هدفهم خُطىً ثابتة، موضوعة ومدروسة سلفاً، نضحت بها كُتبهم، وألسنتهم في المؤتمرات التي يعقدونها، ويستخدمون في سبيل ذلك؛ المنافقين، والذين في قلوبهم زيغٌ، والشائعات الكاذبة، وأجهزة الإعلام التي استطاعوا أن يُدخلوها بجميع صنوفها بيوت المسلمين كافة ـ اللهم إلا من رحم ربُنا.

ومن أهم سبل أعداء الإسلام في إثارة الشرور على المسلمين وبث الفرقة بين صفوفهم، وإضعاف قوتهم: سعيهم نحو مسخ الهوية الإسلامية، بإذاعةِ روحِ القومياتِ، ومحاولةِ نقض اللغة العربية.

العربية وحدها لم تكفي لتأليف قلوب العرب قديماً، وإنما بنعمة الإسلام، ألف الله بين قلوب العرب وغيرهم، فجعلهم عصابة لا تقهر، ومن ثم انطلقوا إلى الروم والفرس فغلبوهم بإذن الله، وأنت إذا ما تأملت أحوال العرب قبل الإسلام، تراهم مع اعتزازهم بنفسهم، إلا إنهم كانوا شرذمة متفرقون في القفار، لا تعبأ بهم قوى العالم المختلفة، كل قبيلة منهم تستحل دماء وأعراض وأموال الأخرى، فلماذا لم تجمعهم عربيتهم يومئذٍ مع اعتزازهم بنفسهم أكثر منا ؟

ومع بعثة النبي ﷺ ومجيء الإسلام، تغيرت الأمور؛ العرب ذاتهم، وغيرهم ممن ليسوا من جلدتهم اجتمعوا على كلمة سواء، صفاً واحداً كالبنيان

المرصوص، الشرذمة التي لم تكن لتعبأ لها قوى العالم، دانت لها رقاب ملوك الأرض، اتسع ملك العرب يومئذٍ بأكثر مما لم يخطر ببالهم في الجاهلية وقبل الإسلام، وكل هذا في محض سنوات قليلة، هي في عمر الأمم دقائق معدودات.

إن الله تعالى اختار العربية: لغة القرآن، ولغة الإسلام، ولسان نبيه ﷺ، فثبتت الشريعة، والأحكام بها، وقواعد العربية طريق فهم كتاب الله ومعانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم.

ومن أهم سبل أعداء الإسلام في محاربة الإسلام والمسلمين: محاربة السنة، وقد اشتعلت الحرب في زماننا عليها، وصرنا نسمع ونرى من يقول: صحيح البخاري مليئ بالأحاديث المكذوبة والموضوعة على رسول الله ﷺ، ثم يطعن على علماء السنة والحديث ـ السلف قبل الخلف، أو يزعم أن النصوص النقلية لا تفيد اليقين، والمطلوب في أصول الدين اليقين، ثم يخرج من ذلك بنتيجة ألا وهي عزل القرآن عن السنة.

المستفيد الأول من ذلك المعول.. المعول الذي انتصب لهدم السنة ـ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ـ هم اليهود والنصارى والملحدون الذين أرادوا إفساد الدين، وتشويه معالمه، وقد علموا ـ ويا ليت جميع المسلمين كذلك ـ أنه لا قيام للدين إلا بالسنة، فهي درع القرآن، والحامية.

ومن أهم سبلهم: محاولاتهم الدؤوبة نحو تمزيق الروابط الأسرية، من خلال دعوة المرأة إلى الانحلال والسفور، تحت مسمى «حقوق المرأة»، ودعوة الأبناء إلى عقوق الأباء، والهروب من رقابتهم إلى حياة الفسق والفجور والمجون، تحت مسمى «حقوق الطفل».

ومن السبل أيضاً: قيامهم بتزييف التاريخ الإسلامي، وتشويه سير الصحابة والسلف الكرام ﭫ، ففي الماضي دخل المستشرقون بعَدِّهم وعَتَادِهم، وأخذوا

يعيدون صياغة التاريخ تلفيقاً وتزييفاً، وأحسنهم حالا من نقل دون تثبت، فخلط الصحيح بالموضوع والضعيف، وجاء المؤرخون والمترجمون من بعدهم ـ وللأسف العرب قبل العجم، المسلمون فضلاً عن غيرهم، والذين هم من أذنابهم ـ فساروا على نهجهم ونقلوا من كتبهم، وهم أثناء وضعهم، وبثهم هذا التاريخ المزيف، يحافظون على تشويه سير الصحابة رضي الله عنهم، ويصورون حياتهم تصاوير، نتبرأ نحن من مثلها.

إن تشويه حياة الصحابة الكرام طعن في الدين بطريقة ملتوية، إذ الإسلام لم يصلنا إلا عن طريقهم، والتشكيك في ثقتهم وعدالتهم، هو تشكيك في جنبات هذا الدين وأركانه، فالإسلام كدارٍ لها بابٌ، وباب هذه الدار هم الصحابة، فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب إنما يريد دخول الدار، كما عبر الإمام أبو عبد الرحمن النسائي «رحمه الله».

لابد أن نقرأ التاريخ كما نقرأ أحاديث رسول الله ﷺ، إذا أردنا أن نقرأ أحاديث رسول الله ﷺ، لا بد لنا أن نتثبت من الخبر أثابتٌ عن رسول الله ﷺ أم لا ؟ ولا نستطيع أن نعرف صحة الخبر عن رسول الله ﷺ، من بطلانه إلا بالنظر إلى الإسناد مع المتن، لأن أهل العلم اعتنوا بالحديث ورجاله، وتتبعوا أحاديثهم ومَحَّصوها، وحكموا عليها، وبينوا الصحيح من الضعيف.

ولابد أن نعتقد، ونحن نقرأ تاريخ أصحاب رسول الله ﷺ ـ كما قال العلماء ـ أمرين اثنين:

«**الأول**»: أن نعتقد أن أصحاب النبي ﷺ هم خير البشر بعد أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، وذلك لأن الله تبارك وتعالى مدحهم، والنبي ﷺ كذلك مدحهم، وبين في أكثر من حديث أنهم أفضل البشر بعد أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، وأمتهم أفضل الأمم.

«**الثاني**»: أن نعلم أن أصحاب رسول الله ﷺ غير معصومين، نعم نحن نعتقد العصمة في إجماعهم لأن النبي ﷺ أخبرنا أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، فهم معصمون من أن يجتمعوا على ضلالة، ولكنهم كأفراد غير معصومين، فالعصمة لأنبياء الله وملائكته.

ولا يقدح فيما قررناه: رواية الأئمة الضعيف والموضوع ونحوه من الروايات التاريخية، في كتبهم ـ ومنها ما هو منسوب إلى الصحابة الكرام رضي الله عنهم، إذ الأئمة حين ذكروا تلك الروايات في كتبهم، ذكروها بأسانيدها، فنقلوا العهدة على القارئ والباحث الذي يأتي فيما بعد، لينظر في الأسانيد ويبين الصحيح من الضعيف، وينقي الأحداث التاريخية مما فيها، أو مما أُدخل عليها، من إفك وكذب وتدليس، ونحوه.

الواجب علينا، تجاه الهجمة الشرسة ـ التي قدّمْن لها ـ من أعداء الإسلام لتفتيت الأمة والنيل منها؛ أولاً: حب الله تعالى، وحب رسوله ﷺ، وحب الصحابة رضي الله عنهم، وحب السلف الصالح الكرام «رحمهم الله»، بغض الكفار من اليهود والنصارى والمشركين والملحدين، والحذر من مكائدهم، وما ذاك إلا لكفرهم بالله، وعدائهم لدينه ومعاداتهم لأوليائه وكيدهم للإسلام وأهله.

الواجب على كل مسلم تجاه الهجمة الشرسة من أعداء الإسلام؛ حب التوحيد؛ فهذا الحب واجب على كل مسلم ولا يصح إسلامه إلا بهذا الحب، ولا يتم الدين إلا بهذا الحب، ومن الواجب؛ حب الطاعة وحسن الخلق، بغض المعصية وسوء الخلق.

ومن الواجب على المسلمين؛ تعليم أبنائهم؛ الحب في الله، والبغض في الله ـ على نحو ما قدمنا، أن يعلموهم ألا يغضبوا إلا لله عز وجل، إذا انتهكت محارمه، إذا ذكر نبيهم ﷺ وآله وصحبه بسوء، أن يعلموهم؛ ترك الدياثة في دينهم، الغيرة والمروءة والنخوة والحمية، لا حمية الجاهلية، لا التفسخ والتسلخ، لا القبلية أو القومية، لا الجبن أو الخور، لا الخنوع أو القنوع، أن نعلمهم؛ ألا يحملوا على

إخوانهم في الدين، ما لم يحملوه على اليهود ولا النصارى، أن يعلموهم؛ إقالة العثرات، والتماس المعاذير، أن يعلموهم؛ منهج السلف في تفهم الوقائع، وفي إنزال الأحكام، وفي قبول الأعذار، أن يعلموهم؛ علو الهمة، قوة الشكيمة، صلابة العزيمة، التماس معالي الأمور، لا سفاسفها، أن يعلموهم؛ كيف يخدمون دين الله تعالى، كيف ينصروا رسوله ﷺ، ويعزّروه ويوقّروه.

حاصل القول: الشر بلدة؛ لا سماء تظلها ولا أرض تقلها، لا في خضرائها مصعدا، ولا في غبرائها مقعدا، ضيقة البقعة مكروهة السكنى، الناس فيها يهرعون لا يجدون في الأرض نفقا، ولا في السماء مرتقى، إذا ناموا هالهم طيف، وإذا انتبهوا راعهم سيف، أرواحهم تسري بها الريح، ونفوسهم من شدة الهول كادت تطيح.

والأمن بلدة؛ مكارم الدنيا فيها مفروشة، كأنها الجنان على الأرض منقوشة، ترابها عنبر وحصاها عقيق، هواؤها نسيم وشرابها رحيق، بلدة واسعة الرقعة، طيبة البقعة، معشوقة السكنى، رحيبة المثوى، كوكبها يقظان، وجوُّها عُريان، نسيمها معطر، وترابها مسكٌ أذفر.

الدمعُ جفّ مسيرُه بعد البكاءِ
والخوفُ يملء غُربتي والحزنُ دائي
أرجو الثباتَ وإنّه قِسماً دوائي
والربُّ أدعو مُخلصاً أنت رجائي
أبغي إلهي جنةً فيها هنائي

هذا وبالله التوفيق والحمد لله...

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وأله وصحبه...

والسلام عليكم ورحمة الله.



المراجع

١- القرآن الكريم.

- **كتب التفاسير وعلوم القرآن.**

٢- تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١: ٧٧٤ هـ).

٣- جامع البيان عي تأويل آي القرآن ـ العلامة أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٢٢٤: ٣١٠ هـ).

٤- الجامع لأحكام القرآن ـ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١ هـ).

٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ الإمام أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال بن محمد السيوطي (٨٤٩: ٩١١ هـ).

٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ـ الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (١١٧٣: ١٢٥٠ هـ).

٧- معالم التنزيل ـ الإمام الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (٤٣٦: ٥١٠ هـ).

٨- التحرير والتنوير ـ الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (ت ١٢٨٤ هـ).

٩- في ظلال القرآن ـ الأستاذ سيد قطب (١٣٢٠: ١٣٨٦ هـ).

- **كتب اللغة والأشعار والأدب.**

١٠- لسان العرب ـ العلامة أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور (٦٣٠: ٧١١ هـ).

١١- القاموس المحيط ـ العلامة محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٧٢٩ : ٨١٧ هـ).

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس ـ الحافظ محمد بن عبد الرزاق المرتضى الحسيني البلجرامى (١١٤٥ : ١٢٠٥ هـ).

١٣- التوقيف على مهمات التعاريف ـ الحافظ محمد بن عبد الرؤوف بن زين العابدين المناوي (٩٥٢ : ١٠٣١ هـ).

١٤- مختار الصحاح ـ محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٨٧٠ هـ).

١٥- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ـ الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ).

١٦- نهج البلاغة ـ أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى (٣٥٩ : ٤٠٤ هـ).

١٧- المستطرف في كل فن مستظرف ـ أبو الفتح محمد بن أحمد الأبشيهي.

١٨- العِقدُ الفريد ـ أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (٢٤٦ : ٣٢٨ هـ).

١٩- مجمع الأمثال ـ أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (ت ٥١٨ هـ).

- كتب الاعتقاد.

٢٠- إعلام الموقعين عن رب العالمين ـ العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر قيم الجوزية (٦٩١ : ٧٥١ هـ).

٢١- الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٣ : ٤٥٦ هـ).

٢٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة ـ الإمام أبو القاسم بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت ٤١٨ هـ).

٢٣- اقتضاء الصراط المستقيم ـ شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٦٦١ : ٧٢٨ هـ).

٢٤- مشكلة الغلو في الدين - الشيخ عبد الرحمن بن معلا اللويحق.
٢٥- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان - العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر قيم الجوزية.
٢٦- تلبيس إبليس - العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن عبد الله الجوزي (٥١٠ : ٥٧١ هـ).
٢٧- منهاج السنة - شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.
٢٨- شعب الإيمان - الحافظ أبو بكر بن الحسن بن علي البيهقي (٣٨٤ : ٤٥٨ هـ).
٢٩- الكبائر - الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣ : ٧٤٨ هـ).

- **كتب الحديث والسنة والآثار.**

٣٠- صحيح البخاري - الإمام أبو عبد الله محمد إسماعيل بن إبراهيم البخاري (١٩٤ : ٢٥٦ هـ).
٣١- صحيح مسلم - الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (٢٠٤ : ٢٦١ هـ).
٣٢- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي.
٣٣- سنن الترمذي - الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩ : ٢٧٩ هـ) - تعليق وتحقيق وضبط الشيخ العلامة / أحمد محمد شاكر. (الجزء الأول والثاني) (١٣٠٩ : ١٣٧٧ هـ).
٣٤- سنن أبي داود - الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢ : ٢٧٥ هـ).
٣٥- السنن الكبرى - الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (٢١٥ : ٣٠٣ هـ).

٣٦- المجتبى من السنن (سنن النسائي) ـ الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي.

٣٧- سنن ابن ماجة ـ الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (٢٠٧ : ٢٧٥ هـ) ـ تعليق وتحقيق الشيخ / محمد فؤاد عبد الباقي (١٢٩٩ : ١٣٨٨ هـ).

٣٨- السنن الكبرى ـ الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسن بن علي البيهقي.

٣٩- سنن الدارمي ـ الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (١٨١ : ٢٥٥ هـ).

٤٠- المستدرك على الصحيحين ـ الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١: ٤٠٥ هـ).

٤١- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ـ الحافظ الحارث بن أبي أسامة الهيثمي (١٨٦ : ٢٨٢ هـ).

٤٢- المعجم الكبير ـ الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٢٦٠ : ٣٦٠ هـ).

٤٣- المعجم الأوسط ـ الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني.

٤٤- المعجم الصغير ـ الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني.

٤٥- مسند الشاميين ـ الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني.

٤٦- مصنف عبد الرزاق ـ الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦ : ٢١١ هـ).

٤٧- مصنف ابن أبي شيبة ـ الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (١٥٩ : ٢٣٥ هـ).

٤٨- مسند الإمام أحمد ـ الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد حنبل الشيباني (١٦٤ : ٢٤١ هـ).

٤٩- مسند أبي يعلى ـ الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (٢١٠ : ٣٠٧ هـ).

٥٠- مسند إسحاق ابن راهوية ـ الإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهوية الحنظلي (١٦١ : ٢٣٨ هـ).

٥١- مسند عبدُ بن حميد ـ الحافظ أبو محمد عبدُ بن حميد بن نصر (ت ٢٤٩ هـ).

٥٢- مسند الشهاب ـ الحافظ أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت ٤٥٤ هـ).

٥٣- مسند ابن الجعد ـ الحافظ أبو الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (١٣٤ : ٢٣٠ هـ).

٥٤- مسند الطيالسي ـ الإمام أبو داود سليمان بن داود الفارسي البصري الطيالسي (ت ٢٠٤ هـ).

٥٥- المسند الكبير ـ الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت ٢٩٢ هـ).

٥٦- سنن الدارقطني ـ الإمام أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي (٣٠٦ : ٣٨٥ هـ).

٥٧- السنة ـ الحافظ أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (٢٠٦ : ٢٨٧ هـ) ـ مذيلا بتعليقات الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني (١٣٣٣ : ١٤٢٠ هـ).

- الأجزاء الحديثية.

٥٨- الزهد ـ الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد حنبل الشيباني

٥٩- الزهد ـ الإمام أبو السري هناد بن السري الكوفي

٦٠- القدر ـ الحافظ جعفر بن محمد بن الحسين بن المستفاض الفريابي (٢٠٧ : ٣٠١ هـ).
٦١- الأدب المفرد ـ الإمام أبو عبد الله محمد إسماعيل بن إبراهيم البخاري.
٦٢- الشمائل المحمدية ـ الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي.
٦٣- عمل اليوم والليلة ـ الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي.
٦٤- الآحاد والمثاني ـ الحافظ أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني.
٦٥- الحلم ـ الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا (٢٠٨ : ٢٨١ هـ).
٦٦- مدارة الناس ـ الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا.
٦٧- العلم ـ الحافظ أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي.
٦٨- الاعتقاد ـ الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسن بن علي البيهقي.
٦٩- دلائل النبوة ـ الحافظ أبو بكر احمد بن الحسن بن علي البيهقي.
٧٠- الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم ـ شيخنا أبو عبد الله مصطفى بن العدوي.

- كتب التخريجات والعلل والمصطلح.

٧١- التحقيق في أحاديث الخلاف ـ العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن عبد الله الجوزي.
٧٢- العلل ومعرفة الرجال ـ الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد حنبل الشيباني.
٧٣- النكت على مقدمة ابن الصلاح ـ العلامة أبو عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر.

- كتب شروح الحديث.

٧٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (٧٧٣ : ٨٥٢ هـ).

٧٥- شرح صحيح مسلم ـ الإمام أبو زكريا يحي بن شرف بن مري بن حسن النووي (٦٣١ : ٦٧٦ هـ).

٧٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير ـ الحافظ محمد بن عبد الرؤوف بن زين العابدين المناوي.

٧٧- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ـ العلامة أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (٣٦٨: ٤٦٣ هـ).

٧٨- الاستذكار ـ العلامة أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري.

٧٩- سبل السلام شرح بلوغ المرام ـ الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني (٧٧٣ : ٨٥٢ هـ).

٨٠- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ـ الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (١١٧٣ : ١٢٥٠ هـ).

٨١- جامع العلوم والحكم ـ الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٣٦: ٧٩٥ هـ).

٨٢- عمدة القارى شرح صحيح البخاري ـ الحافظ أبو محمد محمود بن أحمد موسى العيني (٧٦٢: ٨٥٥ هـ).

٨٣- شرح الأربعين النووية ـ العلامة الحافظ محمد بن علي بن وهب بن مطيع، الشهير بابن دقيق العيد (٦٢٥ : ٧٠٢ هـ).

٨٤- شرح السنة ـ الإمام الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي.

- **كتب الرجال والسير:**

٨٥- السيرة النبوية ـ أبو محمد بن عبد الملك بن هشام.

٨٦- الروض الأنف شرح السيرة النبوية لابن هشام ـ الإمام أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي.

٨٧- فقه السيرة ـ الشيخ محمد الغزالي ـ مذيلا بتعليقات العلامة / محمد ناصر الدين الألباني.
٨٨- الاستيعاب ـ العلامة أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري.
٨٩- الإصابة في تمييز أسماء الصحابة ـ الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني.
٩٠- لسان الميزان ـ الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني.
٩١- تقريب التهذيب ـ الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني.
٩٢- تهذيب التهذيب ـ الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني.
٩٣- تعجيل المنفعة ـ الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني.
٩٤- طبقات المدلسين ـ الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني.
٩٥- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ الحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي.
٩٦- مشاهير علماء الأمصار ـ الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي.
٩٧- تاريخ دمشق ـ الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (٤٩٩ : ٥٧١ هـ).
٩٨- سير أعلام النبلاء ـ الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

٩٩- الكاشف - الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

١٠٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني.

١٠١- تاريخ الأمم والملوك - العلامة أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري

١٠٢- حياة التابعين - الأستاذ عبد الرحمن بن رأفت الباشا.

١٠٣- علماء وأمراء - الشيخ وحيد بن عبد السلام بالي.

- كتب الآداب والزهد والرقائق.

١٠٤- الآداب الشرعية والمنح المرعية - العلامة أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي (ت ٧٦٣ هـ).

١٠٥- أدب الدنيا والدين - الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (٣٦٤: ٤٥٠ هـ).

١٠٦- الأذكار - الإمام أبو زكريا يحي بن شرف بن مري بن حسن النووي.

١٠٧- حلية طالب العلم - الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

١٠٨- مواقف إيمانية - الشيخ أحمد بن فريد.

١٠٩- مدارج السالكين - العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر قيم الجوزية.

١١٠- مفتاح دار السعادة - العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر قيم الجوزية.

١١١- الفوائد - العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر قيم الجوزية.

١١٢- الأذكياء - العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن عبد الله الجوزي.

١١٣- ذكر وتذكير - د. صالح بن غانم السدلان.

١١٤- خطب العام - شيخنا أبو عبد الله مصطفى بن العدوي.

- **كتب الفقه وأصوله:**

١١٥- إحياء علوم الدين ـ الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠ : ٥٠٥ هـ) ـ مذيلاً بتخريجات الحافظ / أبو الفضل عبد الرحيم بن حسين بن عبد الرحمن العراقي (٧٢٥ : ٨٠٦ هـ)

١١٦- الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية ـ الشيخ الدكتور أبو الحارث محمد بن أحمد بن محمد البورنو.

١١٧- الموسوعة الفقهية ـ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت.

١١٨- الأم ـ الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ : ٢٠٤ هـ).

١١٩- كشف القناع على متن الإقناع ـ الإمام منصور بن يونس بن حسن بن إدريس البهوتي (١٠٠٠ : ١٠٥١ هـ).

- **كتب أخرى.**

١٢٠- مجموع الفتاوى ـ شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٦٦١ : ٧٢٨ هـ).

١٢١- رفع الملام عن الأئمة الأعلام ـ شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

١٢٢- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ـ الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني (١٣١٣ : ١٣٨٦ هـ).

١٢٣- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ـ العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر قيم الجوزية.

١٢٤- منزلة السنة في الإسلام ـ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

١٢٥- الديمقراطية ونظريات الإصلاح في الميزان ـ الشيخ سعيد بن عبد العظيم.

١٢٦- نقد القومية العربية ـ الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٣٣٠ : ١٤٢٠ هـ).

١٢٧- فتاوى مهمة ـ الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٣٣٠ : ١٤٢٠ هـ).

١٢٨- مجموع الرسائل والمسائل النجدية.

١٢٩- كيف نفكر استراتيجياً ـ اللواء د. فوزي بن محمد طايل (١٣٦١ : ١٤١٦ هـ).

١٣٠- هجر المبتدع ـ الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

١٣١- حقبة من التاريخ ـ الشيخ عثمان الخميس.



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضـوع الصفحة

الموضــوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة
ثانياً: محاربة السنة	١٧٤
ثالثاً: تمزيق الروابط الأسرية	١٧٥
رابعاً: تزييف التاريخ الإسلامي، وتشويه سير الصحابة والسلف الكرام رضي الله عنهم	١٧٦
الواجب علينا، تجاه تلك الهجمة الشرسة من أعداء الإسلام لتفتيت الأمة والنيل منها	١٧٩
تتمةٌ في: صور من حياة الصحابة والسلف في تركِ إثارةِ الشرِ	١٨٣
تمهيد	١٨٣
علبة بن زيد الأنصاري رضي الله عنه	١٨٤
الحِبُّ ابن الحب ؛ أسامة بن زيد رضي الله عنهما	١٨٤
معاذ بن جبل رضي الله عنه	١٨٥
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه	١٨٥
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١٨٥
حبر الأمة وترجمان القرآن ؛ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما	١٨٦
عمار بن ياسر رضي الله عنهما	١٨٦
أبو الدرداء رضي الله عنه	١٨٦
سلمان الفارسي رضي الله عنه	١٨٧
أهبان بن صيفي رضي الله عنه	١٨٧
سيد شباب أهل الجنة ؛ الحسن بن علي رضي الله عنهما	١٨٨
الحر بن قيس «رحمه الله»	١٨٨
أيمن بن خريم الأسدي «رحمه الله»	١٨٨

الصحيح المهذب لكتاب

أهوال القبور

وأحوال أهلها إلى النشور

فضيلة الشيخ

لأبي الحسن علي بن أحمد الرازحي

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين





من أحدث إصداراتنا

كيف تكسبين
قلب زوجك
وترضين ربك

عادل فتحي عبد الله





من أحدث مطبوعات دار الإيمان

المعالم

لاستخلاف المسلمين في العالم

راجعه وقدم له
فضيلة الشيخ الدكتور
أحمد فريد

إعداد
نشأت زيدان
عفا الله عنه





من أحدث مطبوعات دار الإيمان

مئة قصة وقصة في غرائب وطرائف الحيوانات

أعدها

أبو عبيدة

إبراهيم بن محمود عبد الراضي



